

بسم الله الرحمن الرحيم

بَيَانٌ مِنْ تَنْظِيمِ التَّجْدِيدِ الإسْلامِيِّ بِمُنَاسَبَةِ اسْتِشْهَادِ القَائِدَيْنِ أَبِي عُمَرَ البَغْدَادِيِّ وَأَبِي حَمْزَةَ المُهَاجِر – تَقَبَّلَهُمَا الله –

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، نبي الرحمة ونبي الملحمة، سيدنا وإمامنا وقدوتنا وحبيب قلوبنا الضحوك القتَّال، محمد بن عبد الله، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، (البقرة؛ 2: 153 – 157).

بقلوبٍ مؤمنةٍ بقضاء الله وقدره، وبوعده الذي لا يخلفه، وصلنا نبأ استشهاد القائدين الشيخ أبي عمر البغدادي والشيخ أبي حمزة المهاجر، تقبلهم الله في الشهداء وأسكنهم الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

فالشهادة في سبيل الله هي من أمنى أمنيات مجاهدي هذه الأمة، ولم يكن قط استشهاد جندي أو قائد ليؤثر على سير الجهاد ضد أعداء الله، سبحانه وتعالى؛ فدم الشهيد نور ونار، نور ينير الدرب ويشدد من عزم المجاهدين، ونار تلفح وجوه الغزاة المعتدين ومن تحالف معهم وتخندق في خندقهم.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهما وأن يعوض مجاهدي العراق وشعبه وأمة الإسلام ويخلفهم خيراً، كما نوصي إخواننا من مجاهدي العراق أن يثبتوا في درب الجهاد وأن يراعوا الانضباط الشرعي الصحيح المجمع عليه بين علماء الأمة، وأن لا يستعجلوا في قرارات مصيرية بصورة فردية دون التدقيق الشرعي فيها، فلا شك أن المحتلين في العراق كانوا على وشك الإنهزام وتحالفهم على وشك الإنفراط لولا استعجال الإخوة – سامحهم الله – في مجلس شورى المجاهدين بإعلان ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) وما ترتب عليها من تبعات أوصلت وضع الجهاد في العراق في نهاية المطاف إلى ما هو عليه الآن من تشرذم وتفكك، أفرحت العدو وأحزنت المحبين المخلصين.

اشكالات حول الإعلان عن الدولة

إننا – في تنظيم التجديد الإسلامي – كنا منذ يوم إعلان تأسيس ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) مدركين أن هذا (الكيان) يفتقد الشروط الموضوعية التي تكون بها الدولة، وهو لذلك، ولاعتبارات شرعية أخرى فصلناها في رسالتنا الموسومة: **(طلب النصرة، وإقامة الدولة)**، وهي مدرجة بكاملها في ذيل هذا البيان ونحيل إليها في هذا الموضع، محرم شرعاً، تحريماً باتاً؛ مع ما يشير إليه هذا الإعلان المتعجل الأحمق من قلة بضاعة في الفقه تكاد تبلغ درجة الإفلاس، وسطحية في الفكر تكاد تبلغ درجة البلاهة، وظهور مؤشرات مقلقة على وجود إعجاب بالنفس وتزكية لها، وتعالٍ على جماهير المسلمين، بل وعلى غيرهم من جماعات المجاهدين، وربما الشهوة الخفية: حب السلطة والرئاسة؛ بالإضافة إلى ما قد يترتب عليه، أي على تأسيس ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، من إشكالات تنذر بأوخم العواقب.

ولقد كان المتعين آنذاك، والواجب شرعاً، هو إعلان ذلك، وتبيانه للكافة، إلا أن مراعاة ظروف الجهاد في العراق، الذي كان حينئذ في أوجه، والتخوف من أن يفهم ذلك على أنه طعن في المجاهدين من الخلف، وخذلان لهم، وهم في كر وفر مع العدو الحربي الكافر، والأمم متكالبة ضد أي هكذا مشروع؛ ولوجود محاولات جارية من بعض المجاهدين لإقناع الإخوة في ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) بالرجوع إلى الحق، وعدم التمادي في الباطل؛ واعتقادنا أن دفة السفينة كان لا بد منها أن تعدل عن مسارها الخاطئ وتقوم أركانها وتوجه مسارها ذاتياً؛ وغير ذلك من الاعتبارات العائدة كلها إلى مراعاة (مصلحة الجهاد، ومصلحة الدعوة) و(النظر في المآلات والعواقب)، وغيرها من مصائد الشيطان ووساوسه، فوتت علينا القيام بالواجب في حينه، والصدع بكلمة الحق من غير أن نخاف في الله لومة لائم؛ وفاز بها فضيلة الشيخ حامد العلي، الذي أصبح بمثابة (مانعة الصواعق) التي تتلقى كافة الاتهامات والإهانات من مجموعة من المهووسين (أو الخبثاء المندسين) الذين انحرفت عندهم المحبة والموالاة (أو التظاهر نفاقاً بالمحبة والموالاة) لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) فأصبحت عصبية بغيضة، بل تقديساً واعتقاداً بالعصمة: فهم قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية (أو هم زنادقة من شياطين أجهزة القمع والتجسس). ويخشى على هؤلاء إن لم ينفروا أو ينفر رؤوسهم للتفقه في الدين، كما أمر الله، جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً: فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، (التوبة؛ 9: 122)؛ يخشى عليهم أن ينتهوا غلاة مارقين خُلَّصاً: (حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية: لا يجاوز إيمانهم حناجرهم؛ فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة)؛ كما قاله سيد ولد آدم، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله، [هكذا أخرجه البخاري في صحيحه (ج3/ص1321/ح3415)، عن إمام

الهدى، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه]؛ وما كارثة انحراف (الجماعة الإجرامية المسلحة) في الجزائر عنا ببعيد.

ونحن، وإن فاتنا ذلك الفضل العظيم، فلا يفوتنا الإعلان بالندم والتوبة، وطلب العفو والمغفرة من الله عز وجل، والتضرع إليه بطلب المغفرة لما سلف، والعصمة من الزلل فيما بقي، ثم الاعتذار إليكم، معاشر الأحبة، عن ذلك التفريط، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو أننا صدعنا بالحق في حينه، وبيناه مفصلاً بأدلته، فلربما كان ذلك حاجزاً للإخوة في غزة – رحمهم الله وغفر لهم – من الإقدام على حماقتهم بإنشاء (إمارة المسجد الأبيض)، التي تأسوا فيها بالقدوة السيئة لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) في تأسيس كيانات منزوعة المنعة، غير مستوفية للشرعية: كيانات كرتونية كاريكاتورية هزيلة، تبدأ كالمهزلة، وتنتهي بكارثة.

ولعلنا جميعاً نعي الدرس: فلا ننخدع بمصائد الشيطان، من مثل مراعاة (مصلحة الجهاد، ومصلحة الدعوة) و(النظر في المآلات والعواقب)، وغيرها: فنقبل على ما خلقنا له من العبودية، وهي السمع والطاعة لأوامر الله نواهيه، فلا نترك واجباً، في حدود الاستطاعة، إلا برخصة شرعية منصوص عليها، ولا نرتكب حراماً إلا لضرورة ملجئة، ونترك تدبير الكون الفسيح، والمآلات والعواقب المتشابكة المعقدة، لمقدر الأقدار، ومسبب الأسباب، المليك المقتدر، الذي أحاط بكل شيء علماً، لا إله إلا هو، عليه نتوكل، وبه نتأيد.

رغم علمنا يقيناً أن قول الحق في مواضع كثيرة قد يغضب البعض، ولكن إعمالاً لقوله، تعالى ذكره: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (الذاريات؛ 51: 55)؛ ولما صح عن تميم الداري، رضي الله عنه، قال: أَنَّ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قُلْنَا: (لِمَنْ؟)، قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)؛ كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص74/ح55): [حدثنا محمد بن عباد المكي حدثنا سفيان قال: قلت لسهيل: إن عمرا حدثنا عن القعقاع عن أبيك؛ (قال ورجوت أن يسقط عني رجلاً)؛ قال: فقال: سمعته من الذي سمعه منه أبي كان صديقا له بالشام. ثم حدثنا سفيان عن سهيل عن عطاء بن يزيد عن تميم الداريبه]؛ وأخرجه أكثر الأئمة؛ ولما ثبت عن عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنه، قَالَ: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)؛ كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ج1/ص31/ح57): [حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن إسماعيل قال حدثني قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قاله]، وفي مواضع أخرى من صحيحه، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص75/ح56)، وفي مواضع أخرى؛ وكذلك جمهور الأئمة؛ ولما رُوِي من قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: [لا خير في قوم ليسوا

بناصحين ولا خير في قوم لا يحبون الناصحين]؛ فإننا نعلـم يقينـاً كـذلك أن مـن كـان هَمّـه الإسـلام والانضباط الشرعي في كل أمره، خاصة ما يتعلق مباشرة بجهاده ومبتغى كفاحه لإعلاء كلمة الله، فلـن يسعه إلا العودة للحق وانشراح صدره له؛ فالحق ضالة المؤمن فأنَّى وجدها فهو أحق بها!

فهذه نصيحة مشفق ونداء للأحبة بعد أن آل حال الجهاد في العراق إلى ما آل إليه، كما لا يخفى ذلك على كل ذي بصيرة؛ وما كانت لتبدأ شرارة نار الانهيار إلا باستعجال الإخوة – سامحهم الله – في مجلس شورى المجاهدين بالإعلان عن تأسيس ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، فالمجاهدون الذين كانوا يطاردون المحتل وأعوانه في كل مكان أصبحوا هم المطاردون! هي نصيحة نبتغي بها وجه الله تعالى وحده، طالبين مغفرته ورحمته لما فاتنا، وراجين أن نكون قد ساهمنا بها في تأدية الأمانة، وإبراء الذمة، وتسديد الطريق، وجمع الصف، وإنهاء الفرقة؛ ليكن بياننا مفتاح خير لأمة الإسلام وقدح لنار عباد الشيطان، بإذن الواحد الأحد.

وقبل التفصيل كان لا بد من إقرار أمرين:

1) التذكير بأن الإخوة في مجلس شورى المجاهدين هم مجتهدون، فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر، فهم إن شاء الله مأجورين على اجتهادهم في كلا الحالتين، والاعتراف بالخطأ بعد بيانه ليس بعيب ولا مذلة، بل هو شرف ورفعة.
2) تنظيم التجديد الإسلامي يستقي معلوماته من طرق ومصادر عدة نثق في صحتها وسلامتها مباشرة من موقع الحدث، وليس من المنتديات المنتسبة زوراً وبهتاناً للمجاهدين، والتي تكفل الزمن بإبراز تحفظات جدية بحقها، ابتداءاً بنجاحها في عزل المشروع الجاهدي عن الأمة واحتكارها في توجه فكري واحد دون سائر الأمة، وتواتر نبأ اختراقها من قبل مراكز المخابرات الأردنية والسلولية وغيرهما، نفصل جانباً من ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى.

ونحن وإن كنَّا لندرس واقع ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) كدولة، كان لا بد منَّا إجراء مقارنة بينها وبين الإمارتين الإسلاميتين الأخريين القائمتين في أفغانستان وفي القوقاز؛ بل ونضيف عليها ثالثاً: وهـي الحال في الصومال، بالرغم من عدم إقدام الإخوة في حركة الشباب المجاهدين – أيـدهم اللـه ونـصرهم وسدد خطاهم – بعد على خطوة الإعلان عن إمارة؛ نحصر هذه المقارنة في النقاط التالية:

- **حدود الدولة الجغرافية، وهل لها تاريخ أم أنشئت حديثاً؟**

في حالتي أفغانستان والصومال، فإن لدينا دولتين قائمتين محتلتين من قبل أمريكا وحلفائهـا، يهدف المجاهدون فيهما إلى طرد المحتل من كامل أراضيهما. وكذلك فتاريخ إمـارة أفغانـستان الإسلامية كإمارة شرعية تاريخ ناصع في أعين شعبه إذا ما قورن بحال الاختلاف والتـشـرذم في ما قبلهم وحال الاحتلال بعدهم، وفي الصومال فالتجربـة الإسـلامية للمحـاكم قبـل الانتكاسـة المشينة لبعض قياداته، وعلى رأسهم شريف شيخ أحمد، لازالت عالقة في ذاكرة الشعب عـلى أنـه المخرج السليم من دوامة الصراع والتشتت الذي دام قرابة العقدين، وآملـين في مثلـه مـن قبـل

مجاهدي حركة الشباب؛ فكل ذلك يحسب في صالح المجاهدين في البلـدين. أمـا إمـارة القوقـاز الإسلامية، فهي وريثة تجربة طويلة ناضجة متمثلـة في جمهوريـة الشيـشان الإسـلامية التـي استقلت عن الاتحاد السوفييتي عام 1991م، وجاهـدت المحتـل الـروسي قرابـة العقـدين مـن الزمان، وكان أمير الإمارة الفتية، الأمير أبو عثمان دوكو عمروف – حفظه الله –رئيـساً سـابقا لهذه الجمهورية قبل إعلانه اتساع رقعة نفوذه من مجرد الشيشان إلى سائر منـاطق المـسلمين في شمال القوقاز، فضم إلى الشيشان ولايات داغستان وإنغوشتيا وغيرهما.

ففي جميع هذه الحالات، نجد المجاهدين مدافعين عن كيانات قائمة فعـلاً، لهـا عمـق شـعبي مضافاً إلى شرعيتها الإسلامية مما ساهم في انضواء الشعب تحت لوائه، ونجد المجاهـدين فيهـا مبقين على وحدة هذه الكيانات، بل وموسعيها في حالة أحدها، وهذا هو المطلوب شرعاً.

أما في حال ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، فقد أعلن عنها تحت ظرف الاحتلال، بل والجهاد ضد المحتل وعملائه في أوج سطوته، وقد أنشئت إنشاءاً ككيان جديد لا في كامـل أرض العـراق، بل محصورة في ولايات دون ولايات، ومن دون سابق تاريخي يحصرها ويحددها سوى أمـاني المحتل في تقسيم العراق على أسس عرقية وطائفية. إذاً، فكان الأساس الجغرافي والتاريخي الذي بنيت عليه الدولة من الواقع الذي فرضه العدو، لا الوضع المثالي المفترض.

- **مستوى التمدن في الدولة**

نجد أن العراق كدولة، في كل من المجال المـدني، والـسياسي، والتعليمـي، والثقـافي، والبنيـوي، والمؤسسي، والصناعي، والحربي، وغيرهـا الكثـير، متقـدم بـدرجات عـلى نظيريهـا الأفغـاني والصومالي، بل وفي كثير من هذه المجـالات كـذلك عـلى نظيرهـا القوقـازي؛ فمـا سـيجري في أفغانستان والصومال من بسط النفوذ بعفوية وبساطة وتقبل الشعب لها لن يجري في العراق، حيث الاجتهادات المفصلة قد تختلف، والتيارات تتنوع، والخلفيات تتباين؛ فأخذ اختلافات كهذه في العراق في الحسبان ومحاولة استيعابها هو من أول مهمات أي دولـة تقـام فيهـا؛ وللإخـوة العبرة في إخوانهم في إمارة القوقاز، وقبلها في جمهورية الشيشان، التي، وبالرغم مـن الحـصار الشديد المفروض عليها، قد تمكنت من التفاعل مع طبيعة معطيات هذه الاختلافات في دولتهم.

- **مهام الدولة**

كما أسلفنا في تفصيلنا الشرعي لطبيعة الدولة، وليراجع أعلاه، فللدولة مهـام واسـعة النطـاق، نجد جانباً كبيراً منها، كبناء المرافق العامة، وجمع الخراج والزكوات وتوزيعها، وإدارة الخدمات وغيرها، مطبقاً على أرض الواقع في أفغانستان والقوقـاز والـصومال؛ وكـذلك، فللـشعب ثقـة باستكمالهم لأداء مهامهم بناءاً على تجربتهم تحت ظل حكمهم: في إمارة أفغانستان الإسـلامية قبل الغزو، وفي جمهورية الشيشان الإسلامية بـين الغـزوين، وفي دولـة المحـاكم الإسـلامية في الصومال. أما في حالة ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، فنجد أن بداية ونهايـة مهـام الدولـة تكاد تكون محصورة في القضاء الشرعي، وحتى هذه نجدها قد تتـسع أو تنـحـصر، أو حتـى تنعدم في بعض مناطقها المفترضة، بناءاً على الكر والفر مع العدو. **<u>وواقع الأمر أن الـدار مـا</u>**

زالت دار حرب، وهناك إشكالات فقهية لا نهاية لها فيما يتعلق بتطبيق الأحكام، وممارسة القضاء، في دار الحرب.

- **قيادة الدولة أمجهولة أم معلومة؟**

عامل الخفاء للقيادة قد لا يؤثر على فاعلية ومصداقية جماعة مجاهدة تكر وتفر في ميدان القتال، ولكن الحال يختلف تماماً بالنسبة للدولة. فالأميران الملا محمد عمر ودوكو عمروف – أيدهما الله وحفظهما من كيد الأعداء – معروفان، ولديهما شيء أشبه بحكومة الظل في جميع مناطقهم؛ أمير لكل ولاية، كلٌّ مسؤولٌ عن منطقته. أما مختار أبو الزبير، أمير حركة الشباب المجاهدين – أيده الله –فسَلَفه أبي محسن الأنصاري آدم حاشى عيرو – رحمه الله تعالى وتقبله في عليين – كان يظهر أثناء توليه إمارة الجماعة، وإن كبار رجالات جماعته، كالقائد أبو منصور الأمريكي، والقائد أبو المنصور مختار روبو، والقائد أبو سليم – حفظهم الله وأيدهم بنصره – مازالوا يظهرون ويصولون ويجولون على مرأى الجميع، هذا وهُم لم يعلنوا عن قيام دولة أصلاً! فليقارن كل هذا مع حال ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، التي كان لها (تشكيلة وزارية) كاملة، لم يظهر أحد من أعضائها بصورة رسمية طيلة فترة (حكمهم).

وفي ختام هذا القسم، وبعد بسط بعض الإشكالات العميقة الشرعية، والحيثية، والواقعية، والمقارنة لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، وما أحاطها من مغالطات ومكابرة من قبل بعض المتحمسين من أهل المنتديات (وبعض المندسين الخبثاء المجرمين، ممن يرقصون فرحاً على ما آل إليه الجهاد في العراق اليوم، بل وعلى قبري الشيخين المجاهدين – تقبلهما الله – لصالح حساباتهم الشخصية المحدودة)، نسوق هنا برهان آخر على ما ذهبنا إليه من أن مجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) إنما هم منضوون تحت قيادة جماعة مجاهدة، لا إمارة إسلامية قائمة، وهو برهان من واقع نظرة قادة المجاهدين إلى الوضع العراقي:

يقول القائد المجاهد مصطفى أبو اليزيد – حفظه الله تعالى وأيده بنصره – في مقابلته مع قناة الجزيرة قبل أقل من عام: [وبالنسبة لدولة العراق الإسلامية، فنحن أيدناها ومازلنا نؤيدها، ونرى استمرارها كمبادئ وكأصول. ولكن كإسم، من الممكن أن يتغير الاسم إن لم تكن هناك مفسدة كبيرة تتحقق من تغيير الاسم، فنحن لا نولي الأسماء كبير اهتمام]؛ ويقول: [واجب شرعي أن ينضم الجميع في جماعة واحدة، ونحن نرى بما أنه قد قامت دولة العراق الإسلامية ودخل فيها الكثير من الجماعات الجهادية هناك، فهي الأولى أن يدخل فيها بقية الجماعات الموجودة الآن. ولكن إذا كانت هناك عقبات كبيرة تحول بين هذا بسبب هذا الاسم، فنرى أنه من الممكن تغيير هذا الاسم حتى يتوحد المجاهدون جميعاً في العراق] انتهى.

يظهر لنا جلياً من هذا نظرة قيادة تنظيم قاعدة الجهاد العليا لمسألة ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، على أنها ليست إمارة إسلامية بالمعنى الشرعي، ولا حتى بالمعنى الواقعي المجرد، بل إنها

جماعة مجاهدة كفيلة بالاحترام كسائر الجماعات المجاهدة على أرض العراق التي مازالت مخلصة ولم تنتكس وتتورط في برامج العدو المحتل. وإلا:

- فكيف بوصف مسمى الدولة بمجرد التسمية، لا بأنه واقع مُعَاش؟!
- وكيف بعدم الممانعة من نزع ولاية وبيعة الإمارة وحل الدولة (وهو أمر محرم شرعاً!) إلا إن كانت هذه البيعة وهذه الدولة معدومتين أصلاً، ولم يكن الأمر سوى بيعة جماعة، لا دولة؟!
- وكيف، في حال "الدولة" لا الجماعة، يكون المرتكز والهدف هو بيعة جماعات قتالية مجاهدة لها، لا بيعة الشعب، إلا إن كانت هذه "الدولة" تتقوى بما تتقوى بها الجماعة، لا الدولة؟!

بل والأدهى والأَمَرّ، بعد كل هذا، هو أن واقع ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) لم يزد اتساعاً مستداماً بعد إعلانه، كما كان الحال لسلفها، جماعة التوحيد والجهاد، عند كل خطوة خطتها للتوحد والاتساع، بل إنه قد انحصر، بل تقلص تقلصاً شديداً، عما كان عليه كمجرد جماعة! نفصل شيئاً من ذلك في الفصل التالي.

التقلص الكارثي المؤلم للعمل الجهادي

إن قراءة سريعة في التقارير العسكرية الصادرة عن ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) كفيلة بإقرار مدى انحسار العملية الجهادية على أرض العراق على كافة المستويات بشكل كارثي مأساوي. فإذا أخذنا في الاعتبار عدد العمليات وانتشارها الجغرافي، ومن ثم أخذنا عدد القتلى الصليبيين وعدد عربات الهمر المدمرة كمؤشر في ضوء نسبة العمليات الموثقة، نجد أنه:

- **في التقرير 22 الصادر عن الفترة 2007/3/16 – 2007/3/31م**
  نفذت 926 عملية في ست ولايات، بينها ولاية النجف، أحصيت 52٪ منها، والتي فيها:
  قُتِل 329 صليبي؛ ودُمِّرت 149 عربة همر
- **في التقرير 28 الصادر عن الفترة 2007/6/16 – 2007/6/30م**
  نفذت 1162 عملية منتشرة في خمس ولايات، أحصيت 46٪ منها، والتي فيها:
  قُتِل 574 صليبي؛ ودُمِّرت 173 عربة همر
- **في التقرير 39 الصادر عن الفترة 2007/12/1 – 2007/12/15م**
  نفذت 118 عملية محصورة في ولايتي بغداد وديالى، أحصيت 68٪ منها، والتي فيها:
  قُتِل 30 صليبي؛ ودُمِّرت 4 عربات همر
- **في التقرير 45 الصادر عن الفترة 2008/3/1 – 2008/3/15م**
  نفذت 49 عملية محصورة في ولايتي بغداد وديالى، أحصيت 75.5٪ منها، والتي فيها:
  قُتِل 19 صليبي؛ دُمِّرت عربة همر واحدة
- **في التقرير 49 الصادر عن الفترة 2008/5/1 – 2008/5/15م**
  نفذت 21 عملية فقط محصورة في العاصمة بغداد، أحصيت 86٪ منها، والتي فيها:

لم يُقتَل أي صليبي؛ ودُمِّرت عربة همر واحدة

فبعد بلوغ الذروة في التقرير 28، تناقصت دائرة العمليات عددياً وجغرافياً تناقصاً حاداً، وتراجعت فاعليتها، رغم التزايد المستمر في عملية إحصائها، إلى أن وصل الحال إلى انكماش عدد العمليات إلى أقل من 2% من مستواه الأعلى، وذلك فقط خلال فترة تقل عن العام؛ فعملياً، هذا الحال يعتبر أشبه بالانهيار الكامل! بل نجد أن هذا التراجع قد طال حتى جهدهم الإعلامي، حيث أننا نجد ثغرات زمنية في الفترات المتناولة بين التقارير 58 و59 و60، وكذلك نلاحظ التأخر الحاصل في إصدار هذه التقارير لعدة أسابيع أو أشهر، بالإضافة إلى التراجع في توثيق عملياتهم ببيانات يومية كما قد كانوا يفعلون، وكما لاتزال تفعل الكثير من الجماعات المجاهدة الأخرى.

فكان هذا الانحسار الحاد كفيل بأن يجعل ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، وريثة مجلس شورى المجاهدين، تتراجع تراجعاً مخيفاً على كافة الأصعدة، فأُنزِلت من موقعها، موقع الصدارة، بين الجماعات المجاهدة إلى موقع لا يبعد عن المؤخرة، والله المستعان.

ولا يغني عنهم في ذلك شيئاً قيامهم بعمليات نوعية كبيرة حول المنطقة الخضراء وفي بغداد عموماً كل بضعة أشهر؛ فالعمل الجهادي ضد محتل غاشم كالمحتل الأمريكي وعملاءه، خاصة في حال حرب العصابات وحرب المدن، يتطلب عمقاً وانتشاراً أكبر بكثير، ونَفَسَاً طويلاً يركز جهوده على بناء قاعدة صلبة والإبقاء عليها وعدم الالتفات إلى إغراءات الظهور الإعلامي بالعمليات الضخمة خاصة مع ما تتطلبه هذه العمليات من جهود هي أحق أن توجه إلى غيرها، وقبل كل ذلك فهو يتطلب دعم شعبي كاسح كفيل بضمان الصمود حتى في وجه خيانات بعض ضعاف النفوس.

فأما خطوة الإعلان عن (الدولة)، فلقد كانت كفيلة بإفقاد المجاهدين أهم عوامل بقائهم بفقدهم أحد أهم الركائز الأساسية في إستراتيجية حرب العصابات، ألا وهي السرية والمباغتة. فعند التحول من جماعة جهادية إلى دولة، تتحول الجماعة من عمقها السري إلى الإطار العلني، مفقدين لأنفسهم بهذه الخطوة أهم الأوراق بأيديهم؛ فمن ناحية، فواجبات القادة لم تعد محصورة في التدابير القتالية، بل من المفترض عليك في الدرجة الأولى تدبير كافة أمور الدولة، بما في ذلك أمور القتال؛ ومن ناحية أخرى، وهي الأهم، فلقد تم انكشاف الغطاء الشعبي المتمثل بالعشائر العراقية مما يسهل للعدو فرصة اصطيادهم وتحييدهم، وظهر ذلك جليا بعمليات الدهم والاعتقال وحتى التصفية الجسدية لأهاليهم، ولقد كان هذا من أهم عوامل انفضاض كثير من العشائر من حول المجاهدين، مما قد أفقدهم الجانب الأهم من حاضنهم الشعبي.

وكذلك، فهذه الخطوة غيرت معادلة الصراع لصالح المحتل بصورة أخرى: فالقيادة الأمريكية لم تكن تملك رؤية واضحة للخريطة الجهادية في العراق، وما نقصده هنا هو مناطق النفوذ والسيطرة للقوى الجهادية ككل، الأمر الذي جعل القيادة الأمريكية تتعامل مع الحالة الجهادية ككيان موحد، ويظهر ذلك جليا عبر حُزَم الإستراتيجيات التي كانت تتبعها قبل إعلان (الدولة)، ولكن بعد إعلانها انقشعت

الحالة الضبابية وأصبحت الخارطة الجهادية برمتها واضحة المعالم، مشكِّلةً ألواناً متعددة لمناطق نفوذ وسيطرة الفصائل الجهادية المختلفة.

شكلت تلك الصدوع والشقوق بين الأطراف الجهادية حالةً مثاليةً للأمريكان، الذين مازالوا آنذاك ينتهجون الخطة التي رسمها لهم سفيرهم السابق، جون نيغروبونتي، الذي أشرف على تأسيس وتنظيم فرق الموت، والذي بقي في العراق طاقمه الذي استدعاه من محل عمله السابق في أمريكا اللاتينية، وعلى رأسهم دوين كلاريدج، فتكفلت فرق الموت تحت إدارتهم بتفعيل الحزام الناري الفاصل بين الفصائل الجهادية المختلفة، وبالتالي مناطق نفوذها، فتم استهداف هذه القواطع، مطلقة العنان للشحن الميداني بينها، والذي وصل في كثير من الأحيان إلى الصدام المسلح، وبالتالي انحسار حجم التأييد الشعبي؛ وكل ذلك أدى في النهاية لتشكيل خيارات متعددة لقادة الإحتلال الأمريكي في العراق لتمرير أهدافهم الخبيثة.

ثم تبعت تلك الخطوة خطوةً أخرى، كانت كفيلةً بنسف الجانب الأعظم من إمكانات المجاهدين القتالية، وهي وضع كامل الثقل وراء معركة بغداد، في مقابل استثمارها للأمد الطويل في كسب مدينة كركوك. فمعركة بغداد هي معركة خاسرة مسبقاً، والسبب الأساسي في ذلك، بالإضافة إلى التواجد الكثيف للاحتلال وعملائه، هو الثقل الكبير لمدينة الثورة، أو ما يسمى اليوم مدينة الصدر، حيث أن عوام الشيعة القاطنين فيها الموالين لميليشيات الصدر وفيلق بدر – عليها من الله ما تستحق – لن يترددوا أبداً في الوشاية بالمجاهدين. بينما الوزن الاستراتيجي الحقيقي هو في كركوك، والتي وصفها آية الشيطان السيستاني – أخزاه الله– بقوله: [عمامة الإمام هي كركوك]؛ حيث نجد أن هناك ثقل العراق النفطي والعصب الاقتصادي الحقيقي، وهناك المناطق الجبلية المهيأة لحرب العصابات، وهناك نجد أن الأحزاب الكردية العلمانية قائمة بعملية تهجير جماعي لأهل السنة العرب والذين عليه سيكونون خير حاضنٍ للمجاهدين؛ فالكل يطمع في كركوك: شيعة الجنوب، والعلمانيون من أكراد الشمال، بل وحتى الموساد الإسرائيلي المتمركز فيها، فكان الأولى للمجاهدين قياس الأمور بهذا المقياس والتهيؤ بنَفَس طويل للصبر على حرب طويلة الأمد. ولهم في هذا أخذ العبرة من إخوانهم الأفغان في حربهم للروس، الذين حاولوا فاشلين جرَّ المجاهدين بعيداً عن الجبال إلى المناطق الصحراوية غرب البلاد، وربما مع ذلك جرهم إلى صراع جانبي مع الشيعة القاطنين تلك المناطق، ولكنه بحمد الله لم يحصل؛ وكذلك فالمجاهدين الأفغان في حربهم مع الروس، وكذلك الآن في حربهم لحلف الناتو بقيادة أمريكا، وباستثناء العمليات المحكمة التي تهدف إلى إرعاب العدو وهز نفسيته، لا يدخلون كابل إلا فاتحين – بإذن الله ونصره – بعد أن أحكموا نفوذهم على سائر الولايات في بلادهم. فمحاولة حسم المعركة سريعاً، واختيار المنطقة الخضراء ميداناً لذلك، لهو عين الاستعجال وقصر النظر: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ**

﴿وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، (البقرة؛ 2: 153 – 157).

أما انتهاء مجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) مؤخراً وفي نهاية المطاف إلى تركيز أغلب جهودهم على تنفيذ بضع عمليات نوعية ضخمة كل عدة أسابيع أو أشهر، فأمر له دلالات سيئة على ما آلت إليه حال الجهاد في بلاد الرافدين: فهو استكمال لمسيرة العجلة، البعيدة كل البعد عن منهج الصبر والمصابرة؛ وهو استنزاف لموارد وخبرات نادرة التوفر، خاصة في ضوء ما تتطلبه مثل هذه العمليات من تخطيط دقيق، وما قد ينشأ عنها من قرائن تدل على تحركات المجاهدين؛ كما أنه قد تُستَغَل مثل هذه العمليات في الأجواء الراهنة لتصفية حسابات بين أجنحة حكومة الاحتلال، البعثية منها والرافضية، وهو صراع لا ناقة للمجاهدين فيه ولا جمل؛ والأخطر من ذلك كله دلالته عن حالة في صفوف المجاهدين تعبر عن محاولة لاثبات الوجود، والمحاول إثبات وجود نفسه لهو بحقّ الشاكُّ في وجودها!

وللمجاهدين دروس وعبر مما حصل من الانحسار المخيف لعملياتهم:

- **قاعدة عامة عن الواقع:** يتحتم على المجاهدين التفاعل مع الواقع والتكيف معه والعمل فيه، مهما كان هذا الواقع مُراًّ وصعباً، لا محاولة صنع واقع مثالي خيالي جديد مفتقر إلى كل المقومات الموضوعية على أرض الواقع؛ وعلى رأس ذلك تسرعهم في الإعلان عن دولة قبل توفُّر مقومات وجودها، ناهيك بتوفير أدنى أسباب بقائها. ومن ذلك أيضاً:
- **كون الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالسلاح:** ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (التوبة؛ 9: 9)؛ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (الصف؛ 61: 11)؛ ومن ذلك عدم التقليل من قدر دور الريال السعودي والدينار الأردني في شراء رؤوس العشائر، ووجوب العمل على مقاومة مفعول ذلك بالبذخ في العطاء لأعضاء العشائر وصغارهم، وذلك حتى يكون أي قرار بالخيانة آتٍ من قادتهم مفروغ المحتوى والمفعول.
- **وجوب التأقلم مع البيئة المحيطة:** التنظيم هو كائنٌ متناغمٌ فكرياً وشرعياً وعقدياً ومذهبياً واجتهادياً؛ وعليه فإن التنظيم، وأعضاء التنظيم، إذا تفاعلوا مع غيرهم، سواءاً كانوا أفراد أم جماعات أم تنظيمات أخرى، خاصة المناوئة منها للاحتلال، وجب عليهم قبول الاختلافات في المجالات آنفة الذكر والتعامل مع جميع الأطراف كواقع، والتعاون على المتفقات، لا مقاطعة الآخرين بناءاً على بعض الاختلافات؛ ويكون كل ذلك وفقاً لإطار البيئة المحيطة بها. فبيئة العراق، كما هو معلوم، ليست بيئة سلفية ولا حنبلية، بل بيئة يغلب عليها الطابع المذهبي الحنفي والشافعي، وبها شيعة اثنا عشرية، وبها كفرة أصليون من النصارى والصابئة واليزيديين، وبها شريحة لا يستهان بها من عوام المسلمين الذين بقي لديهم رواسب فكرية

شيوعية واشتراكية وبعثية بسبب النظام السابق، ناهيك عن العلمانيين الخُلَّص المؤمنين بالاشتراكية وغيرها! هذه ليست دعوة إلى العلمنة والكفر – كلَّا والله – بل العكس تماماً: هذا إقرار وتذكير بواجب رد كل أمرٍ إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بعكس تبني الآراء والاجتهادات المذهبية، كما سيأتي تفصيل ذلك في قسم لاحق. وللمجاهدين العبرة بالتجربتين الأفغانية والشيشانية، مع الفوارق: فنجد أن المجاهدين العرب في أفغانستان قد تأقلموا مع البيئة الحنفية الديوبندية المنتشرة بين أنصارهم ومضيفيهم الأفغان؛ وكذلك الحال بالنسبة للمجاهدين العرب في البيئة الشيشانية ذات الخلفية الصوفية والطعم الوطني، حيث أننا لم نجد القائد الشهيد، كما نحسبه، خطاب – رحمه الله وتقبله في عليين – آمراً نساء الشيشان بارتداء النقاب (ناهيك عما ابتدعه البعض من التفريق بين ما زعموه "حجاب العادة" و"حجاب العبادة" بفضل خيالهم الجامح المريض!)؛ وكذلك، فلم نره – رحمه الله – يمنع الشيشانيين من الاحتفال على أنغام الموسيقى بانسحاب الروس في حرب الشيشان الأولى! بل إنه – رحمه الله – لم يعرف تناقضاً بين مشاركته فرحتهم والتصور معهم رافعاً راية التوحيد بينما المعازف تدق، والأنغام تطرب! ونذكر القراء بمدى مرونة المؤمن في تعامله مع المحدثات: ألم يقل أسد الإسلام الشيخ أبي عبد الله أسامة بن لادن – حفظه الله وأيده بنصره – في رسالته إلى أبناء الرافدين ما نصه: [ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين... وتقاطع المصالح لا يضر، فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء]، انتهى. ألم يقل سيد المرسلين، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله: [مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة]، كما أخرجه البخاري في صحيحه (ج5/ص2137/ح5319) بأصح أسانيد الدنيا: [حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن سعد عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قاله؛ وقال زكريا حدثني سعد حدثنا بن كعب عن أبيه كعب عن النبي، صلى الله عليه وسلم] وأخرجه البخاري في صحيحه (ج5/ص2138/ح5320)، و(ج6/ص2716/ح7028)؛ وأخرجه مسلم في صحيحه (ج4/ص2163/ح2809)، (ج4/ص2164/ح2810)؛ وكذلك جمهور الأئمة في مصنفاتهم بأسانيد صحاح وحسان عن كعب بن مالك، وأبي هريرة، وجابر؛ وربما قال: [مثل المؤمن كمثل السنبلة].

- **الفرق الشاسع بين تفكير التنظيم وتفكير الدولة:** إذا كان على الجماعة الجهادية التأقلم مع بيئتها والتعامل معها، فالأمر آكد بالنسبة للدولة في تعاملها مع رعاياها، خاصةً في مجاليَ المعطيات والتبنيات؛ فكما أسلفنا من كون التنظيم متناغماً داخلياً، فالدولة ليست كذلك، ويجب

عليها أن تكون حلقة شاملة تجمع الجميع؛ وعلى القائمين عليها التعامل مـع جميـع الأطـراف المنضوية تحتها وفقاً للبيئة المحيطة بها، كما سلف. فتعامل الدولة مع رعاياها يختلف اختلافـاً جذرياً عن تعامل الجماعة مع أنصارها؛ وفشل تجربة ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) في هذا المجال هو تماماً كفشل حكومة حماس في غزة؛ فكلاهما لم يراعي ولم يتقبل اخـتلاف الأطيـاف الفكرية والاجتهادية والسياسية في رعاياها، وكلاهما تعامل مع الشعب المتنـوع الأطيـاف كمـا تعودوا على التعامل مع أعضاء الجماعة ذوو الطيف الواحد؛ ففقدت ما يـسمَّى (دولـة العـراق الإسلامية) حاضنها الشعبي، وارتكبت حماس جريمـةً شـنعاء بـذبحها للـسلفيين في ملحمـة المسجد الأبيض، معطين بذلك الضوء الأخضر لإسرائيل لتفعل مثل فعلتهـا في المـسجد الأقـصى، حماه الله من دنس يهود.

وقد يعترض معترض في هذا المقام ويقول: [ولكن العمل الجهادي في العراق قد تقلص بشكل عام، فلِـمَ كل هذا التحامل على ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) بالذات؟] فجوابنا على ذلك من جوانب:

1) العمل الجهادي في العراق قد تقلص نسبياً بشكل عام، ولكن تقلص مجلس شورى المجاهـدين بعد تحوله إلى ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) هو أشبه بالانهيار التام، خاصة إذا مـا قـورن بغيره من الفصائل، نخص منهم بالذكر جماعة أنصار الإسـلام. فأنـصار الإسـلام قـد أثبتـوا كفاءتهم في الميدان، كونهم من أوائل، إن لم تكن أقدم، الجماعات الجهادية عـلى أرض العـراق، كونها تأسست في عهد النظام البعثي السابق. فهي ذات خبرة طويلة، وريثة خبرة أجيال، وعمق أصيل في أرض الرافدين، وبين كافة أطياف أبنائه المخلصين، الأكراد منهم والعـرب والتركمـان. ولا يشك أحد في نقائهم الشرعي: فهذه تأصيلاتهم وتبنياتهم الفقهية الرصينة منشورة وموثقة؛ وتلك تحليلاتهم الميدانية الدقيقة، السياسية منها والقتالية؛ وهم لم يتورطوا في مـشاريع دنيئـة كمشـروع ما يسمى بـ(الصحوات). فمربط الفرس أنهم قد أثبتوا كفاءتهم التنظيمية والقتالية والعملياتية رغم الصعاب؛ فرغم تقلص عملياتهم مع تقلص العمل الجهادي عموماً، فلم يحصل لهم ما حصل لمجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)؛ فما زالت جماعة الأنصار مبقية عـلى جزء كبير من قدراتها القتالية، وموثقة لذلك ببيانات شبه يومية، وإصـدارات إعلاميـة دوريـة، وأبحاث وبيانات قيمة بين الفينة والفينة.
2) ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) هي وريثة تجربة جهاديـة نوعيـة، ابتـدأت بتأسـيس أمـير الاستشهاديين أحمد الخلايلة – أبي مصعب الزرقاوي – تقبله الله ورفـع درجتـه في عليـين – لجماعة التوحيد والجهاد، مروراً بمبايعته قيادة تنظيم قاعـدة الجهـاد العالميـة، ثـم المـضي في خطوة مهمة جداً وهي تكوين مجلس شورى المجاهدين في العراق مع عدد من الفصائل الأخرى؛ ولقد كانت لهذه الجماعة مشاركة فعالة، بل جوهرية وقياديـة، في المـسيرة الجهاديـة في بـلاد الرافدين؛ ابتداءاً بالضربة القوية على مقر الأمم المتحدة، التي كفلت أمر فرارهم وكشف نفاقهم، ثأراً لتجويعهم الشعب العراقي المسلم لأكثر من عقد من الزمـان، ثـم معركـة الفلوجـة الأولى، ومروراً بغزوة الشيخ المجاهد أبي أنس الشامي – رحمه الله – عـلى سـجن أبـي غريـب، وإلى

معركة الفلوجة الثانية، وغيرها من الملاحم العظام. فكان جديراً بهذه الجماعة الإبقاء على مكانتها الريادية بين الجماعات وأن تكون قدوة يحتذى بها بالاستمرار في التنازل لإخوانهم المجاهدين في سبيل توحيد الصف، وكان فرصتهم في ذلك العمل الجاد على توسعة نطاق مجلس شورى المجاهدين، والصبر على ذاك الطريق الشاق بدل استباق الحدث بالمسارعة في الإعلان عن دولة لم تتوفر شروطها الشرعية، ومقوماتها الموضوعية، بعد.

3) إن القطيعة التي أحدثتها إنشاء ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) مع جماهير الناس، ومشيخة العشائر كانت من أهم عوامل تفاقم ظاهرة (الصحوات) الخيانية، إن لم تكن هي السبب المباشر لنشئتها، وما ترتب عليها من توجيه ضربات قاصمة للجهاد في العراق. فنشوء ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) كان من أهم أسباب تفاقم الصحوات، وتراجع الجهاد، وليس العكس كما يزعم المطبلون لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) في المنتديات المشبوهة، منتديات الضرار!

وبما أن البشر كافة يصيبون ويخطئون، ففخرٌ للمخطئ أن يعترف بخطئه ويتراجع. فـ[**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**]؛ كما أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (ج4/ص272/ح7617): [أخبرنا الحسن بن يعقوب العدل حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا زياد بن الحباب حدثنا علي بن مسعدة الباهلي عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قاله رسول الله، صلى الله عليه وسلم]؛ وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه (ج4/ص659/ح2499)؛ والإمام ابن ماجه في سننه (ج2/ص1420/ح4251)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص198/ح13072)؛ والإمام أبو يعلى في مسنده (ج5/ص301/ح2922)؛ والإمام عبد بن حميد في مسنده (ج1/ص361/ح1197)؛ والإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ص62/ح34216)؛ والإمام الدارمي في سننه ج2/ص393/ح2727)؛ وغيرهم.

فللمشفق على حال الجهاد في العراق وما آلت إليه مؤخراً التمعن في الأسباب وراء تراجعها، ولن ينكر إلا مكابر أن بعض الأخطاء الجسام التي وقعت قد ساهمت مساهمة مباشرة في ذلك التراجع، وأن من أخطر هذه الأخطاء ما ترجع إلى خدعة الشيطان القديمة المتمثلة في الثلاثي القاتل: **العجلة، وتزكية النفس والإعجاب بها، ثم المكابرة والإصرار على الخطأ.**

قراءة في بعض الأخطاء القاتلة؛ وتنبيه للإخوة المجاهدين في الصومال واليمن وباكستان

يقول الشيخ أبو عمر البغدادي – رحمه الله وتقبله في عليين – في ثالث شريط صوتي له بعنوان **(قل إني على بينةٍ من ربي)** بتاريخ 13 مارس 2007م مستقرئاً أهداف خطة مؤسسة راند لضرب الجهاد والمجاهدين في العراق: [**أولاً:** فك الارتباط والتلاحم القوي بين دولة الإسلام وقاعدتها الشعبية الكبيرة. **ثانياً:** محاولة ضرب الدولة الإسلامية بالمجموعات الجهادية الأخرى. **ثالثاً:** إقصاء التيار

الجهادي العالمي من ساحة المعركة لصالح تيارات وطنية أكثر اعتدالاً وانفتاحاً وتشويه صورته العالمية. **رابعاً وأخيراً:** القضاء على الجهاد في بلاد الرافدين وضياع أمل الأمة فيه] انتهى.
ويحقّ لنا التساؤل بعد ثلاث سنين: ما الذي جرى على أرض العراق لكي يجعل هذه الأهداف تمرر بما يقارب النجاح التام، عياذاً بالله؟

ضوابط التبني الفقهي وصلاحيات الدولة

وحتى لو سلمنا جدلاً بأن إقامة ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) كان آنذاك جائز شرعاً، وممكن واقعاً، وهو لا هذا ولا ذاك، فإن من المقطوع به أن المؤسسين تنقصهم الكفاءة الفقهية، والملكة السياسية، والخلفية الفكرية التي لا يمكن أن تقوم دولة إسلامية عصرية، على منهاج النبوة، بدونها؛ فمثلاً يقول الشيخ أبو عمر البغدادي في نفس الشريط **(قل إني على بينةٍ من ربي)** عن ثوابت ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، رداً على أكاذيب أشيعت: [(1) نرى وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله؛ (2) الرافضة طائفة شرك وردة وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة؛ (3) نرى كفر وردة الساحر ووجوب قتله وعدم قبول توبته في أحكام الدنيا بعد القدرة عليه]؛ ثم فصل في مسائل ضوابط التكفير ومسائل الجهاد، ثم قال: [(12) نرى أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعليه إن أرادوا الأمن والأمان فعليهم أن يُحدِثوا عهداً جديداً مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية التي نقضوها. (13) نرى أن أبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة إخوة لنا في الدين ولا نرميهم بكفر ولا فجور إلا أنهم عصاة لتخلفهم عن واجب العصر وهو الاجتماع تحت راية واحدة؛...؛ (18) نرى وجوب تعلم الأمة أمور دينها وإن فاتها بعض حظوظ الدنيا، ونوجب من العلم الدنيوي ما احتاجت إليه الأمة وما سوى ذلك فهو مباح مالم يخرج عن ضوابط الشرع الحنيف؛ (19) نرى تحريم كل ما يدعو إلى الفاحشة ويعين عليها كجهاز الساتلايت، ونوجب على المرأة وجوباً شرعياً ستر وجهها والبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطهر] انتهى.

هذا كلام مؤسف يدل على أن قائله ينطلق من خلفية فقهية ضيقة محدودة قاصرة، وهو مع ذلك معجب برأيه، ضارب بكل اجتهادات الأئمة السابقين عرض الحائط، معرض عن كل ما أنتجه الإسلاميون المعاصرون من مراجعات وفكر جديد بُنِيَ على كتاب الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم. هذه العقلية والنفسية لا تأخذ في الاعتبار حدود صلاحيات الدولة الإسلامية، وقيود التبني – تبني الأنظمة واللوائح – كما أشرنا إليه في كتابنا **(الحاكمية وسيادة الشرع)** ثم أشبعناه تفصيلاً في باب متكامل من كتابنا: **(طاعة أولي الأمر: حدودها وقيودها)** هذا من حيث المبدأ وعلى الإجمال؛ أما على التفصيل فقد تبنى في جميع النقاط التي ذكرها في النص القصير الذي أوردناه آنفاً أحكاماً معينة

خالف فيها جمهور الفقهاء ومقتضى الأدلة، وكيفية الاستدلال الصحيح. ولعلنا نعود إليها بالتفصيل الممل في مقام آخر ونكتفي ها هنا بالإحالة إلى كتابنا: **(كتاب التوحيد: أصل الإيمان وحقيقة التوحيد)** فيما يتعلق بالنقطتين: (1) فليس كل ما زعمته الدعوة الوهابية شركاً هو شرك حقاً، وكل ما أسماه (وسائل الشرك) إن كان كذلك بحق فقد استوعبته النصوص الصحيحة بحمد الله، وما سوى ذلك فما هي إلا وساوس ابتدعها القبوريون الوهابيون المهووسون (في مقابل خصومهم القبوريين الخرافيين!)؛ و(3) فليس كل ساحر مرتد كافر، ولا صحة لما قيل من أن حد الساحر ضربة بالسيف، ثم هل امتلأ العراق بالسحرة حتى تحتاج الدولة إلى أن تتبنى في هذا، بدلاً من تركه للقضاة؟! أما النقطة (2) فمتناقضة ذاتياً: فإن سلمنا – جدلاً وخلافاً لجمهور الأئمة، وجماهير الأمة - بأن الرافضة طائفة شرك وكفر، وليست من فرق أهل القبلة، فهم إذاً كفار أصليون، وليسوا مرتدين، لأن أجدادهم الأوائل هم الذين ارتدوا، فما معنى لفظة (ردة) ها هنا؟! وإن كانوا كذلك، أي ليسوا مسلمين أصلاً، فلا معنى للكلام عن امتناعهم عن (عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة)؟! كلام فارغ: ينقض أوله آخره!

أما بالنسبة للنقطة (12) فهي قطعاً خطأ على إطلاقها: فليس ذمة كل كتابي قد انفسخت، والطرف الآخر في عقد الذمة هم المسلمون أو بعضهم، وليست الدولة؛ والأمة الإسلامية باقية، وكذلك أفراد المسلمين موجودون بحمد الله، وذمتهم موجودة، ولم ينعدموا بانعدام الدولة. والنقطة (13) هي موضوع بياننا هذا: فأبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة ليسوا عصاة، لأنكم لستم دولة تجب طاعتها على الكافة، وحتى لو كنتم دولة بحق، فقد توجد أحوال لا يجب فيها الانضمام تحت تلك الراية؛ أما بالنسبة للنقطة (18) فلا معنى للجملة: (وإن فاتها بعض حظوظ الدنيا) فلا نعلم واقعاً مفهوماً لهذا الكلام الغامض، اللهم إلا إذا كان المراد هو حشر الناس جميعاً في فصول لدراسة الدين، بحيث يتعذر عليهم تكسب معاشهم، أو بعضه، فإن كان هذا المقصود فباطل: فما أوجب الله ذلك على أحد قط! وأما النقطة (19) فتمثل عقلية الغلو والوسوسة، خصوصاً فيما يتعلق بقضايا المرأة، أفضل تمثيل: فالشرع، بحمد الله، قد نص على كل ما يحمي من الوقوع في الفاحشة: تحريم الخلوة، ستر العورة، الاستئذان،... إلخ، فلم تعد هناك حاجة أصلاً لتحريم ما أحل الله من مواد الكون ووسائله كجهاز الساتلايت، أو إيجاب ما لم يوجبه الله ورسوله كالنقاب، أو ابتداع ألفاظ أو مفاهيم لم يأذن بها الله، مثل لفظة (الاختلاط).

فأنت ترى في هذا النص القصير حجم القصور الشرعي الرهيب، والخلل الفكري المرعب، الذي يعاني منه القائمون على ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية).

أما الخلل في الفكر السياسي فهو أشنع وأقبح ذلك أنَّ ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، إن كانت دولة أصلاً، هي الآن في حالة قتال ودفع صائل، وكر وفر، وهي حالة اضطرار، تباح فيها المحظورات بقدر الضرورة، وهذا ليس الوقت المناسب لكثير مما قامت به من الأعمال (حتى إن سلمنا جدلاً أنه كان من صلاحياتها)، لأنها:

1) ستستغل من قبل الإعلام المعادي، وحسبنا ما نحن فيه من مشاكل.
2) هناك طرق سلمية يمكن اتباعها مع المخالفين بعد استقرار الأمور، مما سيحول دون انفضاض هؤلاء من حول الجماعة وانضمامهم إلى الطرف المعادي أثاء مرحلة الكر والفر.

ولو أن رجالات ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) قد كلفوا أنفسهم عناء قراءة كيف تعامل إمام الهدى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضوان الله وسلامه عليه، مع الخوارج لكفاهم مؤونة التصادم مع أكثر المخالفين لهم، سواءً كان خلافاً بحق أو بباطل.

النزعة المذهبية البغيضة: قصة المجاهد أبي سليمان العتيبي – رحمه الله – نموذجاً

قبل ثلاث سنين، وفي تاريخ 11 إبريل 2007، أخرج الإخوة في مؤسسة الفرقان كلمةً مرئيةً بعنوان **(لماذا نجاهد؟)**، المتحدث فيها هو المجاهد أبو سليمان العتيبي – رحمه الله – والذي قُدِّم في الشريط بأنه (القاضي الشرعي لدولة العراق الاسلامية). بعد صدور الشريط بأربعة أشهر ونصف تحديداً، في تاريخ 25 أغسطس 2007، صدر بيان من (مكتب أمير المؤمنين) جاء فيه ما نصه: [فبناءً على مقتضياة المصلحة الشرعية، فقد قرر مكتب أمير المؤمنين الشيخ أبي عمر البغدادي "نصره الله" عزل الأخ القاضي "أبو سليمان العتيبي" وتعيين الأخ الشيخ "ابو إسحاق الجبوري" قاضياً عاماً لدولة العراق الإسلامية، هذا ونبشر أمة الإسلام أن المحاكم الشرعية والقضاة في جميع ولايات دولة العراق الإسلامية ماضون في تطبيق شرع الله وإقامة الحدود وخصوصاً في مسائل **(السراق وقطاع الطرق والزناة ودعاة السحر والكهانة وقضايا الدماء والأموال بين الناس وتسوية الأوثان والقبور التي تعبد من دون الله)** وغيرها من المسائل والقضايا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء] انتهى. (منقول من البيان حرفياً، بما في ذلك الأخطاء الإملائية والنحوية والفقهية والنظامية).

البيان لم يذكر سبب إقالة العتيبي – رحمه الله – إلا أننا قد نستقرئ جانباً من ذلك من صياغة البيان: فالبيان يشير إلى [**<u>عزل الأخ</u>** القاضي أبو سليمان العتيبي] وفي المقابل يشير إلى [**<u>تعيين الأخ الشيخ</u>** أبو إسحاق الجبوري] في محله. فهل نَزْعُ ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) لقب (الشيخ) عن العتيبي، والذي استخدموه في وصفه سابقاً، له دلالة عن تغير في تقديرهم لأهليته، رحمه الله؟ ليُقرَأ هذا في سياق خبرين تناقلتهما المنتديات في حينها: الأول عن خلفيته العلمية – رحمه الله – والثاني عن سبب إقالته. أما عن خلفيته، فالخبر أنه كان أحد طلبة العلم المتميزين في حلقات مشيخة الرياض، وكان حافظاً لكتاب الله وبعض كتب الحديث فصار إماماً لمسجد حيّه، ثم نفر للجهاد في العراق. أما خبر السبب وراء

إقالته فقد أشار إلى [تأليب العامة من الدهماء أصحاب القلوب الضعيفة] ضد ما يسمَّى (دولة العـراق الإسلامية) لعدم رضاهم بمبايعة (دولة) قاضيها الأعلى هو شاب نجدي [يبلغ من العمر الــ28 عامــا] ليحكم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم ويأمرهم وينهاهم، بينما هم شـيوخ عـشائر لـيس في رجـالهم قصور ونقصان وقد ورثوا هذه الأرض كابراً عن كابر [إلى آخر هذه الوساوس الشيطانية] كمـا يقـول صاحب الخبر، فتم تعيين الشيخ الجبوري محله.

ولكننا نتساءل: أليست هذه الاعتراضات في محلها؟ فبناءاً على ما نعرفه عـن العتيبـي – رحمـه اللـه – فتعيينه من قبل ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) ابتداءاً يدل على أحد ثلاث احتمالات، كلها سيئة:

1) (الدولة)، والتي يفترض أنها منتشرة في جميع مناطق السنَّة في العراق، قد خلت تماماً من علماء مؤهلين لتولية القضاء، حيث أن كبيرهم طالب علم نجدي، حديث السن.
2) (الدولة) لم تَخْلُ منهم، ولكنها إلزام الناس بمذهب دون مذهب، وضرب بقية المذاهب الفقهيـة، خاصة الشافعية منها والحنفية الغالبة في البيئة العراقية، عرض الحائط.
3) لم يكن هذا ولا ذاك، ولكنها مجرد بلادة حس عجيبة من القائمين عـلى (الدولـة)، حيـث أنهـم فشلوا في استشعار أن توليتهم القضاء الأعلى لشاب نجدي لم يتجاوز الـثلاثين من عمـره تعـبر حتماً عن رسالة، ولو ضمنية، متغطرسة ونظرة دونية إلى رعاياها.

ولعلنا نكرر استغرابنا وسؤالنا: **هل امتلأ العراق بالسحرة**، حتى تحتاج الدولة إلى أن تـذكر **(دعـاة السحر والكهانة)** في أكثر من بيان؟!

ثم لنا وقفة أخرى مع المجاهد أبي سليمان العتيبي – رحمه اللـه وتقبلـه في عليـين – لهـا دلالات عـن طبيعة ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية): أهي فعلاً دولة تتصرف تصرفات الدولة، أم أنهـا تتـصرف تصرفـات جماعة جهادية محضة؟

بعد تسع أشهر من عزله عن منصب القضاء الأعلى في ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، صدر بيان عن تنظيم قاعدة الجهاد في أفغانستان، بقلم القائد المجاهد الشيخ مصطفى أبي اليزيـد، أنبـأت عـن خـبر استشهاده ورفيقه أبي دجانة القحطـاني – رحمهمـا اللـه وتقبلهمـا في عليـين – في ولايـة بكتيـا في أفغانستان، والتي نفر إليها قبل ذلك بست أشهر، أي بعد عزله عن منصب القضاء في ما يسمَّى (دولـة العراق الإسلامية) بثلاث أشهر. فالتساؤل الذي يفرض نفسه هو: كيف يسوغ لأحـد عـوام رعايـا مـا يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، ناهيك عن أحد خواصها وأحد الرجال القائمين عليها، ولـو سـابقاً، أن يقال من البيعة لإمام شرعي وأن ينتقل إلى ساحة جهاد أخرى؟! لا يقـال أن القتـال مـستعر في ديـار المسلمين في أفغانستان، فالحال كذلك في العراق، فكيف له أن يذهب إلى غيرها؟! أم أنه لا وجـود لدولـة أصلاً، وإنما هي جماعات وتنظيمات جهادية منتشرة في طول الأرض وعرضها تتبادل الخبرات؟!

جوهرية العامل الزمني في الخطوات السياسية: القرار الأمريكي بتقسيم العراق نموذجاً

مشروع تقسيم العراق إلى دويلات هو مشروع صليبي قديم، لا جديد فيه إطلاقاً، ولقد بدت ملامحه للعيان راسخة وبجلاء أثناء الحصار المدمر الظالم على شعب العراق المسلم، وذلك في رسم الأمريكان لمعالم حظر الطيران في البلد. أما إذا بحثنا في التاريخ، فسنجد أن هذا المشروع كان حلماً اشترك فيه ألد أعداء هذه الأمة عبر الأجيال، وذلك لوعيهم العميق بثقل العراق ووزنه الحقيقي في هذه الأمة؛ فنجد أن مذكرات الإرهابي الصهيوني **بن غوريون** قد تطرقت مراراً وتكراراً إلى موضوع تقسيم العراق، ومنه إلى تقسيم المنطقة ككل؛ كذلك، فإن المجرم السفاح الصهيوني الصرف **هنري كيسنجر**، والذي يعتبر العقل المنهج للسياسة الأمريكية الخارجية، قد تطرق، وبشكل مفصل، في مذكراته المعنونة بـ(سنوات العصف) لأهمية تقسيم وتمزيق العراق وفق مبدأ المذهب والعرق، أي: سنة وشيعة وأكراد، بل إنه أعطى بنود العمل اللازمة لذلك؛ وقام المستشرق الأمريكي المشهور بالبعد كل البعد عن الحيادية **برنارد لويس** بوصف العراق بشكله الحالي بأنه [خطأ بريطاني فادح يجب إعادة صياغته من جديد]؛ ويمكننا فهم طبيعة تفكير العقلية الصهيونية بشكل جلي من تصريحات المؤرخ الصهيوني **بيني موريس** الذي قال، مشيراً للعراق، بأنها "دولة مصطنعة أنتجها البريطانيين، ومزجوا فيها عشوائياً شعوباً وطوائف غير متجانسة، ولا يمكن أن تتعايش فيما بينها"؛ وفي عام 1982م قامت مجلة كيفونيم بعرض تقرير **(إستراتيجية إسرائيلية للثمانينات)**، والتي كان من جوهرها أهمية تقسيم العراق على مثل هذه الأسس؛ وقد اعتبر كبير مجرمي الحرب اليهودي الصهيوني **أرييل شارون** مسألة تفكيك العراق مسألة مصيرية تفوق بدرجات كثيرة تقسيم أي رقعه جغرافية أخرى في المنطقة؛ كما أن الصحفي **سيمور هيرش** تطرق وبشكل واضح لمدى التعاون المبرم لتقسيم العراق بين الأحزاب الكردية الاشتراكية والكيان السرطاني الصهيوني؛ وفي عام 1996م تقدم أعضاء الكونغرس الأمريكي بمشروع التقسيم الثلاثي إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي المجرم **بنيامين نتنياهو** خلال زيارة له لواشنطن؛ بينما وصل **ديفيد اليعازر** إلى شمال العراق، وقبل سنة واحده من الغزو، لمناقشة حيثيات التقسيم مع الأحزاب الكردية؛ في حين يعتبر المحلل الصهيوني **جاي باخور** في مركز هرتزليا أن كلا الحربين الأمريكيتين على العراق، والحصار المفروض عليها بين الحربين، ستعتبر فاشلةً من أصولها وجذورها إن لم تنجح في تحقيق هدفها الأساسي: تقسيم العراق.

بعد أن تزايدت الخسائر الأمريكية في العراق تزايداً حاداً، في أفرادها وآلياتها، كان لا بد من إيجاد محفز وجسر أمان يمكن من خلاله الإبقاء على المكاسب الراهنة (أي: الاستمرار في التحكم بالمناطق النفطية شمالاً وجنوباً)، وعزل المناطق السنِّية الملتهبة بأي صورة تمت. وعلى ذلك تم إعادة تقديم الخيار الجاهز بتقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم تحكم حكماً ذاتياً: **كردستان، وسُنِّستان، وشيعستان**. وهذا الذي تم إقراره من برلمان حكومة الاحتلال العراقية في شهر أكتوبر 2006م تحت مسمى **(قانون تشكيل الأقاليم)**، والذي تلاه بأقل من سنه إقرار مجلس الشيوخ الأمريكي قراراً غير ملزم بهذا التقسيم. وقد حظي هذا القانون بتأييد واضح من أذناب الاحتلال؛ عبر الأحزاب الاشتراكية الكردية المتسلطة على الشمال؛ وعبر الأحزاب الشيعية المتسلطة على الجنوب والوسط.

وحتى منذ 2005م وبداية 2006م، فكل تلك الأهداف السياسية لتقسيم العـراق كانـت معلومـة لـدى الشارع العراقي، مما رسخ لديهم مخاوفها الحقيقية؛ وقد كان من شأن هذا المناخ الـسياسي المـشحون والملتهب أن يثير الشارع العراقي، الأمر الذي ترجم فعلياً بزيادة الزخم الجهادي الفعَّـال أصـلاً، حتـى وصل إلى ذروته عام 2006م، مجبراً الإدارة الأمريكية على محاولـة إيجـاد حلـول للخـروج مـن هـذا الكابوس الذي هدد وجودها كدولة عظمى؛ فكان الخيار المتاح لها هو المشروع الأصلي المطروح، والـذي استخدمه الأمريكان كورقة أخيرة عن طريق (قانون تشكيل الأقاليم) بعد أن أثبتـت فـشلها الـذريع في غزوها للعراق؛ الأمر الذي زاد من التهاب الشارع العراقي المسلم، فكان رد فعله (وإن كان مـن خـلال نزعته الوطنية في كثير من الأحيان، والتي وللأسف لازالت عالقة فيه وفي غيره من الشعوب المسلمة) أنـه رفض قرار التقسيم رفضاً تاماً، معتبراً ذلك تهديداً حقيقياً لوجوده، وناظراً بأعين الريبـة والـشك لأي مـشروع متاخم ومزاحم للمشروع الأمريكي في هذه الظروف بعـد أن تجـلى لهـم أن إنـشاء أي كيـان جديد، تحت أي مسمىً كان وتحت أي شعار، في نهاية المطاف يدعم مشروع الاحتلال ويرسخ دعائمه.

فبعد إقرار برلمان حكومة الاحتلال لـ(قانون تشكيل الأقاليم) في شهر أكتوبر، قـام مجاهـدوا مجلـس شورى المجاهدين بالإعلان عن حلف المطيَّبين في شريط مرئي بتاريخ 12 أكتوبر 2006م، ثم تم الإعلان عن تأسيس ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) في شريط مرئي بتاريخ 15 أكتوبر 2006م. فبالرغم من إقرار الإخوة أن هذا القرار جاء وكردٍّ على قرار التقسيم، ومـستبِقاً حـدث التقـسيم ذاتـه لـئلا تـضيع مصالح أهل السنة [بعد أن انحاز الأكراد في دولة الشمال، وأُقِرَّت للروافض فدرالية الوسط والجنـوب] انتهى، إلا أن مجيء قرارٍ كهذا بالإعلان عن كيان جديد محصور في مناطق أهل السنة، في هذا التوقيـت ووسط هذه الحيثيات، بينما مشروع التقسيم الصهيوني هو فارضٌ نفسه وبقوةٍ في الساحة، كان أمـراً كارثياً! فالإخوة المجاهدين أخطأوا خطأً فادحاً حين أساؤوا التقـدير لكيفيـة قـراءة واسـتيعاب عامـة الشعب العراقي، الحاضن لمشروع جهادهم ضد المحتل، لقرارهم هذا. فبالرغم مما أعلنه المجاهدين مـن كون هدفهم هو مقاومة هذا المشروع، فالشارع العراقي نظر إلى قرار الإعـلان عـن مـا يـسمَّى (دولـة العراق الإسلامية) في سياق مشروع التقسيم الصهيوني لا غير، وكان هذا كفيلاً بإفقاد ما يسمَّى (دولـة العراق الإسلامية) جانباً كبيراً من حاضنها الشعبي. فأهل السنة عموماً لم يفهموا البتـة أن شـعار مـا يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) المعلن كان حماية أهل السنة وحفظ مصالحهم، حيث أنهم لم يروا أنهم في حاجة إلى حماية، كونهم آنذاك في عز القتال، والجهـاد ضـد المحتـل في ذروتـه، والأمريكـان لائـذين بالفرار؛ فكانت نظرتهم إلى القرار أنه لا يعدو أن يكون إقراراً لمشروع التقسيم، لا مواجهً، له. وكان على إثر ذلك أن ظهرت دعوات صريحة بإنهاء تواجد مجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) في المناطق السنِّية. وبدأت الدعوات، السريـة منها والعلنية، تتحول إلى أفعال وردود أفعال، تم استغلالها من قبـل المحتل الأمريكي بشكل يخدم مصالحه وبامتياز، وتمت صياغتها وفق إستراتيجية جديدة للبيت الأبيض تحت مسمى خطة بيكر - هاملتون، والتي أوضحت أن الإستراتجية قد تغيرت لكن الهدف لم يزل ذاته. فبعد أن سعت الإدارة الأمريكية جاهدةً لتقسيم العراق، وبعد أن اتضح لها حجم المواجهـة والاعـتراض على هذا المشروع، قامت بتحميل العبء على مجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، وتحويل دائرة

العداء سكباً إليهم؛ فبدأت العملية الخسيسة لتشكيل (الصحوات)، ومُسِخَ الخطاب الجهادي لدى كثير من قادة التنظيمات، وحُوِّرَ عن مقصده في مقاومة المحتل إلى مواجهة خطاب ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)؛ فتمكنت أمريكا من حصر المشروع الجهادي بشكل كبير، وبأرخص الأثمان، بأن ضربت المجاهدين بأنفسهم؛ وكانت بوابتهم لذلك – ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – الخطأ المميت الذي ارتكبه الإخوة في قرارهم في الإعلان عن ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، رغم أننا لا نشك في حسن نيتهم.

ومما يؤكد دقة هذا الاستقراء للأحداث كون المعقل القوي لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، ولفترة طويلة، ولاية نينوى عموماً، ومدينة الموصل خصوصاً، كما يظهر ذلك حتى في تقارير الدولة؛ ذلك أن الأحزاب العلمانية الكردية كانت تطمع في ضم نينوى إليهم، وأهل نينوى، ذوو الأغلبية العربية السنِّية، لم يأمنوا حكومة الاحتلال وجيشها الشيعي حماية أهليهم من هذه الأطماع الإقليمية، فلجأوا، أكثر من غيرهم، إلى مشروع ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) المتمثل في حماية مصالح أهل السنَّة من مشاريع التقسيم والتهجير على أسس عرقية ووطنية.

فبعد كل هذا السرد، وجب علينا الوقوف عند الحق والإقرار بأن ما حصل، إن دلَّ على شيءٍ، فإنما يدل على أحد احتمالين، كلاهما سيء:

1) أن مجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، وبعد استشهاد أبي مصعب الزرقاوي، أصبحوا على درجة من الغفلة السياسية حتى أنهم لا يصلحون لقيادة جماعة سياسية محدودة، أو حتى إدارة قرية صغيرة في مثل هذه الظروف، دع عنك دولة إسلامية آملة في تحرير الأقصى.
2) أو أنهم قد اختُرِقوا عن طريق بعض الخونة والمدسوسين ممن استغفلوهم، واستدرجوهم، بكل مكر ودهاء، لتنفيذ مخططات العدو.

فالدروس التي يجب أن نعيها من هذه التجربة الأليمة هي: أن التهاون في قراءة **التاريخ** قراءةً معمقة؛ وقلة مطالعة **الواقع** وجس نبض الشارع؛ والتساهل في تتبع **تحركات العدو الإستراتيجية والتكتيكية** تتبعاً رصيناً؛ والتقليل من أهمية، بل أولوية، **العامل الشعبي** في الصراع؛ وعدم تقدير **الوزن الحقيقي للتسميات**، خاصة الخطيرة منها كمسمى (الدولة): قد يجتمع كل ذلك ليساهم في تكبيد صف المجاهدين خسائر قاتلة، بغض النظر عن الإخلاص وسلامة النية، فالأخذ بالأسباب من جوهر ديننا وبديهيات الإسلام.

ليست الجماعة الجهادية الأكفأ في كل بلد فرع لتنظيم قاعدة الجهاد

جميلٌ أن يسعى المسلمون، خاصةً المجاهدين منهم، إلى التوحد تحت راية واحدة؛ فهذا هو الواجب الشرعي: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾، (آل عمران؛ 3: 103)، وهو المرضي للباري عز وجل،

ورِضَاه هو المنجي من عذابه: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يُحِـبُّ الَّـذِينَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَـبِيلِهِ صَـفًّا كَـأَنَّهُمْ بُنْيَـانٌ مَرْصُوصٌ﴾، (الصف؛ 61: 4)، وباتِّبَاع أمر الله في هـذا، يـأتي المـدد والنـصر مـن عنـده سـبحانه: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَـيْهِمْ وَيَـشْفِ صُـدُورَ قَـوْمٍ مُـؤْمِنِينَ﴾، (التوبة؛ 9: 14)، والمؤمن دائماً يستشعر أنَّ النصر أوله وآخره بيد الواحد الأحد: ﴿إِنْ يَنْـصُرْكُمُ اللَّـهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُـمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّـلِ الْمُؤْمِنُـونَ﴾، (آل عمران؛ 3: 160)، ومن سياق الكِتَاب المـُبِين، فمن انتصار الله لعبده المؤمن رحمته له بإلانَتِـهِ لمـن حوله لِيَرِقَّ قلبه لهم، فيستغفر لهم، ويشاورهم في الأمر، قبل أن يعزم متوكلاً على الله: ﴿فَبِمَا رَحْمَـةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَـنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُـمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، (آل عمـران؛ 3: 159)، فالعبد المؤمن، بما منَّ الله عليه من فضله، يعزم الاستمرار في التأليف بين القلـوب ولـم شـمل إخوتـه المسلمين والمجاهدين، متوكلاً في ذلك على الله العزيز الحكيم: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَـوْ أَنْفَقْـتَ مَـا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِـيمٌ﴾، (الأنفـال؛ 8: 63)، فالنصر والفلاح والسعادة الأبدية في طاعة الله، وطاعة رسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والبعد عن التنازع وأسبابه، والالتجاء إلى معية الله سبحانه بالصبر والمصابرة: صبراً ومصابرةً عـلى طاعـة اللـه، وصبراً ومصابرةً على أقداره تعالى، وصبراً ومصابرةً عن معصيته سبحانه؛ وذلك حتـى يـصبح الـصبر صفة ملازمة للعبد: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، (الأنفال؛ 8: 46).

فمن جوهر ذلك الصبر: الصبر على استيعاب الواقع والتأقلم معه،،

ومن جوهر ذلك الصبر: الصبر على طول الطريق وآلامه،،

ومن جوهر ذلك الصبر: الصبر على النمو والنضوج،،

هذا ما وعاه المخلصون من المجاهدين الذين اصطفاهم الله تعالى من كافة بقاع الأرض ليرتضيهم قـادة لمشروع تحرير الأمة؛ مشروع الجهاد العالمي؛ الذي حلم به الأستاذ الإمام أبو الأعلى المودودي؛ والـذي في سبيله شُنِقَ الإمام المجاهد سيد قطب؛ وفي سبيله فُجِّر العالم العامل المجاهد عبد الله عـزام؛ وفي سـبيله سُمِّمَ القائد المجاهد خطاب؛ وفي سبيله أُمطِر العبقري الملهم يوسف العييري بوابل مـن الرصـاص، وفي سبيله قُصِف ليث المعسكرات والميادين أبي الليث الليبي... نسأل الله تعالى أن يتقـبلهم ومـن سـبقهم ومن لحقهم من إخوانهم، وأن يرفعهم جميعاً في أعلى عليين، وأن يُلحقنا بهم غير خزايا ولا مفتونين.

فأولئك الذين اصطفاهم الله لقيادة الجهاد العالمي لهم تجربة قديمة وأصيلة، وما هي بفضل ذكاء فلان أو فلتان منهم، ولكنه توفيق الله اللطيف الخبير. فاصطفى لهم أسد الإسلام أبا عبد الله أسامة بن لادن بأن لم يرضَ له استمرار الإقامة في مهلكة ابن سعود، ولا البقاء تحت مشروع الترابي، المنافق الـدجال؛ واصطفى لهم حكيم الأمة أبا محمد أيمن الظواهري بأن لم يرض له المكوث في سـجن فرعـون مـصر؛

واصطفى لهم من أرض ليبيا، مروراً بخلاوي وحلقات موريتانيا، الشيخين الفاضلين أبا يحيى – الـذي نجاه ورفاقه ولم يرض لهم ذلاًّ في باغرام – وعطية الله؛ ومن حدائق كاليفورنيا الأخ المفضال آدم غدن؛ والإخوة التسعة عشر؛ وغيرهم الكثير... تجارب فردية وتجارب جماعيـة؛ مجاهـدوا مكتـب الخـدمات، ومجاهدوا القاعدة، ومجاهدوا الجهاد الإسلامي في مصر، ومجاهدوا الثابتين عـلى العهـد مـن الجماعـة الإسلامية، ومجاهدوا الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، وغيرهم؛ اصطفى الله منهم من شاء، وجمعهم في بلاد خراسان تحت بيعة أمير المؤمنين الملا محمد عمر مجاهد – حفظه اللـه تعـالى وأيـده وجنـوده بنصره –... كل مرحلة من مراحل التوحد والالتحام ناجم عن سنوات من الصبر على الطاعة والصبر على القدر والصبر عن المعصية، مخلصين نواياهم لله حتى يكون التوحد بين الإخوة توحداً حقاً كمـا يحبـه الله ويرضاه: توحد إخاء، وخفض جناح، وتنازل بين الإخوة؛ لا توحد أمرٍ ومناشـدة، ولا توحـد وعيـدٍ بالمعصية، ولا توحد عجلةٍ واستباق الأوان. فالمتعجِّل في أمر الجهاد قد يوهمه الشيطان أن الأمر معتمِـدٌ عليه، لا أن الأمر بيد الله.

وقد كان من فضل الله ومنِّه على مسيرة هذا الجهاد أن يسر للمجاهدين من قاعدة الجهـاد أن يؤسـسوا فرعاً محلياً في إحدى البقاع: هو **تنظيم القاعدة في جزيرة العرب**؛ أسسه من كان لهم بـاع طويـل في مسيرة الجهاد الذي شارك فيه التنظيم الأم حول العـالم كلـه، في خراسـان، والشيـشان، والـصومال، والبوسنة، وإرتريا، والجزائر، وغيرها: الشيخ يوسف العييري ورفاقه، وعلى رأسهم القائد أبو هاجر عبد العزيز المقرن، رحمهما الله ورفعهما في عليين. ولقد كان هذا الفرع هو الأوحد الذي أُنشِئ بتوجيه مـن قادة التنظيم الأم، وعلى رأسهم أسد الإسلام أبو عبد الله أسامة بن لادن – حفظه الله وأيـده بنـصره –. ولكن ما سوى ذلك، ففروع تنظيم قاعدة الجهاد الأخرى هي في الواقع تنظيمـات وجماعـات جهاديـة أخرى، لها تاريخها وتجاربها، والتي قامت فيما بعد بمبايعة التنظيم؛ بينما تنظيمات وجماعات أخرى مثلها لم تبايع. ولا دلالة البتة لعدم المبايعة على اختلاف في النهج أو العقيدة أو الأهداف: فهذا **الحـزب الإسلامي التركستاني**؛ وأؤلئك مجاهدي **إمارة القوقاز الإسلامية**، قبل الإعلان عن الإمـارة وبعـدها؛ وهذه **جماعة أنصار الإسلام** في العراق؛ وتلك **حركة الشباب المجاهدين**، وهؤلاء إخوانهم في **الحـزب الإسلامي في الصومال**؛ نسأل الله لهم جميعاً عزاً وإثخاناً في أعداء الله وتمكيناً. هذا وبالرغم من قـوة الروابط التنظيمية والتاريخية والعضوية بين بعض هذه الجماعات وبين **تنظيم قاعـدة الجهـاد** الأم، حيث نجد أن الكثير من المجاهدين العرب في القوقاز كانوا رفقاء درب لأعضاء تنظيم قاعدة الجهاد إبان الجهاد ضد الروس في أفغانستان؛ وكذلك نجد أن بعض كبار قادة حركة الشباب المجاهدين، كالشيخين المجاهدين القائدين، آدم حاشى عيرو وصالح النبهاني – رحمهما الله ورفع درجتهمـا في عليـين – قـد كانا من رفقاء درب المجاهدين في تنظيم قاعدة الجهاد، ومع هذا فإلى يومنا هذا لم تبايع قيـادة حركـة الشباب المجاهدين تنظيم قاعدة الجهاد.

أما أشهر فرعين للتنظيم سوى فرع جزيرة العرب، فهما **تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين**، الذي اتخـذ هذا الإسم بعد مبايعة أمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي – تقبله الله ورفع درجتـه في عليـين – للتنظيم الأم، وضمِّه **جماعة التوحيد والجهاد** التي أسسها وقادها إلى صفهم؛ **وتنظـيم القاعـدة في**

بلاد المغرب الإسلامي، الذي تأسس على أنقاض **الجماعة السلفية للدعوة والقتال** بعد مبايعة أميرها، الأمير أبي مصعب عبد الودود – حفظه الله تعالى وأيده بنصر منه – لتنظيم قاعدة الجهاد الأم. فحريٌّ بنا أن نُجري مقارنة بين هذين التنظيمين الفرعيين، **نلخص جانباً منها في الملحق**.

فلا ينكر أحدٌ إلاَّ مكابر فضل ومكانة مجاهدي تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ورفقاء دربهم ممن ورثوا عنهم، ولكن الوجب هو الاعتراف بالحق والخضوع له إذا تبين؛ حتى وإن تبين بأن غيرهم من إخوتهم المجاهدين قد يكونون أكفأ منهم لقيادة جانب من هذا الصراع العالمي في هذه البقعة من أرض الله الواسعة؛ ولا يمنع ذلك من تبادل النصح والمشورة والخبرات والامكانات بين أولئك المجاهدين وبين الطليعة القيادية للجهاد العالمي، متمثلاً في قادة تنظيم قاعدة الجهاد الأم.

منتديات الضرار ومحاولة تحييد وطمس مشروع الجهاد العالمي

الناظر في المنتديات اليوم سيجد تأييداً كبيراً، بل وحاشداً، لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية). النظرة البسيطة ستقول: [أنصار المجاهدين يُحِبُّون تيجان رؤوسهم المجاهدين ويعبرون عن تأييدهم لهم]، وهذا هو الحال فعلاً بالنسبة لكثير من الأفراد المتعاطفين مع المجاهدين. ولكن المتمعن سيجد حقيقةً أخطر من هذا بمراحل.

الباحث في حال تلك المنتديات سيجد أن التأييد الظاهر لما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) قد أخذ طابعاً تقديسياً صوفياً بحتاً، وبدون أية مساءلة، قد يوهم الناظر أنها غدت من جوهر مسائل العقيدة الإسلامية، فالسؤال فيها عن (دولة الإسلام) لا يعامل معاملة السؤال عن غيرها؛ قد اجتمع في تكوين هذه الصورة المغلوطة نظرة سطحية قاتلة، ومكابرة وإصرار على أخطاءٍ جسيمة مهلكة، واحتفاء بمخلَّفاتٍ جاهلية نتنة، وإن تسترت بأي هيئة أخرى. فلم نجد يوماً قط أن أمير المؤمنين – بحق! – الملا محمد عمر – حفظه الله وأيده بنصره – قد حظي بتأييدٍ كالتأييد الذي حظي به البغدادي – رحمه الله – في هذه المنتديات، رغم البون الشاسع بينها وبين تمكين إمارة أفغانستان الإسلامية – أعادها الله بكامل عزِّها – ورغم قيام تلك الدولة منذ عام 1996م؛ وكذلك الحال بالنسبة لأمير المؤمنين – بحق! – دوكو عمروف – حفظه الله وأيده بنصره – في إمارة القوقاز الإسلامية وكل أسلافه من رؤساء الجمهورية الشيشانية منذ عام 1991م؛ فكيف نفسر ذلك؟!

جانبٌ من ذلك نامٍ عن عاطفةٍ سطحية؛ فالكل قد سمع عن **[بغداد الخلافة]** ولكنه لا زال يصعب على الكثيرين تخيل **[كابل الخلافة]** أو **[غروزني الخلافة]** أو غيرهما، فتوهموا أن بغداد أَولَى من غيرها لتكون **[نواة الخلافة الراشدة القادمة]**. وجانبٌ من ذلك نامٍ عن ما قد نصفه **بالسلفية الشيعية** أو **التشيع السلفي**، حيث نجد أن قراءة هؤلاء لحديث [الأئمة من قريش] هي تماماً نفس قراءة الشيعة الاثني عشرية له، القائلين بأن الإمامة تكون بالنص، لا بالبيعة، فتوهموا أن أبا عمر القرشي الحسيني البغدادي – رحمه الله – أولى بالإمارة من الملا محمد عمر العجمي أو دوكو عمروف القوقازي – حفظهما الله. ولكن الجانب الأخطر في كل هذا هو تعظيم أهل المنتديات وتعصبهم الأعمى لما يسمَّى

(دولة العراق الإسلامية) **(السلفية جداً والعربية)**، وكل من قلدها وتقمص شخصيتها في اتباع نهج **[الإمارة من دون تمكين]**، المحرم شرعاً كما أسلفنا، وعلى رأسهم شهداء أهل غزة – تقبلهم الله وعفا عنهم – في **(إمارة المسجد الأبيض)**، في مقابل موقف أهل المنتديات المتشكك والمرتاب من كل ما قد يأتي من إمارة أفغانستان الإسلامية **(الحنفية الوطنية وربما القبورية (!))** أو إمارة القوقاز الإسلامية **(الصوفية الوطنية وربما البدعية (!))**. نرى تشكيكهم وإرجافهم، بسطحيةٍ أو بخبث، **بنوايا طالبان**، وبصورة متكررة ومتزامنة، في إشاعة القول بأن طالبان ستقوم بجحد وخيانة وتسليم المهاجرين من مجاهدي وقادة تنظيم قاعدة الجهاد، وذلك بعد أن زهدوا في دنياهم وأفنوا إمارتهم وحكمهم من أجل إخوتهم المهاجرين؛ ونرى طعنهم المتكرر والمتزامن في **عقيدة طالبان**، فيما توهموه، لإفلاسهم في فقه أحكام السياسة الدولية، تنازلاً عن الثوابت العقدية بإقرارهم التعامل الخارجي مع دول الجوار والعالم؛ ونرى **تعاليهم فوق طالبان** بما حصل مؤخراً من تشنيعهم على الأخ الفاضل عبد الله الوزير، مراسل إمارة أفغانستان الإسلامية من سنين طوال، وخطفهم لمعرِّفه في موقعهم الإلكتروني، واتهام طالبان بعدم التوفيق في اختيار ممثلهم على الشبكة؛ بل ونراه في **ادعائهم الاحاطة بما لم تحط به الإمارة** عن أمور الإمارة الأمنية، وهو ما اتخذوه مبرراً لهذا العمل المشين. بل ومن لب ذلك الخلاف ما يتعلق بما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية)، فتباكى المتباكون حول ما اعتبروه عدم تقدير الأخ الوزير لها حق التقدير؛ فالأساس والثابت عند هؤلاء (الدولة السلفية العربية الباقية) لا الإخلاص، ولا القِدَم، ولا الخبرة، ولا الأهلية والجدارة باستحقاق مسمى الدولة. فلسان حالهم يقول: [لا خير في هؤلاء الأعاجم مالم يأخذوا عناً مذهبنا السلفي الصحيح، وعقيدتنا الصافية الصحيحة، وحُبّنا وولاءنا لهم بقدر تبنيهم المذهب السلفي، فهذا لا غيره هو المناط].

فكما أسلفنا تأريخ جانب منه، فمشروع الجهاد العالمي هو مشروع **الأمة**، لا مشروع هذا المذهب أو ذاك مهما ادعى لنفسه الصفاء في العقيدة والمنهج في مقابل ضلال الآخرين، بناه أبناؤها بالجماجم والأشلاء، وصبغوها بالدماء، وصاغوها بالتضحيات والملاحم العظام لقرابة الخمسين عاماً. فأنَّى لهذا المشروع العظيم أن يُختطف من أمتها ويساق إلى الهاوية! وهذا تمام ما سيحصل، بل ما هو حاصل والله المستعان، إن نجح هؤلاء في تحوير خطاب قادة الجهاد العالمي من **خطاب أممي عالمي شامل موجه لكافة المسلمين**، على اختلاف مشاربهم وخلفياتهم ومذاهبهم الفقهية، إلى **خطاب طائفة ضمن طائفة ضمن طائفة**! فكيف أنه، وبعد أن كان الشيخ أسامة والشيخ الدكتور أيمن – حفظهما الله – والمجاهدين كافة محل فخر المسلم العامي في شعاب مكة، وشوارع القاهرة، ومساجد جاكرتا، وأسواق الخرطوم، أصبح اليوم مجرد الوصول إلى إصدار للمجاهدين لا يتم إلى عن طريق عدد محدود جداً من المنتديات ذات الطابع المتطابق، والتي تطرد الأعضاء وتجمد العضويات، بل قد لا تُفَعِّل بعضها ابتداءاً، حاكمين في ذلك بمسطرة كنسية نجدية صرفة، شأنها في ذلك التقوقع على النفس والانقراض بعد أن شارفت على الانقراض في موطنها الأصلي! فكيف بخطاب قادة الجهاد العالمي – حفظهم الله – يخرج من رؤوس جبال أفغانستان خطاباً أممياً عالمياً شاملاً لكافة المسلمين، ولا يصلنا ولا يصل المسلمين إلا مرتدياً عباءةً سلفيةً كنسية مشيخيةً خالصة؟! فكيف تم تحوير هذا الطرح وهذا الخطاب الواسع إلى

طرح حزبي منفِّر مقيت في غاية المحدودية فكراً وانتشاراً؟! وكذلك، فـإن التواصـل مـن أطـراف أمـة الإسلام إلى قلب تنظيم قاعدة الجهاد أصبح متعذراً إلا إذا أُلبِسَ العبـاءة الـسلفية الكنـسية المـشيخية مروراً بهذه المنتديات حصراً، وفيما عدا ذلك فلتضرب الأمة رأسها بالحائط!

ولكن هناك تجربة وحيدة خالفت هذا النموذج الثابت، ولو في مجالاتٍ دون أخرى، ولكنها كانت كفيلـة بدق أجراس الخطر عند من يخطط بخبثٍ لتحييد المجاهدين الأطهار ومـشروعهم العـالمي عـن أمـتهم الجريحة: ألا وهي المقابلة المفتوحة مع الشيخ الدكتور أيمن الظواهري – حفظه الله وأيده بنـــصره – حيث أنه، وبالرغم من كون اللقاء قد أجري في هذه المنتديات المغلقة، وبالرغم من أن الغالبية الـساحقة من الأسئلة الواردة قد أتت ممن ظاهرهم تأييد المجاهدين، إلا أن حكيم الأمة – حفظه الله – قد اجتهـد قدر الإمكان للرد على أسئلة المخالفين وشبهاتهم، وهذا عين ما يوسع من دائرة المسلمين المتفـاعلين مـع طليعتهم المجاهدة. فالحوار قد باح عن فجوة كبيرة بين قادة الجهاد العالمي وبين من يدَّعون الانتـصار لهم، سواءاً من المدسوسين المتطفلين بمنهجهم البدعي على مشروع الأمة، أو السذج البسطاء من طيبـي القلوب؛ ومن ذلك:

- **الموقف من الشيعة**

س/ما موقفكم من عوام الشيعة في أفغانستان وباكستان وإيران وأذربيجان وبلـدان الخلـيج، خصوصاً من لم ينخرطْ منهم في مشاريع تضر بالأمة بوجهٍ عامٍ وبالمجاهدين مـن أهـل الـسنة بوجهٍ خاصٍ؟

ج/موقفي من عوام الشيعة هو موقف علماء أهل السنة، وهو أنهم معذورون بجهلهم. **أما من شارك منهم زعماءهم في التعاون مع الصليبيين والاعتداء على المسلمين فحكمهم حينئذٍ حكم الطوائف الممتنعة عن شرائع الإسلام.** أما عوامهم الذين لم يـشاركوا في العـدوان عـلى المسلمين، ولم يقاتلوا تحت لواء الصليبية العالمية، فهؤلاء سبيلنا معهم الدعوة وكشف الحقـائق، وتبيين مدى الجرائم التي ارتكبهـا زعمـاؤهم ضـد الإسـلام والمـسلمين، وكيـف تعـاونوا مـع الصليبيين على احتلال أفغانستان والعراق، وكيف أنهم يزعمون الدفاع عن آل البيت، ولكن حين تقاتلوا دمروا قبتي الحسين والعباس رضي الله عنهما، وأنهم يزعمون أنهـم يهـدفون لتحريـر فلسطين، ولكن حسن نصر الله يرحب بالقوات الدولية الصليبية التي احتلت لبنان، وحالت بين أهلها وبين الجهاد في فلسطين، ورفسنجاني يصرح بأننا لا نهدف لإزالة إسرائيل، وإيران عضوٌ في الأمم المتحدة مع إسرائيل، وميثاق الأمم المتحدة يلزم جميع الأعضاء باحترام وحـدة وسـلامة أراضي وسيادة سائر الأعضاء.

- **الموقف من الأشاعرة والماتريدية**

س/قطاعٌ كبيرٌ من المسلمين لا يتعبدون الله في الأصول بالمـذهب الحنـبلي (الـدعوة الـسلفية) كالأشاعرة والماتريدية، وبالتالي فهم يختلفون مع منهج الإمام ابن تيمية والشيخ محمدٍ بن عبد الوهاب. ما هو موقع هؤلاء في فكر القاعدة؟

ج/أما سؤاله الخامس عن الحنابلة والأشاعرة والماتريدية ففيه خلطٌ، فالمذهب الحنبلي مذهبٌ فقهيٌ، وليس مذهباً عقدياً.
أما المذاهب المنتسبة للسنة فيجمعها التحاكم للكتاب والسنة وإجماع القرون الثلاثة الفاضلة، والخلافات بينها تحل بالدعوة والبحث العلمي الهادئ. ونحن لسنا مقلدين لابن تيمية ولا محمدٍ بن عبد الوهاب – رحمهما الله – على جلالة قدرهما، بل نحن أتباع الدليل. والماتريدية والأشاعرة قدما أعظم الخدمات في الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

- **الموقف من الشيخ حامد العلي**

س/ما رأيكم في الشيخ حامد العلي والشيخ أبي بصيرٍ الطرْطوسي؟ اللذين يخالفان اجتهاد دولة العراق الإسلامية؟
ج/الشيخ حامدٌ العلي والشيخ أبو بصيرٍ الطرْطوسي لهما منا كل الاحترام والتقدير، وقد رأينا منهما مواقف قويةً وثابتةً في تأييد الجهاد والمجاهدين، نسأل الله أن يجزيهما عنها خير الجزاء. أما مخالفتهما لدولة العراق الإسلامية، فلا عصمة لبشرٍ، وما ينشأ من خلافٍ نسعى في حله بالبحث العلمي والعملي، الذي نبتغي به جميعاً الوصول للحق ونصرة الإسلام. **ولا أوافق على المساس بقدرهما أو بقدر أي عالمٍ صادقٍ لمجرد الاختلاف معه في رأيٍ أو قولٍ**.

وبعد مكابرة بعض قليلي الأدب من أهل المنتديات ممن رَدُّوا على هذا بالقول الساقط: (حسناً إذاً، سأقدره لكنني لن أحبّه!)، فكان الرد من حكيم الأمة في الجزء الثاني من اللقاء، حيث أنه، وبالرغم من عدم إجابته عن سؤال واحد مرتين في لقائه، تقصد الإجابة على هذا السؤال المكرر:

س/لعله وصلكم أو اطلعت على ما دار بين الشيخ حامد العلي وأنصار الجهاد. فبماذا تنصح الشيخ حامد حفظه الله؟ وبماذا تنصح أنصار الجهاد؟وبارك الله بكم.
ج/أولاً: فضيلة الشيخ حامد العلي من الرموز الراقية، التي تدفع ثمن مواقفها الكريمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعم الجهاد والمجاهدين، وكان يمكن أن يركن كغيره، ويسلك سبيل الناكصين، ولكنه أبي ذلك بفضل الله وكرمه، ولهذا يجب أن يعرف لفضيلته قدره ومنزلته، وأن يعبر له الشباب عما في قلوبهم له من حبٍ وتقديرٍ واحترامٍ. ولا يستساغ أن يصفه أحدٌ بما لا يليق، حتى وإن اختلف معه في رأيٍ أو مسألةٍ، فالفضل يجب أن يعرف لأهله في هذا الزمان، الذي كثر فيه المنتفعون والمتسلقون.
ثانياً: منذ أن بدأت أقرأ لفضيلة الشيخ حامد حفظه الله، وتاقت نفسي للقائه والاستفادة من علمه وخبرته، وتمنيت لو استطعت أن أسعى إليه، وأنا واثقٌ أني لو فعلت فلن يقصر في الاحتفاء والترحيب بي، فهذا ما يتفق مع شرفه ومروءته، وكنت أتمنى حينها أن أتباحث معه في مسألتين:

<u>الأولى</u>: ضرورة قيام دولة العراق الإسلامية في هذا الوقت، والمبررات الشرعية والعملية لقيامها، خاصةً أن هذه الضرورة متعلقةٌ إلى حدٍ كبيرٍ بالرؤية العملية لميدان الصراع، وإخواننا في دولة العراق الإسلامية هم رواد هذا الميدان، وقد عرف الإخوة في أفغانستان عدداً من أعيانها عن قربٍ،

واتصلوا بهم في حالاتٍ مختلفةٍ، ولم يجدوا فيهم إلا كل نبلٍ وكرم خلقٍ وبصرٍ بـالواقع المتقلـب والأحداث العاصفة، التي عركتهم ومارسوها، ولا أدل على بـصرهم بـالواقع مـن هـذا الإنجـاز الضخم، الذي حققوه بتوفيق الله لهم، وأفسدوا به المخططين الأمريكـي والأيرانـي في المنطقـة، وهو الإنجاز الذي بدأوه حفـراً بأظـافرهم في الـصخر، في ظـروفٍ تلبـدت بالهزيمـة واليـأس والانبهار بالاكتساح الأمريكي والتواطؤ الإيراني، فهم بلا شكٍ من أعرف الناس بميـدانهم، أمـا عن عدالتهم وصدقهم، فأنا وجميع إخواني الذين عاشروهم يشهدون لهـم بالـصدق والنزاهـة والزهد في الدنيا والرأي السديد والخلق الحميد.

المسألة الثانية: هي فيما قرأته من إجاباتٍ له **تعليقاً** عـلى مـا سـمي بوثيقـة ترشـيد العمـل الجهادي، وكنت أتمنى أن أوضح لفضيلته الظروف، التـي نـشأت فيهـا ومـرت بهـا الحركـة الجهادية في مصر، وأوضح له أن هذه الوثيقة ما هي إلا مخططٌ مبـاحثيٌ لتقـديم مـنهجٍ أكثـر تماوتاً من منهج الدخول في انتخابات الأنظمة العربية. وأنها وثيقةٌ تقلب أبجديات الفقه بصورة لا يمكن السكوت عليها، وتضع من القيود على العمل الجهادي ما يجعله مستحيلاً في أي ميدانٍ.
وفي المحصلة يبقى لفضيلة الشيخ حامدٍ العلي في قلوبنا كل **محبةٍ واحـترامٍ وتقـديرٍ لمواقفـه الثابتة الراسخة**، والله يوفقنا ويجمع بيننا وإياه على ما يحب ويرضى.

فهذه مجرد جلسة مفتوحة واحدة كانت كفيلة بفضح من يدَّعون نصرة المجاهدين، بأن خرجت أجوبـة أحد أقطاب وأعلام قادة الجهاد العالمي في هذا الزمان – حفظه الله – مخالفةً لهواهم المتخبط في بعـض المحاور الجوهرية. فبعد سبعة أشهر من هذه الحادثة، عند إعلان المجاهدين في شريط **(الأزهـر عـرين الأُسُود)** عن فتح المجال مرة أخرى لاستقبال أسئلة للقاء مفتوح ولكن هذه المرة مع الشيخ عطية اللـه – حفظه الله – فجأة، ودون سابق إنذار، اختفت جميع هذه المنتديات من على الشبكة، ولم تعـد حتـى اليوم، وعليه فاللقاء المفتوح لم يُجرَ حتى اليوم بعد عام ونصف. فأنَّى أن يتكرر فضح من يدعون أنهم (أنصار الجهاد) من قبل قادتهم المفترضين... تعـست المعادلـة! فَحَـرِّيٌ بنـا وبالمجاهـدين أن نهجـر منتديات الضرار هذه ونُصَوِّت بعدم الثقة بها!

فقادة الجهاد، كما عبر عنهم حكيم الأمة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري – حفظه الله وأيده بنـصره – في أكثر من مناسبة، ينادون **بمشروع جهاد أمة**: بأن يتظاهر من يـستطيع التظـاهر، ويقـاطع مـن يستطيع المقاطعة، ويُضرِب من يستطيع الإضراب، وينفق من يستطيع الإنفاق، ويكتب مـن يـستطيع الكتابة، فليس الجهاد محصوراً في القتال وحمل السلاح، بل حمل السلاح هو فقط من عوامله الجوهرية التي لا بد منها، وحتماً فليس المشروع محصوراً على فئة دون فئة، أو تيـار دون تيـار، أو مـذهب دون مذهب.

بل لم يكتفِ الدكتور الظواهري بذلك، بل نادى بتكوين **حلـف مـع جميـع المستـضعفين** الـذائقين الأمرين من النظام العالمي الجديد، وإن كانوا من غير المسلمين، في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا. فمن المسؤول عن هذا التحييد؟ ومن المسؤول عن تحوير هذا الخطاب؟ إن لم يكن تراجعاً من قـادة الجهـاد

فكيف يرضى هؤلاء القادة الكبار بأن يُستبدَل موقفهم هذا من قبل أولئك الذين طاب لهم إبداله بمشروع أضيق بمراحل ومراحل؟! وهو مشروع قد ثبت فشله فعلاً، ولا يفتأ يثبت فشله في مختلف الميادين يوماً بعد يوم. فلا مخرج من هذه الدوامة إلا إعلان الطلاق من هذا المشروع المدسوس، كما انتبه إليه الشيخ أبو مصعب السوري – فك الله أسره – من وقت مبكر.

محاذير خطيرة في طريق الجهاد

وليس انحراف المنتديات آنفة الذكر بمستغرب، ولا هو آتٍ من فراغ، فقد تنبأ العقل الإسلامي الجهادي المفكر الشيخ أبو مصعب السوري – فك الله أسره – بهذه المشكلة في كتابه الموسوعي، والذي يبدو أن الكفار الحربيين قد اهتموا به ووعوا دروسه أكثر من وعي المسلمين له، **(دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)** في ختامه للجزء الأول من الكتاب (الجذور – التاريخ – التجارب) أموراً في غاية الأهمية بين الصفحات 838 – 861، والتي قد درسها الأعداء في **(مركز مكافحة الإرهاب)** في الأكاديمية العسكرية الأمريكية في افتتاحهم لمشروع المجلة الصادرة عنهم، في **أول** مقال في **أول** عدد من **أول** سنة للمجلة، ابتداءاً من عنوان **(الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً)**، والتي يلخصها الشيخ أبي مصعب – فك الله أسره – في ثلاثة محاور أساسية هي:

1) خطأ في طريقة التفكير وتصوره للمسار **(خلل التفكير)**.
2) أخطاء وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصحيح **(خلل البنية)**.
3) أخطاء في أسلوب السير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطريق **(خلل الأسلوب)**.

قائلاً: [وقد يتصور البعض من (الجهاديين) أنه كان على عافية تامة. ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر. أو كما يرددون كثيراً (قدر الله وما شاء فعل). فليحمدوا الله إذن على العافية التامة التي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا]، انتهى.

ومن أعجب ما يذكره الشيخ – فك الله أسره – في الباب خلل التفكير قوله: [ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق، أن أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين جدا! قال لي يوما في سياق الحوار: **(إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية، وأن تكون قيادته سلفية التركيب، وأحكامه سلفية المنهج، وأن يكون كل شيء بالدليل... ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!)** ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدين والعقيدة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً **(<u>بَقَرِيَّة</u>)** تقوم على الجذب من هؤلاء والركل والنطح من الآخرين!!]، انتهى. <u>**وهذه الصفحات من كتاب الشيخ – فك الله أسره – تحوي دروساً وعبراً في غاية الخطورة، دفعنا لأن نفرد هذه الصفحات في رسالة مستقلة، تجدها مدرجة في ذيل هذا البيان لأهميتها القصوى.**</u>

نداء وتنبيه إلى كافة المجاهدين

لقد دخل الجهاد في أرض الرافدين عامه السابع، ورغم المصائب والصعاب، ورغم الانتكاسة الخبيثة لبعض من كان في صف المجاهدين في يوم من الأيام، إلا أن بعض البشائر عادت تلوح في الأفق. فمن منبرنا هذا، نرسل نداءاً إلى كافة الصادقين من المجاهدين بأن يعملوا **لتجاوز زمن المحنة، والتوحد من جديد في مجلس شورى موحد للمجاهدين، أو التوحد بأي أسلوب آخر يتبين لهم أنه أكثر فاعلية**، وننصحهم أن يغتنموا فرصة التناحر الراهن بين أجنحة حكومة الاحتلال والعمالة، بكافة أطيافها التي اجتمعت على الامتناع عن تطبيق الشريعة الغراء، بأن يسيروا بخطوات ثابتة نحو الهدف. وكذلك، فإننا ننصح المجاهدين على أرض الرافدين بالاقتداء بإخوانهم في **جماعة أنصار الإسلام**، الذين لطالما ميزتهم النظرة المتأنية؛ والصبر على مشقة الطريق؛ والتأصيل الرصين، الذي وجدناه أكمل وأضبط مما أنتجته غيرها من الجماعات، كما نجد ذلك في، على سبيل المثال لا الحصر، وثائقهم المعنونة **(منهجنا في الاعتقاد والعمل)** و**(منهج الجماعة في السياسة الشرعية في التعامل مع الفتن والنوازل)** و**(سفر الحقيقة)** بِشِقَّيه؛ وكذلك فإننا نرى الاقتداء بهم في تواضعهم الجم، كما تبين ذلك جلياً في خطاب أميرهم قبل أكثر من عام: **(من أبي عبد الله الشافعي أمير جماعة أنصار الإسلام إلى السادات علماء الأمة الأفاضل)**، والتي فيها قام بدعوة علماء الأمة المخلصين [لتبني العمل بفريضة الدعوة إلى فقه الجهاد العالمي] والتي عرَّج فيها على مهام جلية مثل: [تحرير الخطاب الشرعي من نزعته التقليدية الإنتقادية للحكومات الكافرة، وتحريك الأسباب المناسبة لتفعيل مبدأ تعزيز الأصالة في نفوس المسلمين، ونشر مبدأ الاستقلال للهوية الإسلامية من منطلق تأريخ الأمة وعقيدتها... والانتقال للعمل على بناء هيكل تنظيمي يهدف لتنمية الفقه الجهادي يتكفل بتنظيم وتحريك الأجيال القادمة] انتهى. وغيرها من النقاط القيِّمة نحيل القارئ إليها في الوثائق المرفقة في الملحق. وإننا في تنظيم التجديد الإسلامي نعلن تأييدنا لما أتى في رسالة الأمير الشافعي – حفظه الله تعالى وأيده بنصره، وألَّف بينه وبين إخوانه في الجماعات الأخرى – واستعدادنا للمضي في طريقنا بتسخير مقدراتنا البحثية والعلمية والشرعية والتنظيمية لخدمة هذا المشروع، كما قمنا بذلك سابقاً في بحثينا **(قتال الطوائف الممتنعة)** و**(مركز التجارة العالمي)** وبحثنا الجديد الذي نضعه بين أيديكم بعد التوسيع المستفيض والتنقحة **(طلب النصرة، وإقامة الدولة)**، نسأل الله تعالى أن يجعل فيها الخير والبركة.

ونؤكد على جميع المجاهدين، وبالأخص قادتهم، بضرورة قراءة الفكر الإسلامي المعاصر، خاصة المطولات، قراءة نقدية متعمقة، قراءة استيعاب وهضم، وإلا تعذر تنزيل الهدى والنور الذي أنزل على محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على واقع الدنيا المعاصر المعقد الذي فتنت أكثر شعوب الدنيا ببريقه الزائف، فنحن اليوم نواجه الدستور الليبرالي الأمريكي المتمدن الراقي، ولسنا بصدد مقارعة ياسق جنكيزخان البدائي المتخلف.

وخير ما نختم به نداءنا للمجاهدين كلمات من إخوانهم الأنصار في خطاب صادر قبل أشهر معـدودات بعنوان (**خطاب صادر عن ديوان الشرع والقضاء لجماعة أنصار الإسلام إلى المجاهدين كافة**):
[وإننا نطالب كل أخٍ مجاهدٍ بإظهار درجةٍ أعلى من درجة الصبر تديناً ألا وهـي: مرتبـة العفـو عمـن ظلمهم، والإحسان لمن أساء إليهم، ولا تلهينكم الاستفزازات وتجركم إلى الصراعـات عن أصل عملكم ألا وهو البناء والعمل للتمكين لهذا الدين]

نسأل الله تعالى أن يجعل الخير والبركة في هذه الوثيقة وأن يجعلها بلسماً شافياً لصدور المؤمنين؛ ونسأله تعالى أن يعجل فرج أمة محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بقيام خلافة راشدة على منهاج النبوة؛

إله الحق آميـــــــــــن... إله الحق آميـــــــــــن... إله الحق آميـــــــــــن...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الإثنين 27 جمادى الأولى 1431هـ
الموافق 10 مايو (أيار) 2010م

ملحق

مقارنة بين (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) و(تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي)

تاريخ الجماعة ونضوجها التنظيمي

نجد أن الجماعة السلفية للدعوة والقتال قد تأسست في أواخر التسعينات من القرن الميلادي المنصرم، وذلك بعد تجربة مريرة من انتكاس مسيرة الجهاد في أرض الجزائر، كان نتيجتها تحول جماعة كان من واجبها جهاد الطائفة الممتنعة من الفرانكوفونيين المتسلطين على رقاب المسلمين إلى (**جماعة إجرامية مسلحة**) من الخوارج الغلاة المارقين؛ فكان من شأن المخلصين من المجاهدين، وعلى رأسهم مجاهدي الجماعة السلفية للدعوة والقتال، أن انشقوا عن هؤلاء وتبرأوا منهم بقصد إعادة الجهاد إلى مساره الصحيح، وهذا ما قد حصل ولله الحمد، وإن كان الطريق مازال وعراً وطويلاً بعد المآسي التي لحقت بمسلمي الجزائر الأبية. وعليه، نجد أن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي هم ورثة تجربة جهادية وتنظيمية وسياسية عريقة، تمتد لأكثر من عشرين عاماً على الأقل، ومروراً بدروسٍ من أعظم وأخطر الدروس في المسيرة الجهادية الحديثة، وأشدها مرارة.

أما في المقابل، فإننا نجد أن جماعة التوحيد والجهاد لم تظهر بشكلها التنظيمي الفعَّال إلا مع بداية الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003م، وقبل ذلك قليلاً في فترة الإعداد للغزو؛ ولكن ما قبل ذلك فتجارب فردية منفصلة: الشيخ أبو مصعب الزرقاوي في أفغانستان ثم في سجون النظام الأردني؛ والشيخ أبو أنس الشامي في أفغانستان ثم في عمل دعوي في البوسنة والهرسك وبعد ذلك في الأردن؛ والشيخ عمر حديد، بطل معركتي الفلوجة، في مناوشاته مع النظام العراقي السابق؛ وهكذا. ولذلك نجد أن كثير من الأخطاء التي كانت الجماعة لتقع فيها لاحقاً، كما سردنا جانباً منها، كان نابعاً من قصر خبرتها التنظيمية، والتي لربما كانت أقل خطورة في أي بيئة أخرى، ولكن الوضع العراقي المشتعل تكفل بزيادة حدة آثارها الكارثية.

التمرحل الزمني في توسيع نطاق العمل والتوحد مع الغير

بعد تجربتهم الطويلة في الجزائر، قام أمير الجماعة السلفية للدعوة والقتال، أبو إبراهيم مصطفى – رحمه الله وتقبله في عليين – في إصدار مرئي في عام 2004م برسم خطوط عريضة يبين فيها ضرورة العمل الجهادي الموحد في إطار الحملة الصليبية الجديدة على ديار الإسلام، خاصة في ظل العدوان الغاشم على كل من أفغانستان والعراق. ثم بعد ذلك، في تاريخ 13 سبتمبر 2006م أعلن أمير الجماعة أبو مصعب عبد الودود – حفظه الله وأيده بنصره – مبايعة تنظيمه للشيخ أسامة بن لادن – حفظه الله – وانضمام جماعته إلى تنظيم قاعدة الجهاد. ولم يكن إلا في تاريخ 24 يناير 2007م أن أعلن الشيخ أبي مصعب – حفظه الله – عن تغيير اسم الجماعة إلى مسماها الجديد: تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، حيث قال: [وقد كنّا حريصين على هذا الأمر منذ اليوم الأول لإعلان الإنضمام، ولم

يمنعنا من الإقدام عليه، إلا **إستشارة** الشيخ أسامة حفظه الله، **وإذنه**، و**اختياره**. وقد زالت اليوم هذه العقبة بحمد الله تعالى]، انتهى. وهذه الخطوات المباركة لـم تـتم إلا بعـد زيـادة ملحوظـة في كفـاءة الجماعة وبعد توسيع نطاق عملها، حيث أنها قد نفذت عمليات ناجحة خارج أرض الجزائـر، كعمليـة (بدر موريتانيا) في تاريخ 4 مايو 2005م، وبعد المبايعة والانضمام إلى تنظـيم قاعـدة الجهـاد، فلقـد اتسع نطاق عمل الجماعة اتساعاً كبيراً، شاملاً أطرافاً من أراضي تونس، وليبيـا، والمغـرب، والـصحراء الغربية، وموريتانيا، ومالي، والنيجر، بالإضافة طبعاً إلى الجزائر.

أما بالنسبة لجماعة التوحيد والجهاد، فنجد أن مبايعتها لتنظيم قاعدة الجهاد قد تم بتاريخ 17 أكتوبر 2004، أي بعد عام ونصف من الغزو الأمريكي، ومن بداية تأسـيس الوجـود العمـلي التنظيمـي عـلى الأرض للجماعة. ومع ذلك، فإننا نجد أن قيادة الجماعة تحت إمرة أمـير الاستـشهاديين أبـي مـصعب الزرقاوي قد كان على صلة دائمة بالقيادة العليا لمـشروع الجهـاد العـالمي. ومـع الزيـادة والبركـة في العمليات، وانضمام بعض الفصائل الـصغرى إلى صـفوف تنظـيم القاعـدة في بـلاد الرافـدين، قـام المجاهدون في التنظيم بخطوة مباركة بعد عام وشهرين تقريباً، فكان تأسيس مجلس شورى المجاهدين بمشاركة عدد من الفصائل في بداية 2006م، أي بعد أقل من ثلاثة أعوام على الغـزو، لحقتهـا فـصائل أخرى بعد ذلك، فساهم هذا مساهمة جليـة في إيـصال الجهـاد لذروتـه في هـذا العـام. وكـان حـريٌّ بالمجاهدين الاستمرار في لم صفوفهم في مجلس الشورى الموحد، ولكن كان الإعلان عن ما يسمَّى (دولـة العراق الإسلامية) بعد أشهر قليلة فقط من هذا، وبعد أربعة أشهر فقـط مـن استـشهاد الزرقـاوي – تقبله الله – عملية استباقٍ للحدث، حدث بعده ما قد فصلنا جانباً منه آنفاً من تقلص رهيب، بل انهيار، للعمل الجهادي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التمثيل الفكري والانسجام الشعبي

تجربة الإخوة المجاهدين – نصرهم الله – في الجزائر خصوصاً، وفي المغرب الإسلامي عموماً، قـد تبلـور ونضج في خضم الحيثيات التاريخية والسياسية المتعلقة بتلك البلاد. بل الدارس للتاريخ يجد أنها تعـبر عن آخر حلقة في سلسلة ممتدة من الأحداث منذ سـقوط الأنـدلس في يـد الـصليبيين، مـروراً بـدولتي المرابطين والموحدين، ثم مـرارة الاسـتعمار الأوروبـي، وبعـد طـرد المحتـل الأجنبـي مـرارة تـسلط الفرانكوفونيين الكفرة، أفراخ فرنسا. وكذلك، نجد أن المستوى التعليمي الجامعي والعالي لكثير من قادة المجاهدين هناك متناغماً فكرياً معه عند قادة الجهاد العالمي اليوم، وكذلك مع أبناء شـعبهم الحاضـن والمؤيد لهم؛ وكذلك الحال بالنسبة لطبيعة التلقي الشرعي، فنجد، بالإضافة للتلقي عن المخلـصين مـن ذوي الخلفيات الأزهرية وغيرهم، أن الطابع الغالب على العلماء بين صفوف قيادة الجهاد العـالمي هـو التلقي عن علماء شنقيط وموريتانيا ومعرفة فضلهم، ابتداءاً من العالمين الجليلين أبي يوسف الموريتاني – رحمه الله وتقبله في الشهداء – وأبي حفصٍ الموريتاني، مروراً بالشيخين الفاضلين أبي يحيى وعطية الله، وانتهاءاً بالشيخ الداعية المجاهد خالد الحسينان – حفظه الله وإخوانـه جميعـاً – الـذي قـال في إصداره الأخير **(قضايا ساخنة وأسئلة حرجة)**: [هناك علماء مغيبون عن هذا العالم الإسلامي... الآن

من هم أعلم أهل العصر في هذا الزمان؟... الآن – والله تعالى أعلم –، وأعلَمُ أن هذه الإجابة قـد تغـضب الكثير منكم، أعلم أهل العصر في هذا الزمان هم علماء موريتانيا عموماً... ولكن النـاس الآن لا يعرفـون علماء موريتانيا... لأن علماء موريتانيا ليس عليهم سياج من العظمـة والبهرجـة الإعلاميـة... والنـاس جبلت على حب ومعرفة المشهورين، وهذا داء عظيم جداً أحذركم منه]، انتهى (بتصرف يـسير)، وكمـا يقول حكيم الأمة الشيخ الدكتور أيمن الظـواهري في كتابـه القـيم **(كتـاب التبرئـة)**: [وقـد هـاجر لأفغانستان في عهد الإمارة الإسلامية عدد من المشايخ وطلاب العلم من موريتانيا، وكم تمنيت أن أشـير إشارات لفضلهم وعلمهم وحسن خلقهم وكرمهم، ولكن أخشى أن يتسبب ذلك في أذى لهم، فجزاهم الله عن هجرتهم خير الجزاء]، انتهى. وكذلك نجد الحال بين صفوف مجاهدي تنظـيم القاعـدة في المغـرب الإسلامي، بل وكافة طلبة العلم الشرعي من أبناء شعبهم الأبي؛ فكيف وهذا المنهل الغزير بجوارهم، بل في قلب موطنهم الأصيل، نجدهم يطلبون العلم من غيره؟! بل نجد أن الشطحات البعيدة التي حـصلت من قبل الجماعة الإجرامية المسلحة في القرن الميلادي المنصرم كان مصدرها أفكار بدعية دخيلة على تلك البقاع، جاءت من الغلاة المارقين في نجد، قرن الشيطان، موطن أحفاد ذي الخـويصرة، وما زال الشعب مرتاباً ومتخوفاً من تكرار مثلها، ونحـسب أن المجاهـدين المخلـصين الـواعين مـدركون تمـام الإدراك للدروس المستخلصة من تلك الحقبة المريرة.

أما بالنسبة لمجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) ومن ورثوا عنهم، فرغم إخلاصـهم ورغـم مـا قدمه الكثير منهم من الغالي والنفيس، إلا أننا نجد الطابع الغالب عليهم التخـرج مـن حلقـات شرعيـة بدائية قاصرة ترجع خلفيتها إلى مدرسة (الكنيسة النجدية)، يعاني أقطابها من كوابيس (شرك القبور) ليل نهار، ووساوس وجود جهمي أو معتزلي متربصاً وراء كل جدار وتحت كل شجرة؛ وأبرز أجنحتهـا يرى تحريم التعليم الجامعي خشية فتن (الاختلاط)، وقد أفتى أحد أقطابهـا بجـواز خـروج المـرأة إلى مزرعتها بدون جلباب، شريطة أن ترتدي النقاب (!)، ضارباً عرض الحائط بـسورة الأحـزاب، وأفتـى قطب آخر بكفر من يقول بدوران الأرض. وكذلك، فهذه الخلفية قليلة التجانس مع الطابع العام لشعب العراق الذي لا بد له أن يكون حاضناً لمشروع أبنائه المجاهدين، بين المذهبين الشافعي والحنفي، حتـى بين قادة مجاهدي ما يسمَّى (دولة العراق الإسلامية) ذوي الأصل العراقي.





طلب النصرة، وإقامة الدولة

وهي:

تأصيل شرعي مفصل

لماهية المنعة والنصرة اللازمة شرعاً لإقامة الدولة

تنظيم التجديد الإسلامي

أ.د/ محمد بن عبدالله المســـعري
لندن

الأثنين: 20 جمادى الأول 1431 هـ؛ الموافق: 3 مايو 2010 م

***P**arty for **I**slamic **R**enewal*

BM Box: TAJDEED
LONDON; WC1N 3XX
United Kingdom

Tel: 00447799555552

Fax: 00447053628430

http://www.tajdeed.org.uk

جزى الله خير الجزاء كل من أعان على طبعها، وتوزيعها، وترجمتها إلى أكثر من لغة!

بسم الله الرحمن الرحيم

المنعة، وطلب النصرة، وإقامة الدولة

❈ النوع الأول من المنعة:

منعة محدود: وهي التي تحمي صاحبها من القتل أو السجن، ونحوه. وقد بعث الله أكثر الأنبياء في منعة من قومهم، أي أن عشيرتهم من المنعة والقوة بما يكفي لحمايتهم من القتل، بدافع العصبية، ونحوها، وذلك حتى يتم البلاغ، وتقوم الحجة، ثم قد يقتل النبي بعد ذلك، أو يخرج، كما حصل لكثير من أنبياء بني إسرائيل. وهذا لا يعني الحماية من كل أذى. بل قد يأتي كثير من الأذى والإهانة من العشيرة، الحامية من القتل، نفسها.

هذا كله معلوم بالضرورة من القرآن. فمثلاً قال قوم شعيب، عليه الصلاة والسلام: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾، (هود؛ 11: 91)، مع تعرضه للسخرية والأذى.

أما بالنسبة للوط، عليه الصلاة والسلام، الذي كان غريباً، أجنبياً عن القوم الذي أرسل لهم، فلم تكن له حتى هذه المنعة المحدودة، لذلك قال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾. وقد جاء توضيح ذلك في الحديث:

❈ فقد أخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد (ج1/ص212/ح605): [حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا عبدة قال أخبرنا محمد بن عمرو قال حدثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ان الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن تبارك وتعالى قال قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الداعى لأجبت إذ جاءه الرسول فقال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ورحمة الله على لوط إن كان ليأوى إلى ركن شديد إذ قال لقومه لو إن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ما إن بعث الله بعده من نبي إلا في **ثروة** من قومه]؛ قال محمد: (**الثروة**: **الكثرة والمنعة**)؛ محمد هو الإمام البخاري. وبنحو ذلك أخرجه الإمام الترمذي في سننه (ج5/ص294/ح3116) ثم قال: (قال محمد بن عمرو: الثروة الكثرة والمنعة؛ قال أبو عيسى: وهذا أصح من رواية الفضل بن موسى، وهذا حديث حسن)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص332/ح8373)؛ والإمام ابن حبان في صحيحه (ج14/ص88/ح6207)؛ وغيرهم.

❈ وأخرج الإمام ابن حبان في صحيحه (ج14/ص86/ح6206) قصة لوط فقط: [أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا خالد بن عبد الله حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (رحم الله يوسف: لولا الكلمة التي قالها: ﴿اذكرني عند ربك﴾، ما لبث في السجن ما لبث؛ ورحم الله لوطاً ان كان ليأوي الى ركن شديد، إذ قال لقومه: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾، قال: (فما بعث الله نبيا بعده إلا في **ثروة** من قومه)]؛ وبنحو هذا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص384/ح8975)؛ والإمام الحاكم في مستدركه

(ج2/ص612/ح4054) ثم قال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذه الزيادة إنما اتفقا على حديث الزهري عن سعيد وأبي عبيد عن أبي هريرة مختصراً)؛ وأخرجه غيرهم.

❋ وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص533/ح10916): [حدثنا أمية بن خالد حدثنا حماد بن سلمة وأبو عمر الضرير المعني؛ قال: حدثنا حماد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لوط: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾، قال: (قد كان ياوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته، فما بعث الله عز وجل بعده نبيا الا بعثه في **ذروة** قومه)؛ قال أبو عمر: (فما بعث الله عز وجل نبيا بعده إلا في **منعة** من قومه)]

قلت: هذه كلها أسانيد حسان جيدة، والمتن في غاية النظافة والاستقامة، والحديث صحيح بشواهده الكثيرة من القرآن، والسنة، ووقائع التاريخ، وبالمتابعات الصحيحة الكثيرة لمعظم فقراته من مثل:

❋ ما أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ج3/ص1236/ح3195) بإسناد غاية في الصحة: [حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي قال: (يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد)]؛ وأخرجه الإمام البخاري في مواضع أخرى من صحيحه (ج3/ص1239/ح3207)، و(ج4/ص1731/ح4417)، من غير جملة: (فما بعث الله نبيا بعده إلا في ثروة، أو منعة، من قومه)، وكذلك أخرجه الجمهور: فقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج4/ص1840/ح151)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص322/ح8262)، و(ج2/ص350/ح8590)؛ وغيرهم.

❋ وأخرج الإمام الحاكم في مستدركه (ج2/ص612/ح4055) نحوه عن ابن جريج بلاغاً: [أخبرنا محمد بن علي الصنعاني حدثنا علي بن المبارك الصنعاني حدثنا زيد بن المبارك حدثنا محمد بن ثور عن بن جريج: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾، قال: (**بلغنا** أنه لم يبعث نبي قط بعد لوط إلا في ثروة من قومه)]

وخاتم النبيين، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، منعه بنو هاشم وبنو المطلب من القتل والحبس، ولكنه أوذي أذا شديداً، وإن كان أكثر الأذي إنما أصاب أصحابه، كما هو متواتر في السنن والسير، فمن ذلك:

❋ ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص9/ح17512) بإسناد جيد: [أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن بن إسحاق حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، انها قالت لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، **في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره ما ينال أصحابه**، فقال لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جار أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلماً؛ وذكر الحديث بطوله]؛ قلت: أحمد بن عبد الجبار العطاردي فيه كلام كثير لكثرة ما زعم من تدليسه، إلا أن سماعه للسيرة من يونس بن بكير، ثابت كما حرره الإمام الخطيب في تاريخ بغداد، إلا أوراقاً يسيرة فاتته، فرواها عن أبيه، مما يدل على تثبته وعدم تدليسه في هذا

الخصوص، وأحسب إن إجماع الأئمة قد انعقد على صحة روايته للسيرة، وإتقانه لها، وكذلك الشأن بالنسبة ليونس بن بكير في روايته للسيرة. وعلى كل حال فقد روى هذا الحديث، مطولاً ومختصراً، غيرهما، كما هو في مسند الإمام أحمد وغيره

❄ تعرض النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، للأذى:

وبالرغم من هذه (**المنعة المحدودة**) رُوِّع، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأوذي أذىً شديداً، وعانى من شتى أصناف السخرية، واتهم بالكذب، والسحر والكهانة، والجنون، وحوصر في الشعب. مثال ذلك قصة سلى الجزور، ومحاولة المجرم عقبة بن أبي معيط خنقه، وغيرها:

❋ مثال ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (ج1/ص94/ح237): [حدثنا عبدان قال أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله قال: بينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ساجد (ح) قال: وحدثني أحمد بن عثمان قال حدثنا شريح بن مسلمة قال حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال حدثني عمرو بن ميمون أن عبدالله بن مسعود حدثه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي، صلى الله عليه وسلم، وضعه على ظهره بين كتفيه **وأنا أنظر لا أغني شيئا، لو كان لي منعة!** قال فجعلوا يضحكون، ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، ساجد، لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش!»، ثلاث مرات، فشق عليهم، إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»، وعد السابع فلم يحفظ، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صرعى في القليب، قليب بدر]؛ وأخرجه البخاري في صحيحه في مواضع مختلفة بأسانيد في غاية الصحة (ج1/ص195/ح498)، و(ج3/ص1164/ح3014)، و(ج3/ص1399/ح3641).

❋ وما أخرجه مسلم في صحيحه (ج3/ص1419/ح1794) بلفظ: [وحدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي حدثنا عبد الرحيم يعني بن سليمان عن زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن بن مسعود قال بينما رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضل في كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي، صلى الله عليه وسلم، وضعه بين كتفيه قال فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، **وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله، صلى الله عليه وسلم**؛ والنبي، صلى الله عليه وسلم، ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي، صلى الله عليه وسلم، صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه

فوالذي بعث محمدا، صلى الله عليه وسلم، بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر]؛ وأخرجه النسائي في سننه (ج1/ص163/ح307)؛ وابن حبان في صحيحه ج14/ص532/ح6570)؛ وابن خزيمة في صحيحه (ج1/ص384/ح785)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج1/ص393/ح3722)، و(ج1/ص397/ح3775)، و(ج1/ص417/ح3962)؛ والطيالسي في مسنده ج1/ص43/ح325)؛ والنسائي في سننه الكبرى (ج5/ص203/ح8668)، و(ج5/ص204/ح8669)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص8/ح17507)؛ والإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ج7/ص355/ح36677)؛ والطبراني في معجمه الأوسط (ج1/ص233/ح762)؛ وغيرهم.

❊ وأخرج البخاري في صحيحه (ج4/ص1815/ح4537): [حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير قال حدثني محمد بن إبراهيم التيمي قال حدثني عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال بينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا؛ فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقال: ﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾]؛ والبخاري في صحيحه (ج3/ص1400/ح3643)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص204/ح6908)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص7/ح17506)؛ وغيرهم بأسانيد في غاية الصحة.

❊ وهو بأتم من هذا في السيرة النبوية لابن إسحاق (ج1/ص82) بإسناد جيد: [حدثنا أحمد (هو بن عبد الجبار العطاردي): حدثنا يونس (هو بن بكير) عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصي: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما كانت تظهر من عدوانه؟ فقال لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فقالوا فذكروا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط: سفه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قال؛ فبيناهم في ذلك طلع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه، فمضى، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا ولكأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أنه ليقول: إنصرف يا أبا القاسم راشداً، فو الله ما أنت بجهول، فانصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينا هم على ذلك طلع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل، وأحاطوا به ويقولن أنت الذي يقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: نعم أنا الذي أقول ذلك، لقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه،

وقام أبو بكر الصديق دونه يبكي ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.
حدثنا أحمد: حدثنا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني بعض آل كلثوم بنت أبي بكر أنها كانت تقول: لقد رجع أبو بكر ذلك اليوم، ولقد صدعوا فرض رأسه بما جبذوه، وكان رجلاً كثير الشعر]

❋ وجاء في السيرة النبوية لابن إسحاق (ج1/ص82): [حدثنا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس البكري قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يصلي فلما سجد جاءه أبو جهل فوطئ عنقه، فأنزل الله فيه: ﴿أرأيت الذي ينهي. عبداً إذا صلى﴾، أبو جهل، ﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾، محمداً، ﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾، أبو جهل، ﴿كلا لئن لم نتنه﴾، أبو جهل، ﴿سندع الزبانية﴾، قال: هم تسعة عشر خزنة النار، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: والله لئن عاد لتأخذنه الزبانية، فانتهى فلم يعد]

وقد عاني، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من هذا الأذى الشخصي معاناة كبيرة، ولكننا نكاد نجزم أن ألم نفسه الطاهرة كان أشد وأعضم لمصاب أصحابه ومعاناتهم، وما تعرضوا له من القتل والتعذيب والجراحات، والحصار والإجلاء من ديارهم، والمصادرة لأموالهم. ولقد بلغ التنكيل والبلاء ببعضهم درجة جعلته يتلفظ، معذوراً، بالكفر، ودفعت الكثير منهم إلى ترك الديار والأحبة طلباً للأمن في بلاد الغربة، ولجأ الأكثر إلى كتمان إيمانهم، والتخفي بصلاتهم وشعائرهم. كيف لا وهو الذي قال عنه ربه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، (التوبة؛ 9: 128)!

وحتى إنفاذ الشر قد يحتاج إلي شوكة، وقوة، ومنعة، ولو من هذا النوع المحدود:
❋ كما أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ج3/ص1236/ح3197): [حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، وذكر الذي عقر الناقة قال انتدب لها رجل، **ذو عز ومنعة في قومه**، كأبي زمعة]، والحميدي في مسنده (ج1/ص259/ح569)؛ والبخاري في صحيحه (ج4/ص1889/ح4658) بلفظ: (انبعث بها رجل **عزيز عارم منيع في رهطه**، مثل أبي زمعة)؛ وبنحوه مطولاً ومختصراً أخرجه مسلم في صحيحه (ج4/ص2191/ح2855)؛ والترمذي في سننه (ج5/ص441/ح3343)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج4/ص17/ح16267)؛ والنسائي في سننه الكبرى (ج6/ص516/ح11675)؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج1/ص430/ح605)؛ وغيرهم.

❄ النوع الثاني من المنعة:

وهي المنعة الازمة لإقامة الدولة، ومباشرة الجهاد والقتال، والتأثير في الموقف الدولي، بما يلزم لنشر الدعوة.
وكان النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يطلبها بعد أن جهر بالدعوة، بعد العام الثالث من البعثة، عندما بدأ بعرض الإسلام على القبائل في المواسم، كما تدل على ذلك بعض الروايات. ولكن المؤكد يقيناً أنه كان يطلب «**النصرة**» ممن عنده «**المنعة**»، مثل ثقيف وغيرها من القبائل المرهوبة الجانب، ابتداءً من السنة

العاشرة للبعثة على أبعد تقدير، كما تواترت بذلك روايات السيرة، والسنن، على حد سواء. ثم واظب، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على ذلك إلى أن هاجر إلى المدينة، لا يترك موسماً، ولا سوقاً، ولا آتياً إلى مكة من أهل الشرف والقوة والرئاسة، إلا أتاه وعرض عليه، فمن ذلك:

❄ (أ) – طلب النصرة من ثقيف وأهل الطائف:

❄ جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد (ج1/ص210): [أخبرنا محمد بن عمر عن محمد بن صالح بن دينار وعبد الرحمن بن عبد العزيز والمنذر بن عبد الله عن بعض أصحابه عن حكيم بن حزام قال: (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قالوا: لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد، وكان بينهما شهر وخمسة أيام، اجتمعت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مصيبتان فلزم بيته وأقل الخروج ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: (يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت!)؛ وسب ابن الغيطلة النبي، صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه، فولى وهو يصيح: يا معشر قريش صبأ أبو عتبة! فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال: ما فارقت دين عبد المطلب ولكني أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم؛ فمكث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كذلك أياماً يذهب ويأتي لا يعترض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب، إلى أن جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام إلى أبي لهب فقالا له: (أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟)، فقال له أبو لهب: (يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟)، قال: (مع قومه)، فخرج أبو لهب إليهما فقال: (قد سألته فقال مع قومه)، فقالا: (يزعم أنه في النار)، فقال: (يا محمد أيدخل عبد المطلب النار؟)، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النا)ر، فقال أبو لهب: (والله لا برحت لك عدواً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار!)، فاشتد عليه هو وسائر قريش.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم قال: لما توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، واجترؤوا عليه فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشر من حين نبيء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال محمد بن عمر (بغير هذا الإسناد): فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا: يا محمد أخرج من بلدنا والحق بمجابك من الأرض، وأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاج، فانصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة، فلما نزل نخلة قام يصلي من الليل فصرف إليه نفر من الجن، سبعة من أهل نصيبين، فاستمعوا عليه وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى نزلت عليه: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾؛ فهم هؤلاء الذين كانوا صرفوا إليه بنخلة، وأقام بنخلة أياماً، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم، يعني قريشاً، وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه، ثم انتهى إلى حراء، فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم، ودعا بنيه

وقومه فقال: تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدي وولده مطيفون به]

* وجاء في سيرة ابن هشام (ج1/ص419): [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، إلَى الطّائِفِ، **يَلْتَمِسُ النّصْرَةَ** مِنْ ثَقِيفٍ، **وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ** مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللّهِ عَزّ وَجَلّ فَخَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ.
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ، قَالَ: لَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، إلَى الطّائِفِ، عَمَدَ إلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ إخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ عَبْدُ يَالَيْلَ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيَرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَجَلَسَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَكَلّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ **نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ**؛ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إنْ كَانَ اللّهُ أَرْسَلَك، وَقَالَ الْآخَرُ أَمَا وَجَدَ اللّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَك وَقَالَ الثّالِثُ وَاَللّهِ لَا أُكَلّمُك أَبَدًا. لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ اللّهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدّ عَلَيْك الْكَلَامَ وَلَئِنْ كُنْت تَكْذِبُ عَلَى اللّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلّمَك. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – : إذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي، وَكَرِهَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذْئِرَهُمْ (يُذْئِرَهُمْ: يُثيرُهم ويُجَرِؤُهم) ذَلِكَ عَلَيْهِ.
(قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ:وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنّهُمْ *** ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وَتَعَصّبُوا)
فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ حَتّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النّاسُ وَأَلْجَئُوهُ إلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ فَعَمَدَ إلَى ظِلّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ فَجَلَسَ فِيهِ. وأنبأنا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إلَيْهِ وَيَرَيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطّائِفِ، وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، – فِيمَا ذُكِرَ لِي – الْمَرْأَةَ الّتِي مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَقَالَ لَهَا: مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِك؟]؛
قلت: هذا إسناد صحيح مرسل، يزيد بن زياد المخزومي ثقة، وأبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، من أوساط التابعين، ثقة من رجال الشيخين والجمهور، إمام في السيرة والمغازي، والتفسير، عامة سماعه من الصحابة، والثقات من كبار وأوساط التابعين، لا أعلم له عن غير ثقة، أو مختلف فيه، إلا رواية واحدة عن الحارث الأعور من خبر علي بن أبي طالب، لعله اضطر إليها، ولم يجدها عند غيره؛ والعجيب أن هذه الرواية اليتيمة فاتت على الأئمة فلم يذكروا الحارث الأعور في شيوخ محمد بن كعب، لا في تهذيب الكمال، ولا في تهذيب التهذيب!

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص258/ح216): [حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير

قال: لما أفسد الله عز وجل صحيفة مكرهم خرج النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه فعاشوا وخالطوا الناس ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم كل شريف لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه ويقول: (لا أكره منكم أحدا على شيء: من رضي الذي أدعوه إليه قبله، ومن كرهه لم أكرهه؛ **إنما أريد أن تحوزوني مما يراد بي من القتل، فتحوزوني حتى أبلغ رسالات ربي**، ويقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء)؛ فلم يقبله أحد منهم ولا أتى على أحد من تلك القبائل إلا قالوا: قوم الرجل أعلم به أفترى رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه؟ وذلك لما ادخر الله عز وجل للأنصار من البركة. ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شدة فعمد إلى ثقيف يرجو أن **يؤووه وينصروه**، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو وحبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط؛ وقال الآخر: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدا لئن كنت رسولا لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك؛ وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك؟! وأفشوا ذلك في ثقيف الذي قال لهم واجتمعوا يستهزئون برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقعدوا له صفين على طريقه فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزءون ويسخرون فلما خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم فأتى ظل حبلة من الكرم فجلس في أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما أبصرهما كره أن يأتيهما؛ لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذي به، فأرسلا إليه غلامهما عداسا بعنب وهو نصراني من أهل نينوى فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «بسم الله»، فعجب عداس فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (من أي أرض أنت يا عداس؟)، قال: (أنا من أهل نينوى)، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: (من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى؟)، فقال له عداس: (وما يدريك من يونس بن متى؟)، فأخبره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من شأن يونس ما عرف وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى قال: يا رسول الله أخبرني خبر يونس بن متى فلما أخبره رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من شأن يونس بن متى ما أوحي إليه من شأنه خر ساجدا للرسول، صلى الله عليه وسلم، ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا؟ قال: هذا رجل صالح حدثني عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يدعى يونس بن متى فأخبرني أنه رسول الله فضحكا وقالا: لا يفتنك عن نصرانيتك إنه رجل يخدع ثم رجع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى مكة]؛ قلت: عمرو بن خالد بن فروخ بن سعيد التميمي الحنظلي، المصري مولداً، الحراني مقاماً، ثقة مأمون من شيوخ البخاري، سماعه من ابن لهيعة قديم، قبل مغادرته مصر في شبابه، وسماع ابن لهيعة لمغازي عروة من أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، ثابت مشهور، فهذا إسناد قوي جيد إلى عروة بن الزبير. وفيه بيان أنه كان يطلب النصرة من القبائل قبل موت أبي طالب؛ وإنما ذهب إلى الطائف بعد ذلك.

* وهو في دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص288/ح690) من طريق مختلفة تماماً: [أخبرنا أبو الحسين بن الفضل (هو القطان) قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن عتاب العبدي قال: أخبرنا القاسم

بن عبد الله بن المغيرة الجوهري قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة؛ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني قال: حدثنا جدي قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب (وهذا لفظ حديث القطان) قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسلهم مع ذلك إلا أن يروه ويمنعوه ويقول: «**لا أكره أحدا منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي وحتى يقضي الله عز وجل لي ولمن صحبني بما شاء الله**» فلم يقبله أحد منهم، ولم يأت أحد من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟ فكان ذلك مما ذخر الله عز وجل للأنصار وأكرمهم به. فلما توفي أبو طالب ارتد البلاء على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أشد ما كان، فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يأووه، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف يومئذ وهم أخوة: عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه. فقال أحدهم: أنا أمرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط. وقال الآخر: أعجز الله أن يرسل غيرك. وقال الآخر: والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبدا، والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب على الله لأنت أشر من أن أكلمك. وتهزءوا به وأفشوا في قومهم الذي راجعوه به، وقعدوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، وكانوا أعدوها حتى أدموا رجليه. فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى حائط من حوائطهم، واستظل في ظل حبلة منه، وهو مكروب موجع، تسيل رجلاه دما، فإذا في الحائط عقبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما الله ورسوله، فلما رأياه أرسلا إليه غلاما لهما يدعى عداسا وهو نصراني من أهل نينوى معه عنب، فلما جاءه عداس قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من أي أرض أنت يا عداس؟» قال له عداس: أنا من أهل نينوى، فقال له النبي، صلى الله عليه وسلم: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متى قال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان لا يحقر أحدا أن يبلغه رسالة ربه: «أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى». فلما أخبره بما أوحى الله عز وجل من شأن يونس بن متى، خر عداس ساجدا لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء. فلما أبصر عقبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكنا، فلما أتاهما، قالا: ما شأنك سجدت لمحمد، وقبلت قدميه، ولم نرك فعلته بأحد منا؟ قال: هذا رجل صالح، أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى، فضحكا به، وقالا: لا يفتنك عن نصرانيتك، فإنه رجل خداع، فرجع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى مكة]؛ قلت: هذا إسناد صحيح إلى الإمام الزهري.

ولفظ عروة في الحديث السابق يكاد يتطابق مع لفظ الزهري، فلا بد أن يكون الزهري قد أخذه من عروة، (أو أخذه كلاهما من أصل مشترك!). وعلى كل حال فاللفظ المنسوب إلي النبي، صلى الله عليه وسلم، ملفت للنظر، ولو ثبت لترتبت عليه أحكام شرعية هامة، فليحرر!

❃ وجاء في الدعاء للطبراني (ج3/ص128/ح957): [حدثنا القاسم بن الليث أبو صالح الرسعني، حدثنا محمد بن عثمان أبي صفوان الثقفي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى الطائف ماشيا على قدميه، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحمَ الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني أو إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»]؛ وقال الألباني في (السلسلة الضعيفة): [رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (ج13/ص73/ح181)، وعنه الضياء في "المختارة" (56/128/1 – 2)]؛ ونسبه ابن منده الأصفهاني في (جزء ترجمة الطبراني) (1/10 – 11) إلى المعجم الكبير، حيث قال: [وهو ما أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم في المعجم الكبير أنبأنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي حدثنا أبو صالح القاسم بن الليث الراسبي،... بعينه سنداً ومتناً]؛ وروى بعضه ابن منده في "التوحيد" (1/79)؛ قلت: لم أجده في نسختي من الطبراني الكبير.

❃ وهو في الكامل لابن عدي (111/6): [حدثنا القاسم بن الليث أبو صالح الراسبي بتنيس، أنا سألته أملاه علينا حفظا: حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي،... بعينه سنداً ومتناً]؛ ثم ابن عدي: (وهذا حديث أبي صالح الراسبي لم نسمع أن أحدا حدث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه)؛ وقال الألباني في (السلسلة الضعيفة): [وابن عدي (2/284)، وعنه ابن عساكر (2/178/14)]؛ وقال الألباني أيضاً في (السلسلة الضعيفة): [و من طريق ابن إسحاق معنعنا أخرجه أيضا الأصبهاني في "الحجة" (ق 2/166)، والرافعي في "تاريخ قزوين" (2/82)]؛ ووجدته أنا في تاريخ دمشق (152/49)؛ وفي التدوين في أخبار قزوين (195/1).

قلت: كذا جاء عند بعضهم: الراسبي، وإنما هو (الراسي) أو (الرسعني)، كلاهما نسبة صحيحة إلى (رأس العين) في الجزيرة (جزيرة العراق والشام)، وهو ثقة مأمون. وهذا إسناد رجاله ثقات مشاهير، ليس فيه ما يضر إلا عنعنة محمد بن إسحاق؛ وقصة ذهابه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلى الطائف، وما لقي فيها من الأذى والمعاناة متواترة مشهورة، ربما رواها بعض الأخباريين بغير إسناد لشهرتها وتواترها، فلم يبق إلا التحقق من صحة نص الدعاء. ولكن الدعاء جاء من طريق أخرى يصح بها نص الدعاء، إن شاء الله تعالى، لا سيما مع ملاحظة نظافة المتن، وجلالة ألفاظه، وبيانه البليغ الساحر:

❃ فقد جاء من رواية محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ذكره ابن هشام في السيرة (260/1) عن ابن إسحاق في سيرته وابن جرير في التاريخ (554/1) وذكره الثعلبي في تفسيره (19/9) عن ابن إسحاق كذلك، وابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم. وأيضاً قال ابن كثير في تفسيره (ج4/ص207): [وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي: قصة خروج النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله عز وجل وإبائهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين: أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، وأنت ربي: إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أم إلى صديق قريب ملكته أمري؟! إن لم

يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت لـه الظلمـات، وصـلح عليه أمر الدنيا والآخرة: أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قـوة إلا بك). قال: فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين، وهذا صحيح]، وأيضاً في تفسيره (ج7/ص290): وعند الذهبي في تـاريخ الإسـلام (الـسيرة)(1/284): [وقـال البكائي عن ابن إسحاق حدثني يزيد بن رومان].

وقال طويلب علم من مقلِّدة الأباني يكتب باسم (**المقرئ**) في ملتقى أهل الحديث مدافعاً عن تضعيف إمامـه وقدوته الألباني لهذا الحديث: [لقد ورد ذكر الدعاء في هذا الحديث من طريقين عن محمد بن إسحاق:
الأول: من طريقين عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عـروة، عـن أبيه، عن عبد الله بن جعفر. قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ لأن محمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعنه.
الثاني: من طريق زياد بن البكائي، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعـب القرظي مرسلاً.
قلت: فهذا **إختلاف** على محمد بن إسحاق، ومن المعلوم أن زياد البكائي من أثبت الناس في محمد بن إسحاق، فالراجح أن الصواب في هذه الرواية أنها مرسلة، فلا يحتج بها. فالذي ضعف هذا الحديث – وأقصد الـدعاء الوارد فيه – له وجه قوي جداً]
قلت: **أولاً**: ليس هو عن يزيد بن زياد، وإنما هو يزيد بن رومان. ويزيد بن رومـان، مـولى آل الـزبير، ثقـة متقن، من رجال الشيخين والجماعة، معروف بالأخذ عن عروة بن الزبير مباشرة، كما أنه أخذ من محمد بـن كعب القرظي كثيراً مما فاته عن عروة. ومحمد بن كعب القرظي كثيراً ما يرسل اعتماداً على وثاقـة شـيوخه وشهرتهم، كما أسلفنا.
وثانياً: محمد بن إسحاق من أئمة السيرة والمغازي والتاريخ، مع إكثاره من الحـديث، وقـد جـاب الأقطـار، وتتبع الطرق، فأي شئ يستغرب في تلقيه نفس الخبر من مصادر مستقلة؟! هذا ليس اختلافاً، بل هو سـعة علم، وتنوع مصادر.
وثالثاً: أن الروايتين تكاد أن تكون متطابقة في ألفاظها، مما يجعلنا نقطع بكونها عن عـروة بـن الـزبير لا محالة؛ ولا بد أن يكون محمد بن كعب القرظي أخذها من عروة، أو من ثقة عن عـروة، وكـذلك محمـد بـن إسحاق أخذها من هشام، أو من ثقة عن هشام: فثبت الحديث بدون شبهة.
فهذا الدعاء الجميل الجليل ثابت صحيح، إن شاء الله تعالى، وإليك نصه محرراً مشكولاً: [اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْـكُو ضَعْفَ قُوَّتِى، وَقِلَّةَ حِيلَتِى، وهَوَانى عَـلَى النَّـاس، يَـا أَرْحَـمَ الـرَّاحِمِينَ: أَنْـتَ أَرْحَـمُ الـرَّاحِمِينَ، وأَنْـتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وأَنْتَ رَبَّى: إِلَى مَنْ تَكِلَنِى، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِى، أَوْ إلى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِى، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَـضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِى، غَيْرَ أَنَّ عَافِيتَكَ هِى أَوْسَعُ لى؛ أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَىَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بى سَخَطُك، لك العُتبى حَتَّى تَرْضَى، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا بِكَ].

* وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج4/ص335/ح18978): [حدثنا عبد الله بن محمد (قال الإمـام عبد الله بن أحمد بن حنبل: وسمعته أنا من عبد الله بن محمد بن أبي شـيبة) حـدثنا مـروان بـن معاويـة

الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عبد الرحمن بن خالد العدواني، عن أبيه، أنه أبصر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم **النصر**، قال فسمعته يقرأ: ﴿والسماء والطارق﴾، حتى ختمها، قال: فوعيتها في الجاهلية، وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟! فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا! لو كنا نعلم ما يقول حقا لتبعناه]؛ وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (ج3/ص141/ح1778)؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج4/ص197/ح4126)، و(ج4/ص198/ح4127)، و(ج4/ص198/ح4128)؛ وربما غيرهم. وهذا إسناد حسن قوي، لأن أبا يعلى عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب الثقفي الطائفي صدوق يخطيء ويهم، وبقيته ثقات!

* وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (ج3/ص1180/ح3059): [حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا بن وهب قال أخبرني يونس عن بن شهاب قال حدثني عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، حدثته أنها قالت للنبي، صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟!)؛ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي؛ ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)]؛ وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج3/ص1421/ح1795)؛ وابن حبان في صحيحه (ج14/ص517/ح6561)؛ والنسائي في سننه الكبرى (ج4/ص406/ح7706)؛ والطبراني في معجمه الأوسط (ج8/ص370/ح8902)؛ وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (ج1/ص249/ح208)؛ وفي دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص289/ح691)؛ وغيرهم. وهذا إسناد غاية في الصحة!

❄ (ب) – طلب النصرة من قبائل شتى في المواسم، وأسواق الحج:

* أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج4/ص63/ح16654)، و(ج5/ص376/ح23240) بإسناد صحيح عن شيخ من بنى مالك بن كنانة: [حدثنا أبو النضر قال حدثنا شيبان عن أشعث قال حدثني شيخ من بنى مالك بن كنانة قال رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بسوق ذي المجاز يتخللها يقول يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا قال وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى قال وما يلتفت إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال قلنا انعت لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال بين بردين أحمرين مربوع كثير اللحم حسن الوجه شديد سواد الشعر أبيض شديد البياض سابغ الشعر]

* وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص371/ح23199) بإسناد صحيح آخر: [حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأشعث بن سليم قال سمعت رجلا في إمرة بن الزبير قال: سمعت رجلا في سوق

عكاظ يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا!)؛ ورجل يتبعه يقول: (ان هذا يريد ان يصدكم عن آلهتكم)؛ فإذا النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبو جهل]؛ قلت: إنما هو سوق ذي المجاز في ضواحي مكة يرتاده الحجيج وغيرهم، أما سوق عكاظ فهو بعيد قرب الطائف

* وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص492/ح16066) عن ربيعة بن عباد الديلي: [حدثني أبو سليمان الضبي داود بن عمرو بن زهير المسيبي قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليا أسلم، فقال: رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا!)؛ ويدخل في فجاجها، والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدا يقول شيئا، وهو لا يسكت، يقول: (أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا!)؛ إلا أن وراءه رجلا أحول، وضيئ الوجه، ذا غديرتين، يقول: (أنه صابئ كاذب!)؛ فقلت: (من هذا؟!)، قالوا: (محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة!)، قلت: (من هذا الذي يكذبه؟!)، قالوا: (عمه أبو لهب!)؛ قلت (المتكلم هنا هو: عبد الله بن ذكوان أبو الزناد): (إنك كنت يومئذ صغيراً!)، قال (المتكلم هنا هو: ربيعة بن عباد الديلي): (لا، والله إني يومئذ لأعقل!)]؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في عدة مواضع (ج3/ص492/ح16069)، و(ج4/ص341/ح19026)، و(ج4/ص341/ح19027)؛ وأخرجه الإمام ابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج2/ص210/ح964)؛ والإمام الحاكم في مستدركه (ج1/ص62/ح39)؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص61/ح9120)؛ والطبراني في المعجم الأوسط (ج9/ص57/ح4582)؛ ولعله عند غيرهم. ولم ينفرد به داود بن عمرو بن زهير المسيبي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، بل رواه أيضاً: محمد بن بكار، وإبراهيم بن أبي العباس، وسريج بن النعمان، وأبو علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، وسعيد بن أبي مريم، وإبراهيم بن علي بن الحسن بن علي بن أبي رافع؛ وربما غيرهم. كلهم يقول: (حدثنا بن أبي الزناد بنحوه). قلت: بعض هؤلاء قد سمع من عبد الرحمن بن أبي الزناد قبل تغير حفظه ببغداد؛ وهو قطعاً قد حفظ هنا لتطابق رواية الجميع عنه، وبشهادة الطرق الآتية، فالحديث صحيح:
* وأخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص62/ح4587) وفي معجمه الأوسط (ج2/ص133/ح1487): [حدثنا أحمد بن عبد الله البزاز التستري حدثنا محمد بن عثمان بن أبي صفوان الثقفي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا سعيد بن سلمة بن أبي الحسام أبو عمرو المديني عن زيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر عن ربيعة بن عباد الديلي قال رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بسوق ذي المجاز قبل أن يهاجر وهو يطوف على الناس فيقول يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وخلفه رجل يقول يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم؛ قلت من هذا قالوا عمه أبو لهب]؛ ثم عقّب الإمام الطبراني في الأوسط قائلاً: (لم يرو هذا الحديث عن زيد إلا سعيد تفرد به عبد الصمد).
وأخرجه ابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج2/ص207/ح960) بإسناد صحيح: [حدثنا الحسن بن علي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا محمد بن المنكدر وزيد بن أسلم أنهما سمعا ربيعة بن عباد رضي الله عنه يقوله بنحوه]؛ ثم قال القاضي أبو بكر: (سمعت الحسن بن علي يقول سمعت عبد الصمد بن عبد الوارث يقول: ما كان أصح كتاب سعيد بن سلمة!).

* وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص492/ح16067) بإسناد صحيح: [حدثنا سعيد بن أبي الربيع السمان قال حدثني سعيد بن سلمة (يعني بن أبي الحسام) قال حدثنا محمد بن المنكدر أنه سمع ربيعة بن عباد الديلي يقول رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول يا أيها الناس إن الله عز وجل يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا قال ووراءه رجل يقول هذا يأمركم أن تدعوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل هذا أبو لهب]؛ وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص61/ح4583)؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج2/ص207/ح959)؛ والحاكم في مستدركه (ج1/ص61/ح38) ثم قال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ورواته عن آخرهم ثقات أثبات ولعلهما أو واحدا منهما يوهم أن ربيعة بن عباد ليس له راو غير محمد بن المنكدر وقد روى عنه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان هذا الحديث بعينه).

* وأخرج ابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج2/ص208/ح961) بإسناد جيد: [حدثنا وهبان بن بقية أنبأ خالد بن عبد الله عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة بن عباد الديلي، رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بذي المجاز وهو يتبع الناس يدعوهم إلى الله، عز وجل، في منازلهم؛ ووراءه رجل أحول يقول: (لا يفتننكم هذا عن دين آبائكم) فقلت: من هذا؟! فقالوا: (عمه أبو لهب)]؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص492/ح16064 - 16065)؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص61/ح4584 - 4585)؛ وأخرجه الحارث/الهيثمي في مسنده (الزوائد) (ج2/ص663/ح641)، و(ج2/ص692/ح677)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص7/ح17505)؛ وغيرهم.

* وأخرج الطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص62/ح4586): [حدثنا إسماعيل بن محمد بن المهاجر القرشي المصري حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر بن محمد بن المنكدر حدثني أبي عن أبيه عن جده أنه سمع ربيعة بن عباد الديلي يقول رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول أيها الناس إن الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ووراءه رجل أحول وضيء له غديرتان يقول أيها الناس هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت عنه فقيل هذا عمه أبو لهب]

* وأخرج الطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص62/ح4588) بإسناد صحيح: [حدثنا موسى بن سهل أبو عمران الجوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا شعيب بن إسحاق (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا بن وهب قالا: حدثنا بن أبي ذئب عن سعيد بن خالد القارظي عن ربيعة بن عباد قال رأيت أبا لهب بعكاظ وهو يتبع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو يقول يا أيها الناس إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن مآثر آبائكم ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يلوذ منه وهو يتبعه]؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص492/ح16063)؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج2/ص209/ح963).

* وأخرج الطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص63/ح4590) بإسناد صحيح: [حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن بكير بن عبد الله بن الأشج حدثه عن ربيعة بن عباد قال رأيت أبا لهب بعكاظ وهو يتبع رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

وهو يقول يا أيها الناس إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن مآثر آبائكم ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يسعى وهو على أثره ونحن نتبعه كأني أنظر إليه أحول ذو غديرتين أبيض الناس وأجمله]

* وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص492/ح16068): [حدثنا عبد الله، حدثنا مسروق بن المرزبان الكوفي، حدثنا ابن أبي زائدة، قال: قال ابن إسحاق: فحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال سمعت ربيعة ابن عباد الديلي قال: إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء ذو جمة، يقف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على القبيلة ويقول: «يا بني فلان! إني رسول الله إليكم: آمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا، وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به»، فإذا فرغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من مقالته قال الآخر من خلفه: (يا بني فلان! إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن بني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه!)؛ فقلت لأبي: (من هذا؟!)، قال: (عمه أبو لهب)]؛ وهو بعينه عند الطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص63/ح4589)؛ وأخرجه، بنحوه، الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص493/ح16070)؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (ج2/ص208/ح962). وهذا شاهد مطول، ولكن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ضعيف، كما قال في «التقريب»، على أن يحيى بن معين، على تعنته وتشدده، قد وثقه!

* وجاء جماع بعض هذا في سيرة ابن هشام – (1/422 – 425) لحال النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بعد مصيبة الطائف: [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، مَكّةَ، وَقَوْمُهُ أَشَدّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ إلّا قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ مِمّنْ آمَنَ فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَعْرِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ إذَا كَانَتْ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ وَيُخْبِرُهُمْ أَنّهُ نَبِيّ مُرْسَلٌ وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتّى يُبَيّنَ لَهُم اللّهُ مَا بَعَثَهُ بِهِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مِنْ أَصْحَابِنَا، مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبّادٍ الدّيلِيّ أَوْ مَنْ حَدّثَهُ أَبُو الزّنَادِ عَنْهُ؛ (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: رَبِيعَةُ بْنُ عَبّادٍ). قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ، قَالَ سَمِعْت رَبِيعَةَ بْنَ عَبّادٍ يُحَدّثُهُ أَبِي، قَالَ إنّي لَغُلَامٌ شَابّ مَعَ أَبِي بِمِنًى، وَرَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْقَبَائِلِ مِنْ الْعَرَبِ، فَيَقُولُ يَا بَنِي فُلَانٍ إنّي رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ وَأَنْ تُؤْمِنُوا بِي، وَتُصَدّقُوا بِي، **وَتَمْنَعُونِي**، حَتّى أُبَيّنَ عَنْ اللّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ. قَالَ وَخَلْفَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضِيءٌ لَهُ غَدِيرَتَانِ عَلَيْهِ حُلّةٌ عَدَنِيّةٌ. فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، مِنْ قَوْلِهِ وَمَا دَعَا إلَيْهِ قَالَ ذَلِكَ الرّجُلُ يَا بَنِي فُلَانٍ إنّ هَذَا إنّمَا يَدْعُوكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللّاتَ وَالْعُزّى مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَحَلْفَاءَكُمْ مِنْ الْجِنّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أُقَيْشٍ إلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْبِدْعَةِ وَالضّلَالَةِ فَلَا تُطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ. قَالَ فَقُلْت لِأَبِي: يَا أَبَتِ مَنْ هَذَا الّذِي يَتْبَعُهُ وَيَرُدّ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ؟ قَالَ هَذَا عَمّهُ عَبْدُ الْعُزّى بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، أَبُو لَهَبٍ؛ (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ النّابِغَةُ: كَأَنّك مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ **** يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنّ)]

قلت: بعض ما سبق نقل تواتر عن ربيعة بن عباد الديلي يفيد القطع واليقين بثبوت هذا الخبر عن ربيعة بن عباد الديلي بدون أدنى شبهة.

❋ وأخرج الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ص332/ح36565) بإسناد صحيح عن طارق بن عبد الله المحاربي: [حدثنا عبد الله بن نمير قال حدثنا يزيد بن زياد (هو بن أبي الجعد) قال حدثنا أبو صخرة جامع بن شداد عن طارق بن عبد الله المحاربي قال رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بسوق ذي المجاز وأنا في بياعة أبيعها قال فمر وعليه جبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: (أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)، ورجل يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: (يا أيها الناس لا تطيعوه فانه كذاب)، قال: قلت: (من هذا؟!)، قالوا: (هذا غلام من بني عبد المطلب)، قلت: (فمن هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟!)، قالوا: (عمه عبد العزى، (وهو أبو لهب))]؛ وأخرجه هكذا مختصراً ابن خزيمة في صحيحه (ج1/ص82/ح159)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج1/ص76/ح363)؛ وأخرجه الجمهور في قصة طويلة، منهم: ابن حبان في صحيحه (ج14/ص520/ح6562)؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج8/ص315/ح8175)؛ والدارقطني في سننه (ج3/ص45/ح186)؛ والحاكم في مستدركه (ج2/ص669/ح4219)، ثم قال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)؛ وغيرهم.

قلت: هذه أخبار يؤيد بعضها بعضاً، وليس فيها أدنى تعارض أو اختلاف، فراوي قصة أبي لهب ربيعة بن عباد الديلي، رضي الله عنه، من بني الديل من كنانة، وراوية قصة أبي جهل رجل آخر من بني مالك بن كنانة، لم يصلنا أسمه، رضي الله عنه، ولا عجب، فسوق ذي المجاز هو سوق قريش، وهم أهم قبائل كنانة، وسوق كافَّة كنانة. وسوق ذي المجاز لا يبعد عن الحرم إلا بحوالي 25 كم، ويقع شرق الحرم، وشمال عرفات؛ وربما اعتبره الناس بقعة من بقاع منى، لأنه سوق الحجيج أثناء إقامتهم بها، فلا عجب أن تأتي لفظة (منى) بدلاً من (ذي المجاز) في العديد من الروايات.

فهاتان إذاً قصتان مختلفتان: إذا تعب أبو جهل، لعنه الله، من مطاردة النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإيذائه، وكَلَّ ومَلَّ، خَلَفَه أبو لهب، لعنه الله، الذي لا يكاد يكل أو يمل، كما سنرى قريباً، وهكذا: فالحمد لله الذي جمع بينهما في نار جهنم. وقصة طارق بن عبد الله المحاربي قصة ثالثة، ولعله شهد ذلك متأخراً، لأن أبا لهب، لعنه الله، كان قد يأس من تخاذل النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتركه للدعوة، فأماط لثام التجمل والأدب، وظهر على حقيقته القبيحة، ولجأ إلى العنف المجرد، والرجم بالحجارة!

وعلى كل حال فليس ها هنا تصريح بأن ذلك كان من باب (**طلب النصرة**)، وإن كان ذلك ممكناً، كما يظهر من رواية واحدة، وإنما هو – في المقام الأول – من باب (**الدعوة الجماهيرية العامة**) أو (**التثقيف الجماهيري**)، وهي المرحلة التالية لمرحلة (**الدعوة السرية**) التي هي أيضاً مرحلة (**التثقيف المركز**)؛ أما (**طلب النصرة**) بحق فستأتي بعد قليل:

❋ فمن ذلك ما أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص390/ح15229) بإسناد صحيح: [حدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن عثمان (يعني بن المغيرة) عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: (**هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل!**)؛.. إلخ]؛ وبتمام طوله أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (ج7/ص59/ح6847)؛ وكذلك أخرجه الحاكم في مستدركه (ج2/ص670/ح4220)، ثم

عقَّب الإمام الحاكم قائلاً: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)]؛ وتجده بطوله في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص253/ح212)؛ وفي دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص287/ح689)؛ وهو عند غيرهم من طرق كثيرة، كما سيأتي. وهذا الحديث الصحيح شاهد قوي على أن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، رحمه الله، بالرغم مما قيل من ضعف حفظه، قد حفظ من ربيعة بن عباد الديلي، رضي الله عنه، ما لم يحفظه غيره.
تأمَّل قوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**هل من رجل يحملني إلى قومه؟! فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي!**»، صريح في طلب النصرة من ذي شوكة ومنعة!

❋ وما جاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص255/ح214): [أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدثنا الحسن بن أبي الجهم قال: حدثنا الحسين بن الفرج قال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي حدثني أيوب بن النعمان بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: أقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثلاث سنين من نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى **أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل ولهم الجنة**، فلا يجد أحدا **ينصره** حتى إنه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة حتى انتهى إلى بني عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الأذى قط ما لقي منهم حتى خرج من عندهم، **وإنهم ليرمونه من ورائه**؛ حتى انتهى إلى بني محارب بن خصفة فوجد فيهم شيخا ابن مائة سنة وعشرين سنة فكلمه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ودعاه إلى الإسلام: **أن يمنعه حتى يبلغ رسالة ربه**، فقال الشيخ: (أيها الرجل قومك أعلم بنبئك، والله لا يؤوب بك رجل إلى أهله إلا آب بشر ما يؤوب به أهل الموسم؛ فأغن عنا نفسك)؛ وإن أبا لهب لقائم يسمع كلام المحاربي ثم وقف أبو لهب على المحاربي فقال: (لو كان أهل الموسم كلهم مثلك لترك هذا الدين الذي هو عليه إنه **صابئ كذاب**)؛ قال المحاربي: (أنت والله أعرف به؛ هو ابن أخيك ولحمتك)؛ ثم قال المحاربي: (لعل به يا أبا عتبة لمما فإن معنا رجلا من الحي يهتدي لعلاجه؟!)؛ فلم يرجع أبو لهب بشيء؛ غير أنه إذا رآه وقف على حي من أحياء العرب صاح به أبو لهب: (إنه صابئ كاذب)]؛ ثم عقَّب راوية الكتاب عن أبي نعيم قوله: [قال الشيخ رحمة الله عليه (يعني: أبا نعيم): ومن القبائل الذين سماهم الواقدي، أنه عليه السلام عرض عليهم نفسه ودعاهم إلى الإسلام: بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر من هوازن، وثعلبة بن العكابة، وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم، وأبو الجيش أنس بن أبي رافع]

❋ وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»، وفي «السيرة النبوية لابن كثير»، (ج2/ص158)، نقلاً عن موسى بن عقبة عن الزهري: [فكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، **ويكلم كل شريف في قومه**، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: «**لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعو إليه فذلك، ومن كره لم أكرهه! إنما أريد أن تحوزوني فيما يراد لي من القتل، حتى أبلغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي، ولمن صحبني، بما شاء**»، فلم

يقبله أحد منهم. وما يأتي أحداً من تلك القبائل إلا قالوا: قوم الرجل أعلم به! أترون رجلاً يصلحنا، وقد أفسد قومه، ولفظوه؟! وكان ذلك مما ذخره الله للأنصار، وأكرمهم به]؛ وقد أسلفنا ذكره بطوله، وتمام أسـناده، كما هو في دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص288/ح690). والظاهر أن ذلك كان بعـد الخـروج مـن حـصار الشعب لأن عروة بن الزبير قال في مغازيه: [لما أفسد الله، عز وجل، صحيفة مكرهم خرج رسول الله، صـلى الله عليه وسلم، وأصحابه فعاشوا، وخالطوا الناس،... إلخ]؛ وقد أسلفنا، أثناء خبر الطائف، ذكر هـذا أيـضاً بسنده القوي إلى عروة بن الزبير كما هو في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص258/ح216).

* وجاء في سيرة ابن هشام (1/424): [قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْـدِ اللّـهِ بْـنِ حُصَيْنٍ أَنّهُ أَتَى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ إلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَبْدِ اللّهِ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَعَـرَضَ عَلَـيْهِمْ نَفْـسَهُ حَتّى إنّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ يَا بَنِي عَبْدِ اللّهِ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَـرَضَ علـيهم]؛ وهو أيضاً في «السيرة النبوية لابن كثير»، (ج2/ص157)؛ وفي دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص290/ح692) مسنداً؛ وغيرها.

* وجاء في سيرة ابن هشام (1/424): [قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْـسَهُ، **فَلَمْ يَكُـنْ أَحَـدٌ مِـنْ الْعَـرَبِ أَقْـبَحَ عَلَيْـهِ رَدّا مِـنْهُمْ**]؛ وهـو أيـضاً في «الـسيرة النبويـة لابـن كثـير»، (ج2/ص157)؛ وغيرها.

* وجاء في السيرة النبوية لابن كثير (ج2/ص159 – 160): [وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبدالـلـه بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموى، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، عن العباس قال: قال لى رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا أرى لى عندك ولا عنـد أخيـك **منعـة**، فهـل أنـت مخرجى إلى السوق غدا حتى نقر في منازل قبائل الناس)، وكانت مجمع العـرب. قـال: فقلـت: هـذه كنـدة ولفها، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بـن وائـل، وهـذه منـازل بنـى عـامر بـن صعصعة، فاختر لنفسك. قال: فبدأ بكندة فأتاهم فقال: ممن القوم؟ قالوا: مـن أهـل الـيمن. قـال: مـن أي اليمن؟ قالوا: من كندة قال: من أي كندة؟ قالوا: من بنى عمرو بن معاوية. قال: فهل لكـم إلى خـير؟ قـالوا: (وما هو؟)، قال: (تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله).
قال عبدالله بن الاجلح: [وحدثني أبى عن أشياخ قومه، أن كندة قالت له: (إن ظفرت تجعـل لنـا الملـك مـن بعدك؟)، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إن الملك لله يجعله حيث يشاء). فقالوا: لا حاجة لنـا فيمـا جئتنا به]. وقال الكلبى: [فقالوا: (أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا، **وننابذ العرب**، الحق بقومـك فـلا حاجـة لنـا بك)]. فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: ممن القوم؟ قالوا: من بكر بن وائل. فقال: من أي بكـر بن وائل؟ قالوا: من بنى قيس بن ثعلبة. قال: **(كيف العدد؟)**، قالوا: **(كثير مثـل الثـرى!)**. قـال: **(فكيـف المنعة؟)**، قالوا: **(لا منعة، جاورنا فارس، فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم)**.

قال: (فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين، وتكبروه أربعا وثلاثين؟). قالوا: ومن أنت؟ قال: (أنا رسول الله)، ثم انطلق. فلما ولى عنهم، قال الكلبي: (وكان عمه أبو لهب يتبعه، فيقول للناس لا تقبلوا قوله). ثم مر أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، هذا في الذروة منا، فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه، وقالوا: زعم أنه رسول الله. قال: (ألا لا ترفعوا برأسه قولا، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه). قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر!]

* وما أخرج الحاكم في مستدركه (ج3/ص249/ح4997): [حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: (خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار **فعرض نفسه على قبائل العرب** ثم انصرفوا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا؛ منهم قطبة بن عامر بن حديدة]؛ قلت: أبو عمر عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأوسي الأنصاري، ثقة من رجال الشيخين والجماعة، من الرابعة (دون وسطى التابعين)، أكثر شيوخه من الصحابة، فهذا إسناد قوي.

* وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط (ج6/ص294/ح6454): [حدثنا محمد بن عبدالله بن عرس حدثنا هارون بن موسى الفروي حدثنا إسحاق بن محمد الفروي حدثنا عبدالله بن عمر حدثني عبدالرحمن بن القاسم عن أمه عن عائشة قالت كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعرض نفسه في كل سنة على القبائل من العرب **أن يؤووه إلى قومهم حتى يبلغ كلام الله ورسالاته**، ولهم الجنة؛ فليست قبيلة من العرب تستجيب له حتى أراد الله إظهار دينة ونصر نبيه وإنجاز ما وعده ساقه الله إلى هذا الحي من الأنصار فاستجابوا له وجعل الله لنبية، صلى الله عليه وسلم، دار هجرته]؛ ثم قال الطبراني: (لم يرو هذا الحديث عن عبد الرحمن بن القاسم إلا عبدالله بن عمر ولا عن عبد الله بن عمر إلا إسحاق الفروي تفرد به هارون الفروي)؛ وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) (ج1/ص254/ح213)؛ وغيرهما؛ قلت: عبد الله بن عمر العمري، ضعيف.

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص262/ح219): [أخبرنا أبو عمر محمد بن أحمد بن الحسن فيما قرئ عليه قال: حدثنا الحسن بن أبي الجهم قال: حدثنا الحسن بن الفرج قال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال: حدثني إسحاق بن حباب، عن يحيى بن يعلى قال: قال علي بن أبي طالب يوما وهو يذكر الأنصار وفضلهم وسابقتهم ثم قال: إنه ليس بمؤمن من لم يحب الأنصار ويعرف لهم حقوقهم: هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو في فنائهم بأسيافهم، وطول ألسنتهم، وسخاء أنفسهم. لقد كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يخرج في المواسم فيدعو القبائل ما أحد من الناس يستجيب له، ويقبل منه دعاءه؛ فقد كان يأتي القبائل بمجنة وعكاظ وبمنى، **حتى يستقبل القبائل يعود إليهم سنة بعد سنة حتى إن القبائل منهم من قال: (ما آن لك أن تيأس منا؟)**، من طول ما يعرض نفسه عليهم، حتى أراد الله عز وجل ما أراد بهذا الحي من الأنصار: فعرض عليهم الإسلام، فاستجابوا، وأسرعوا، وآووا، ونصروا، وواسوا، فجزاهم

الله خيرا: قدمنا عليهم فنزلنا معهم في منازلهم، ولقد تشاحوا فينا حتى أن كانوا ليقترعون علينا، ثم كنا في أموالهم أحق بها منهم، طيبة بذلك أنفسهم، ثم بذلوا مهج أنفسهم دون نبيهم، صلى الله عليه وسلم، وعليهم أجمعين]

❄ (ج) – طلب النصرة من كِنْدَة:

* جاء في سيرة ابن هشام (1/422): [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ: أَنّهُ أَتَى كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَفِيهِمْ سَيّدٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ مُلَيْحٌ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ]؛ وهو أيضاً في «السيرة النبوية لابن كثير»، (ج2/ص157)؛ وفي دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص290/ح692) مسنداً؛ وغيرها.

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص252/ح211) زيادة بيان لرفض كندة: [حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا منجاب قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني رجل من كندة يقال له يوسف، عن أشياخ قومه أنهم حدثوه قالوا: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رأى في منامه أنه ينصره أهل مدر ونخل فأتى كندة فقال: إني قد رأيت في منامي أنه ينصرني أهل مدر ونخل فأنتم أهل مدر ونخل فهل لكم في ذلك؟ قالوا: (نعم: **إن جعلت لنا الولاية بعدك**)؛ فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (**لست فاعله!**)؛ وأدبروا عنه فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (وجوه ملوك، وأعقاب غدرة!)]

* وقد سقنا من قبل ما جاء في السيرة النبوية لابن كثير (ج2/ص159 – 160): [وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبدالله بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموى، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، عن العباس قال: قال لى رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا أرى لى عندك ولا عند أخيك **منعة**، فهل أنت مخرجى إلى السوق غدا حتى نقر في منازل قبائل الناس)، وكانت مجمع العرب. قال: فقلت: هذه كندة ولفها، وهى أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بنى عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك. قال: فبدأ بكندة فأتاهم فقال: ممن القوم؟ قالوا: من أهل اليمن. قال: من أي اليمن؟ قالوا: من كندة قال: من أي كندة؟ قالوا: من بنى عمرو بن معاوية. قال: فهل لكم إلى خير؟ قالوا: (وما هو؟)، قال: (تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله).
قال عبدالله بن الاجلح: [وحدثني أبى عن أشياخ قومه، أن كندة قالت له: (إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟)، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إن الملك لله يجعله حيث يشاء). فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به]. وقال الكلبى: [فقالوا: (أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا، **وننابذ العرب**، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك)]... إلخ]

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص259/ح217) مزيد تفصيل عن محاورة النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكندة: [أخبرنا محمد بن أحمد بن الحسن فيما قرئ عليه حدثنا الحسن بن الجهم

قال: حدثنا الحسين بن الفرج قال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي حدثني محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت، عن ابن رومان وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما قالوا: جاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كندة في منازلهم بعكاظ فلم يأت حيا من العرب كان ألين منهم فلما رأى لينهم وقوة جبههم له جعل يكلمهم ويقول: (أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له، **وأن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم**، **فإن أظهر فأنتم بالخيار**)؛ فقال عامتهم: (ما أحسن هذا القول ولكنا نعبد ما كان يعبد آباؤنا)؛ قال أصغر القوم: (يا قوم اسبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تسبقوا إليه فوالله إن أهل الكتاب ليحدثون أن نبيا يخرج من الحرم قد أظل زمانه!)؛ وكان في القوم إنسان أعور فقال: (أمسكوا علي: أخرجته عشيرته وتؤوونه أنتم؟ تحمَّلَون حرب العرب قاطبة؟ لا ثم لا)؛ فانصرف عنهم حزينا فانصرف القوم إلى قومهم فخبروهم فقال رجل من اليهود: (والله إنكم مخطئون بخطئكم لو سبقتم إلى هذا الرجل لسدتم العرب ونحن نجد صفته في كتابنا)، فوصفه القوم الذين رأوه كل ذلك يصدقونه بما يصف من صفته ثم قال: نجد مخرجه بمكة ودار هجرته بيثرب فأجمع القوم ليوافوه في الموسم القابل فحبسهم سيد لهم عن حج تلك السنة فلم يواف أحدا منهم؛ فمات اليهودي فسمع عند موته يصدق بمحمد، صلى الله عليه وسلم، ويؤمن به]؛ قلت: وفاتت فضيلة الأبد على كندة، وهكذا تكون عاقبة متابعة الأعور والأعمى، ومخالفة المبصر المهتدي!

❄ (د) – طلب النصرة من عبس:

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص257/ح215): [أخبرنا محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدثنا الحسن بن الجهم قال: حدثنا الحسين بن الفرج قال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال: حدثنا عبد الله بن وابصة العبسي، عن أبيه، عن جده قال: جاءنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في منازلنا أي منازل بني عبس بمنى ونحن نازلون بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحلته مردفا خلفه زيد بن حارثة فدعانا، فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا؛ قال: وقد كنا سمعنا به وبدعائه في الموسم فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي فقال: (أحلف بالله لو صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان الرأي؛ فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ)؛ فقال له القوم: (دعنا عنك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به)؛ فطمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في ميسرة فكلمه فقال ميسرة: (ما أحسن كلامك وأنوره، **ولكن قومي يخالفونني وإنما الرجل بقومه فإن لم يعضدوه فالعدا أبعد**)؛ فانصرف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وخرج القوم صادرين إلى أهلهم فقال لهم ميسرة: (ميلوا بنا إلى فدك فإن بها يهود نسائلهم عن هذا الرجل)، فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (النبي الأمي العربي يركب الجمل ويجتزئ بالكسرة وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسبط في عينيه حمرة مشرب اللون فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه فإنا نحسده فلا نتبعه ولنا منه في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه أو قاتله فكونوا ممن يتبعه)، فقال ميسرة: (يا قوم: إن هذا الأمر بين!)، قال القوم: (نرجع إلى الموسم فنلقاه)، فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذاك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم؛ فلما قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المدينة وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه فقال: (يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان وأبى الله إلا ما ترى من تأخير إسلامي وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي

فأين مدخلهم يا نبي الله؟)، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار)، فقال: (الحمد لله الذي أنقذني)؛ فأسلم فحسن إسلامه؛ وكان له عند أبي بكر مكان]؛ وهو في السيرة النبوية لابن كثير (ج2/ص170 - 171).

❄ (هـ) - طلب النصرة من عامر بن صعصعة:

* وجاء في سيرة ابن هشام (1/424): [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي الزّهْرِيّ أَنّهُ أَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ - يُقَالُ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ (قَالَ ابْنُ هِشَام: فِرَاسُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ سَلَمَةَ (الْخَيْرِ) بْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ): وَاَللّهِ لَوْ أَنّي أَخَذْت هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ، لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ، ثُمّ قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ نَحْنُ بَايَعْنَاك عَلَى أَمْرِك، ثُمّ أَظْهَرَك اللّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَك، **أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِك**؟ قَالَ: (**الْأَمْرُ إلَى اللّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**)؛ قَالَ فَقَالَ لَهُ أَفَتُهْدَفُ نُحُورُنَا لِلْعَرَبِ دُونَك، فَإِذَا أَظْهَرَك اللّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِغَيْرِنَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِك، فَأَبَوْا عَلَيْهِ؛ فَلَمّا صَدَرَ النّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتْهُ السّنّ، حَتّى لَا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمْ الْمَوَاسِمَ فَكَانُوا إذَا رَجَعُوا إلَيْهِ حَدّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِك الْمَوْسِمِ فَلَمّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِك الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ فَقَالُوا: جَاءَنَا فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ، يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ، يَدْعُونَا إلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ إلَى بِلَادِنَا؛ قَالَ فَوَضَعَ الشّيْخُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمّ قَالَ: (يَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ؟! هَلْ لِذُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ؟! وَاَلّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقَوّلَهَا إسْمَاعِيلِيّ قَطّ، وَإِنّهَا لَحَقّ، فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ؟!)]؛ وهو أيضاً في «السيرة النبوية لابن كثير»، (ج2/ص158)؛ وغيرها.

* وجاء دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص251/ح210): [قال الكلبي: وأخبرني عبد الرحمن العامري، عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونحن بسوق عكاظ فقال: ممن القوم؟ قلنا: من بني عامر بن صعصعة قال: من أي بني عامر؟ قلنا: بنو كعب بن ربيعة قال: وكيف المنعة فيكم؟ قلنا: لا يرام ما قبلنا ولا يصطلى بنارنا قال: فقال لهم: إني رسول الله فإن أتيتكم تمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولم أكره أحدا منكم على شيء؟ قالوا: ومن أي قريش أنت؟ قال: من بني عبد المطلب قالوا: فأين أنت من بني عبد مناف؟ قال: هم أول من كذبني وطردني قالوا: (ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك ونمنعك حتى تبلغ رسالة ربك)؛ قال: فنزل إليهم القوم يتسوقون إذ أتاهم بجرة بن قيس القشيري فقال: (من هذا الذي أراه عندكم أنكره؟)، قالوا: (محمد بن عبد الله القرشي)، قال: (ما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنه رسول الله يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه)، قال: (فماذا رددتم عليه؟)، قالوا: (قلنا في الرحب والسعة نخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا)، قال بجرة: (ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشر من شيء ترجعون به بدأتم لتنابذ الناس وترميكم العرب عن قوس واحد قومه أعلم به لو آنسوا منه خيرا لكانوا أسعد الناس به تعمدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه وكذبوه فتؤوونه وتنصرونه؟ فبئس الرأي رأيتم)، ثم أقبل على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: (قم فالحق بقومك فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك)، قال: فقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى ناقته فركبها فغمز الخبيث بجرة شاكلتها فقمصت برسول الله، صلى الله عليه وسلم، فألقته وعند بني عامر يومئذ ضباعة بنت عامر بن قرط كانت

من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت: (يا آل عامر، ولا عامر لي: أيصنع هذا برسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم؟)، فقام ثلاثة نفر من بني عمها إلى بجرة واثنان أعاناه فأخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأرض ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطما فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء)، قال: فأسلم الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء، وهلك الآخرون لعنهم الله، واسم الثلاثة نفر الذين نصروا بجرة فراس وحزن بن عبد الله ومعاوية بن عبادة (لعنهم الله)؛ وأما الثلاثة الذين نصروا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فغطريف وغطفان أنبأنا سهل وعروة بن عبد الله (رضي الله عنهم)]

❄ **<u>(و) – حوار النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مع المثنى بن حارثة الشيباني:</u>**

* وقد سبق ما أوردنا في السيرة النبوية لابن كثير (ج2/ص159 – 160): [وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبدالله بن الاجلح ويحيى بن سعيد الاموى، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، عن العباس قال: قال لى رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا أرى لى عندك ولا عند أخيك **<u>منعة</u>**، فهل أنت مخرجى إلى السوق غدا حتى نقر في منازل قبائل الناس)، وكانت مجمع العرب؛... ثم ساق الحديث إلى أن قال: [فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: ممن القوم؟ قالوا: من بكر بن وائل. فقال: من أي بكر بن وائل؟ قالوا: من بنى قيس بن ثعلبة. قال: **(كيف العدد؟)**، قالوا: (**كثير مثل الثرى!**). قال: (**<u>فكيف المنعة؟</u>**)، قالوا: (**<u>لا منعة، جاورنا فارس، فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم</u>**). قال: (فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثا وثلاثين، وتكبروه أربعا وثلاثين؟). قالوا: ومن أنت؟ قال: (أنا رسول الله)، ثم انطلق. فلما ولى عنهم، قال الكلبى: (وكان عمه أبو لهب يتبعه، فيقول للناس لا تقبلوا قوله). ثم مر أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، هذا في الذروة منا، فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه، وقالوا: زعم أنه رسول الله. قال: (ألا لا ترفعوا برأسه قولا، فإنه مجنون يهذى من أم رأسه). قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر!]

* ولكن جاء في دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص297/ح695) خبر طويل جميل: [حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشاشي قال: حدثنا الحسن بن صاحب بن حميد الشاشي قال: حدثني عبد الجبار بن كثير الرقي قال: حدثنا محمد بن بشر اليماني، عن أبان بن عبد الله البجلي، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب، من فيه، قال: **<u>لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يعرض نفسه على قبائل العرب</u>**، خرج وأنا معه، وأبو بكر رضي الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر، رضي الله عنه، وكان مقدما في كل خير، وكان رجلا نسابة فسلم، وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم؟ أمن هامها أي من لهازمها؟ فقالوا: من الهامة العظمى، فقال أبو بكر رضي الله عنه: وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر قال: منكم عوف الذي يقال له: لا حُرَّ بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء، ومنتهى

الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فمنكم أصحاب الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال أبو بكر: فلستم من ذهل الأكبر، أنتم من ذهل الأصغر قال: فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دغفل حين تبين وجهه، فقال: إن على سائلنا أن نسله والعبو لا نعرفه أو نجهله. يا هذا، قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئا، فممن الرجل؟ قال أبو بكر: أنا من قريش، فقال الفتى: بخ بخ، أهل الشرف والرياسة، فمن أي القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة، فقال الفتى: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة. أمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر، فكان يدعى في قريش مجمعا؟ قال: لا، قال: فمنكم – أظنه قال – هشام الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف؟ قال: لا، قال: فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه القمر يضيء في الليلة الداجية الظلماء؟ قال: لا، قال: فمن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل النداوة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الرفادة أنت؟ قال: فاجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام الناقة راجعا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال الغلام:

(صادف در السيل درا يدفعه ** يهضبه حينا وحينا يصدعه)**

أما والله لو ثبت لأخبرتك من أي قريش أنت؛ قال: فتبسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم،. قال علي: فقلت: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة! قال: أجل أبا حسن ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق. قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم، فقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم جمالا ولسانا، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته وكان أدنى القوم مجلسا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال المفروق: علينا الجهد ولكل قوم جهد. فقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى، لعلك أخا قريش. فقال أبو بكر رضي الله عنه: قد بلغكم أنه رسول الله ألا هو ذا، فقال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذاك، فإلى ما تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجلس وقام أبو بكر رضي الله عنه يظله بثوبه، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشا قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»، فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعونا يا أخا قريش، فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا، فتلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فقال مفروق: وإلام تدعونا يا أخا قريش (زاد فيه غيره: فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض؛ ثم رجعنا إلى روايتنا) قال: فتلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فقال مفروق بن عمرو: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش إني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر أنه زلل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن يعقد عليهم عقد، ولكن نرجع وترجع، وننظر وتنظر. وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى بن حارثة: سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك، وإنا إنما نزلنا بين صريين: اليمامة، والسمامة، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «ما هذان الصريان؟» فقال: أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان مما يلي مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا أن لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا قرشي مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، **وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه**، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذلك قال: فتلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾؛ ثم نهض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قابضا على يدي أبي بكر وهو يقول: يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم. قال: فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: فلقد رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد سر بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم]؛ قال لنا أبو عبد الرحمن (راوية البيهقي): قال الشيخ أبو بكر (هو البيهقي): [قال الحسن بن صاحب: كتب هذا الحديث عني أبو حاتم الرازي. قلت: (وقد رواه أيضا محمد بن زكريا الغَلَابي، وهو متروك، عن شعيب بن واقد، عن أبان بن عبد الله البجلي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد العماني، حدثنا محمد بن زكريا الغَلَابي، حدثنا شعيب بن واقد، حدثنا أبان بن عبد الله البجلي فذكره بإسناده ومعناه)؛ وروي أيضا بإسناد آخر مجهول عن أبان بن تغلب. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن عنبسة الكوفي قال: حدثني محمد بن الحسين القرشي قال: حدثنا أحمد بن أبي نصر السكوني، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب، فذكره، وقال: خرج إلى منى وأنا معه]؛ وهو في تاريخ دمشق (ج17/ص293) من طريق البيهقي،

* وهو في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص250/ح209): [حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمد بن زكريا الغَلَابي قال: حدثنا شعيب بن واقد الصفار قال: حدثنا أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب؛ (ح) وحدثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي قال: حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي الرقي قال: حدثنا محمد بن بشر قال: حدثنا أبان بن عبد الله البجلي، عن أبان بن تغلب قال:

حدثنا عكرمة، عن ابن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنحوه]
❋ وتجده أيضاً في غريب الحديث للخطابي (ج2/ص21 – 22): [وحدثنيه محمد بن الحسين أخبرنا السراج أخبرنا عبد الجبار بن كثير أخبرنا محمد بن بشر اليماني عن أبان بن عبد الله البجلي عن أبان بن تغلب بإسناده مثله]
❋ وهو أيضاً في ثقات ابن حبان – جزء السيرة (ج1/ص80): [أخبرنا الحسن بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة حدثنا عبد الجبار بن محمد بن كثير التميمي حدثنا محمد بن بشر اليماني عن أبان بن عبد الله البجلي عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن بن عباس قال حدثني على بن أبى طالب به]
❋ وهو أيضاً في الأنساب للسمعاني (ج1/ص37/ح56): [أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي بنيسابور أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الفقيه الشاشي حدثني عبد الجبار بن كثير الرقي حدثنا محمد بن بشر عن أبان بن تغلب]
❋ وهو في [التدوين في أخبار قزوين (95/1)]: [محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد بن زياد النيسابوري أبو بكر ورد قزوين، وحدث بها وروى عنه أبو الحسن القطان، في الطوالات، فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن حمدون هذا بقزوين في المحرم سنة تسع وسبعين ومائتين، حدثني أبو إسحاق عبد الجبار بن كثير بن سيار الرقي حدثنا محمد بن بشر، **لقيته باليمن**، عن أبان البجلي، عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر يسلم وكان أبو بكر مقدماً في كل خير وكان رجلاً نسابه وذكر الحديث الطويل]

❋ وهو أيضاً في الضعفاء الكبير للعقيلي (ج1/ص98/ح74) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [حدثنا إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الناقد قال: حدثني جدي إسماعيل بن مهران قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر السكري عن أبان بن عثمان الأحمر عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب «أن النبي عليه السلام عرض نفسه على قبائل العرب» وذكر الحديث بطوله]؛ ثم قال العقيلي: (وليس لهذا الحديث أصل، ولا يروى من وجه يثبت إلا شيء يروى في مغازي الواقدي وغيره مرسلا)؛ قلت: إنما هو السكوني، وليس السكري.
❋ وتجده أيضاً في غريب الحديث للخطابي (ج2/ص21 – 22) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [حدثنا ابن الأعرابي أخبرنا جعفر بن عنبسة اليشكري عن محمد بن الحسن القردوسي أخبرنا أحمد بن أبي نصر السكوني عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب بنحوه]
❋ وهو أيضاً في الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكريا (270/1) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [أخبرنا المعافى بن زكرياء قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بحرمي الأضاحي قال حدثنا عبد الله بن شبيبٍ قال حدثني إسماعيل بن مهران قال حدثني أحمد بن محمد بن أبي نصرٍ عن أبان بن عثمان عن ابان بن تغلب به]

❋ وهو أيضاً في الأنساب للسمعاني (ج1/ص36/ح55) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [أخبرنا أبو البركات إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ببغداد أخبرنا أبو روح ياسين بن سهل القاضي أخبرنا أبو الحسن رشأ بن نظيف بن ما شاء الله المقري أخبرني عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني حدثنا أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زبر الربعي أخبرنا أبي حدثنا عبد الكريم بن الهيثم بن العاقولي وأحمد بن السري بن سنان وهذا لفظ أحمد قالا حدثنا إسماعيل بن مهران السكوني حدثني أحمد بن محمد بن أبي نصر السكوني حدثني أبان بن عثمان الأحمر]

❋ وهو أيضاً في أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني (ج1/ص67/ح47) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [حدثنا أبو العباس الهروي، حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن مهران السكوني، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر السكوني، عن أبي عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: حدثني علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في حديث طويل قال: قلت لأبي بكر: لقد وقعت على باقعة، قال: أجل، إن لكل طامة طامة، البلاء موكل بالمنطق]؛ وقال محقق الكتاب د.عبدالعلي عبدالحميد حامد: (إسناده لا يصح وفيه من لم أعرفه).

❋ وهو في المتفق والمفترق للخطيب البغدادي (2/98/252) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [أخبرنا الحسين بن أبي بكر أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبدالله بن زياد القطان حدثنا أبو يحيى عبدالكريم ابن الهيثم الديرعاقولي حدثنا إسماعيل بن مهران بن أبي نضر السكوني حدثني أحمد بن محمد بن أبي نضر السكوني عن أبان بن عثمان الأحمر]

❋ وهو أيضاً في تاريخ دمشق (ج17/ص296) من طريق أبان بن عثمان الأحمر: [قرأته على أبي محمد السلمي عن أبي بكر الخطيب أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان حدثنا أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم الدير عاقولي حدثنا إسماعيل بن مهران بن أبي نصر السكوني حدثني أحمد بن محمد بن أبي نصر السكوني عن أبان بن عثمان الأحمر عن أبان بن تغلب بنحوه]

❄ قبيلة «همدان» كادت أن تنصر الله ورسوله:

❋ أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص390/ح15229) بإسناد صحيح: [حدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن عثمان (يعني بن المغيرة) عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: (هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل!)؛ فأتاه رجل من همدان فقال ممن أنت فقال الرجل من همدان قال: (فهل عند قومك من **منعة**؟!)؛ قال: (نعم)؛ ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: (آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل)، قال: (نعم)؛ فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب]؛ وبتمام طوله أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (ج7/ص59/ح6847): [حدثنا محمد بن معاذ حدثنا محمد بن كثير حدثنا إسرائيل بنحوه]؛ وكذلك أخرجه الحاكم في مستدركه ج2/ص670/ح4220: [أخبرني محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا

إسرائيل به؛ ثم عقَّب الإمام الحاكم قائلاً: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)]؛ وتجده بطوله في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص253/ح212)؛ ولعله عند غيرهم.
* ومن طريق محمد بن كثير عن إسرائيل أخرج الإمام البخاري في خلق أفعال العباد (ج1/ص40)، و(ج1/ص60) صدره إلى قوله (أن أبلغ كلام ربي عز وجل!)؛ وكذلك أبو داود في سننه (ج4/ص235/ح4734)؛ ومن طريق الإمام البخاري في خلق أفعال العباد، وبلفظه، أخرجه الترمذي في سننه (ج5/ص184/ح2925)، ثم قال أبو عيسى هذا حديث غريب صحيح؛ وتجده بطوله في دلائل النبوة للإمام البيهقي (ج2/ص287/ح689)؛ ومن طريق عبد الله بن رجاء عن إسرائيل أخرجه ابن ماجه في سننه (ج1/ص73/ح201)؛ والنسائي في سننه الكبرى (ج4/ص411/ح7727)؛ ومن طريق محمد بن يوسف عن إسرائيل أخرجه الدارمي في سننه (ج2/ص533/ح3354)؛ وهو في دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص287/ح689) من طريق مصعب بن المقدام عن إسرائيل؛ وغيرهم.
هذا إسناد متصل صحيح، مسلسل بالثقات، لأن سالم ابن أبي الجعد رافع، وهو ثقة إجماعاً، وإن كان كثير الإرسال، لكن سماعه من جابر ثابت كما هو في البخاري في مواضع متعددة منها التالي: (قال البخاري: حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا زائدة عن حصين عن سالم بن أبي الجعد قال **حدثنا** جابر بن عبدالله قال بينما نحن نصلي مع النبي، صلى الله عليه وسلم، إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي، صلى الله عليه وسلم، إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما﴾). وقد أكثر البخاري، ومسلم، وأهل السنن إخراج حديثه عن جابر. فالحديث صحيح قطعاً، بلا شك!

لقد فاتت تلك الفضيلة العظيمة، فضيلة الأبد، على همدان، وهم أكثر عدداً، وأشد شكيمة، وأعظم منعة من الأوس والخزرج، بتردد ذلك الرجل، سامحه الله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

❄ النبي، صلوات الله وسلامه عليه، يرفض نصرة «دوس»:

* وأخرج أبو يعلى في مسنده (ج4/ص127/ح2175) بإسناد صحيح على شرط مسلم: [حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بِمَكَّةَ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (هَلُمَّ إِلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، وَعَدَدٍ وَعُدَّةٍ)؛ (قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: الدَّوْسُ: حِصْنٌ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لا يُؤْتَى إِلا فِي مِثْلِ الشِّرَاكِ)؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (<u>أَمَعَكَ مَنْ وَرَاءَكَ؟</u>)، قَالَ: (لا أَدْرِي)؛ قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ، لِمَا ذَخَرَ اللَّهُ لِلأَنْصَارِ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، الْمَدِينَةَ، قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو مُهَاجِرًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِهِ، فَحُمَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ حُمَّى شَدِيدَةً فَخَرَجَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا دَوَاجِلَهُ فَشَخَبَ حَتَّى مَاتَ، فَدُفِنَ فَجَاءَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فِي اللَّيْلِ إِلَى الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فِي شَارَةٍ حَسَنَةٍ، وَهُوَ مُخَمِّرٌ يَدَهُ، فَقَالَ لَهُ الطُّفَيْلُ: أَفُلانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: صَنَعَ بِي رَبِّي خَيْرًا، غُفِرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ يَدَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَبِّي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَقَصَّ الطُّفَيْلُ رُؤْيَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ، اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ،

اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ)]؛ ومن طريق أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى أخرجه ابن حبان في صحيحه (ج7/ص287/ح3017)؛ وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (ج1/ص216/ح614)، وفي قرة العينين (ج1/ص64/ح87): [حدثنا عارم قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله باختصار طفيف]؛ والإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص109/ح116): [حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم جميعا عن سليمان قال أبو بكر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد بـه]؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص371/ح15024)؛ والحاكم في مستدركه (ج4/ص86/ح6963)، وبالغ فقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج8/ص17/ح15613)؛ والطبراني في معجمه الأوسط (ج3/ص39/ح2406)، ثم قال: (لم يرو هذا الحديث عن ابي الزبير إلا حجاج تفرد به حماد)، قلت: لم يتفرد يه حماد بن زيد بن درهم، وهو ثقة ثبت، حجة بمفرده، بل رواه أبو بشر إسماعيل بن ابراهيم بن مقسم (ابن علية)، وهو أيضاً ثقة حافظ، حجة بمفرده، بلفظ أتم، كما سبق.

ومن رواية أبي بشر إسماعيل بن ابراهيم علمنا سبب إباء النبي، صلى الله عليه وسلم، لنصرة الطفيل بن عمرو الدوسي، على حصانة جبال دوس، ومنعة قلاعهم، لأن الطفيل بن عمرو الدوسي لم يكن متيقناً من وقوف قومه معه، ودعمهم له، والله أعلم!

❄ الأوس والخزرج أنصار الله ورسوله:

⁎ أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص427/ح23668): [حدثنا يعقوب بن إبراهيم: حدثنا أبي: عن ابن إسحاق: حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، قال: لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول، الله، صلى الله عليه وسلم، فأتاهم، فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم إلى خير مما جئتم له؟!»، قالوا: وما ذاك؟! قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئا وأنزل علي كتابا»، ثم ذكر الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: (أي قوم! هذا والله خير مما جئتم لـه!)، قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها في وجه إياس بن معاذ. وقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عنهم وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما! لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما سمع]؛ وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (ج1/ص276/ح805)؛ والحاكم في مستدركه (ج3/ص199/ح4831) من طريق ثانية، ثم قال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)؛ وهو في دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص294/ح691ب) مسنداً.

⁎ وهو في سيرة ابن هشام (ج1/ص427): [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي الْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ لَمّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ، مَكّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ

الْأَشْهَلِ فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ الْخَزْرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ فَقَالُوا لَهُ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ قَالَ ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا: أَيْ قَوْمِ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ قَالَ فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ، حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَالَ دَعْنَا مِنْك، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا. قَالَ فَصَمَتَ إِيَاسٌ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ. قَالَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ فَمَا كَانُوا يَشُكُّونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، مَا سَمِعَ]

قلت: هذا عرض قديم، قبل وقعة بعاث، أي قبل العقبتين بزمان، ولا يظهر فيه طلب النصرة، والظاهر أنه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، لم يكن يتوقع من يثرب وأهلها نصرة آنذاك، وقد صدق توقعه، فقد كانوا مشغولين بحربهم «الأهلية»، وفتنتهم القبلية. فقد كانوا في الحقيقة منقسمين إلى عدة كيانات، كل كيان بمثابة دولة: الأوس كيان، والخزرج كيان أو عدة كيانات، ويهود بني قينقاع دولة، وكذلك يهود بني النضير دولة، وبني قريضة دولة ثالثة، وهكذا!

* أخرج الطبراني في معجمه الكبير (ج2/ص188/ح1766): [حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير قال قال بن إسحاق فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه، صلى الله عليه وسلم، وإنجاز وعده خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار وهم فيما يزعمون ستة فيهم جابر بن عبد الله بن رياب]

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص263/ح220): [أخبرنا محمد بن أحمد قال: حدثنا الحسن بن أبي الجهم قال: حدثنا الحسين بن الفرج قال: حدثنا محمد بن عمر قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي منصور، عن إبراهيم بن يحيى بن يزيد بن ثابت، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع قالت: «أقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله عز وجل فيؤذى ويشتم حتى أراد الله عز وجل بهذا الحي من الأنصار ما أراد من الكرامة فانتهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى نفر عند العقبة وهم يحلقون رءوسهم قلت: من هم يا أمَّه؟ قالت: ستة نفر أو سبعة منهم من بني النجار ثلاثة: أسعد بن زرارة وابنا عفراء، ولم تسم لي من بقي، قالت: فجلس رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إليهم فدعاهم إلى الله عز وجل فقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ورسوله فوافوا قابل وهي العقبة الأولى ثم كانت العقبة الآخرة قلت لأم سعد: وكم كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أقام بمكة؟ قالت: أما سمعت قول أبي صرمة قيس بن أبي أنس؟ قلت: لا أدري ما قال فأنشدتني قوله:

ثم في قريش بضع عشرة حجة ** يذكر لو لاقى صديقا مواتيا**

ويعرض فيها في المواسم نفسه ** فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا**

فلما أتانا واطمأنت به النوى ** وأصبح مسرورا بطيبة راضيا**

وذكر الأبيات»]

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص261/ح218): [حدثنا حبيب بن الحسن قال: حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: لما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه، صلى الله عليه وسلم، وإنجاز موعده له خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار يعرض نفسه على قبائل العرب كلها كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيرا.
قال إبراهيم (هو بن سعد): عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه قال: لما لقيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن الخزرج قال: أمن موالي اليهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون حتى أكلمكم؟ قالوا: بلى، قال: فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال: وكان مما صنع الله تعالى بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان وكانت الأوس والخزرج قد عزوهم ببلادهم، وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، قال: فلما كلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود؛ فلا تسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: (**إنا كنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله؛ فلا رجل أعز منك**)، ثم انصرفوا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج منهم من بني النجار وهم تيم الله ثم من بني مالك بن النجار أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ أنبأنا الحارث بن رفاعة، ومن بني زريق بن عامر: رافع بن مالك بن العجلان، ومن بني سلمة بن سعد ثم من بني سواد بن غنم قطبة بن عامر بن حديدة، ومن بني حرام بن كعب عقبة بن عامر بن نابي، ومن بني عبيد بن عدي جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان، فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان في العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوه على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين وكان مصعب بن عمير يسمى بالمدينة المقرئ وكان منزله على أبي أمامة أسعد بن زرارة أخي بني النجار]

* وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص265/ح222): [حدثنا سليمان بن أحمد عن محمد بن عمرو بن خالد قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير قال: «لما حضر الموسم حج نفر من الأنصار من بني مالك بن النجار منهم معاذ بن عفراء وأسعد بن زرارة ومن بني زريق

رافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس ومن بني غنم بن عوف عبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن بن ثعلبة ومن بني عبد الأشهل أبو الهيثم بن التيهان ومن بني عمرو بن عوف عويم بن ساعدة فأتاهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم خبره والذي اصطفاه الله عز وجل له من نبوته وكرامته وقرأ عليهم القرآن فلما سمعوا قوله أيقنوا واطمأنوا إلى دعوته وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إياه بصفته وما يدعوهم إليه فصدقوا وآمنوا به وكانوا من أسباب الخير قالوا له: (قد علمت الذي بين الأوس والخزرج من الدماء ونحن ثم نحب ما أن نشد به أمرك ونحن لله ولك مجتهدون وإنا نشير عليك بما نرى فامكث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنخبرهم بشأنك وندعوهم إلى الله ورسوله، **فلعل الله أن يصلح بيننا ويجمع أمرنا، فإنا اليوم متباعدون متباغضون**، **فإن تقدم علينا ولم نصطلح لم يكن لنا جماعة عليك**، ولكن نواعدك الموسم من العام المقبل، فرضي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي قالوا، فرجعوا إلى قومهم فدعوهم سرا، وأخبروهم برسول الله، صلى الله عليه وسلم، والذي بعثه الله به ودعاهم إليه بالقرآن، حتى قل دار من دورهم إلا أسلم فيها ناس لا محالة، ثم بعثوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن ابعث إلينا رجلا من قبلك فيدعو الناس بكتاب الله؛ فإنه أدنى أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار فنزل في بني غنم على أسعد بن زرارة فجعل يدعو الناس سرا فيفشو الإسلام ويكثر أهله وهم في ذلك مستخفون بدعائهم ثم إن أسعد بن زرارة أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا بئر مرق أو قريبا منها فجلسا هناك وبعثا إلى رهط من أهل الأرض فأتوهم مستخفين فبينا مصعب بن عمير يحدثهم ويقص عليهم أخبر بهم سعد بن معاذ فأتاهم في لأمته معه الرمح حتى وقف عليهم فقال: علام تأتينا في دورنا بهذا الوحيد الفريد الطريح الغريب يسفه ضعفاءنا بالباطل، ويدعوكم إليه، ولا أراكم بعدها بشيء من جوارنا، فرجعوا ثم إنهم عادوا الثانية لبئر مرق أو قريبا منها فأخبر بهم سعد بن معاذ فتواعدهم توعدا دون الوعيد الأول، فلما رأى أسعد بن زرارة منه لينا قال: يا ابن خالة، اسمع من قوله، فإن سمعت منكرا فاردده بأهدى منه، وإن سمعت حقا فأجب إليه، فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليه مصعب بن عمير: حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون فقال سعد بن معاذ: ما أسمع إلا ما أعرف، فرجع قد هداه الله تعالى ولم يظهر لهم الإسلام حتى رجع إلى قومه فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه وقال: من شك فيه من صغير أو كبير أو أنثى أو ذكر فليأتنا بأهدى منه نأخذ به، فوالله لقد جاء أمر لتحزن فيه الرقاب، فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد بن معاذ ودعائه إلا من لم يذكر، فكانت أول دور من دور الأنصار أسلمت بأسرهم، ثم إن بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة فانتقل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ فلم يزل عنده يدعو ويهدي الله على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم، وكانت المسلمون أعز أهلها وصلح أمرهم، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان يدعى المقرئ، ثم حج العام المقبل منهم سبعون رجلا من الأنصار منهم أربعون رجلا من ذوي أسنانهم وأشرافهم وثلاثون شابا، وأصغرهم: عقبة بن عمرو وأبو مسعود وجابر بن عبد الله، ومع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العباس بن عبد المطلب، فلما حدثهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالذي خصه الله عز وجل به من النبوة والكرامة ودعاهم إلى الإسلام وإلى أن يبايعوه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم أجابوا وصدقوا وقالوا: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال» أشترط لربي أن لا تشركوا به شيئا، وأن تعبدوه،

وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم «فلما طابت أنفسهم بذلك الشرط اشترط له العباس وأخذ عليهم المواثيق لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعظم الذي بينهم وبين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: وكان أول من بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم العقبة أبو الهيثم بن التيهان وقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس حبالا، والحبال الحلف والمواثيق، فلعلنا نقطعها ثم ترجع إلى قومك وقد قطعنا الحبال وحاربنا الناس فيك، فضحك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قوله وقال: «الدم الدم، والهدم والهدم»، فلما رضي أبو الهيثم بما رجع إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قوله أقبل على قومه فقال: يا قوم، هذا رسول الله حقا، أشهد بالله إنه لصادق، وإنه اليوم في حرم الله وأمنه بين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنكم إن تخرجوه ترمكم العرب عن قوس واحدة، فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم، فإنه رسول الله حقا، وإن خفتم خذلانه فمن الآن، فقال عبد الله: قبلنا عن الله وعن رسول الله، فخل بيننا يا أبا الهيثم وبين رسول الله فلنبايعه فقال أبو الهيثم: فأنا أول من يبايع، ثم تتابعوا كلهم، وصاح الشيطان من رأس الجبل: يا معشر قريش هذه بنو الأوس والخزرج تحالف على قتالكم، ففزعوا عند ذلك وراعهم، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يرعكم هذا الصوت، فإنما هو عدو الله إبليس، ليس يسمعه أحد ممن تخافون»، وقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فصرخ بالشيطان فقال: «يا ابن أزب، أهذا عملك؟ سأفرغ لك»، وبلغ قريشا الحديث فأقبلوا حتى إنهم ليتوطئون على رحل أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وما يبصرونهم فرجعت قريش وقال العباس بن عبادة بن نضلة أخو بني سالم: يا رسول الله إن شئت والذي أكرمك ملنا على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لم أومر بذلك وكان هؤلاء النفر اتفقوا على مرضاة الله وأوفوا بالشرط من أنفسهم بنصر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم صدروا رابحين راشدين إلى بلادهم وجعل الله عز وجل لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين ملجأ وأنصارا ودار هجرة]؛ وقد سبق الكلام عن هذا الإسناد وجودته.

* وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (ج2/ص301/ح697) من طريق أخرى: [أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، ببغداد قال: أخبرنا أبو بكر بن عتاب قال: حدثنا القاسم بن عبد الله بن المغيرة قال: حدثنا ابن أبي أويس قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة، (ح) وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني قال: حدثني جدي قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزهري، في قصة خروج النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى الطائف قال: فرجع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى مكة، فلما حضر الموسم حج نفر من الأنصار فيهم: معاذ ابن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان، وعبادة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة، فأتاهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم خبره، والذي اصطفاه الله به من كرامته ونبوته، وقرأ عليهم القرآن، فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم إلى ما سمعوا منه، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من صفته، فصدقوه، واتبعوه وكانوا من أسباب الخير الذي سبب له، صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا: قد علمت الذي بين الأوس والخزرج من الاختلاف وسفك الدماء، ونحن حراص على ما أرشدك الله به مجتهدون لك بالنصيحة، وإنا

نشير عليك برأينا فامكث على رسلك باسم الله حتى نرجع إلى قومنا، فنذكر لهم شـأنك، ونـدعوهم إلى اللـه ورسوله، **فلعل الله عز وجل أن يصلح ذات بينهم، ويجمـع لهـم أمـرهم، فإنـا اليـوم متباغـضون متباعدون، وإنك إن تقدم علينا ولم نصطلح لا يكون لنا جماعة عليك**، ولكنا نواعدك الموسم من العام المقبل. فرضي بذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فرجعوا إلى قومهم فدعوهم سرا وأخبروهم برسول الله، صلى الله عليه وسلم، والذي بعثه الله به وتلوا عليهم القرآن حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم فيهـا ناس، ثم بعثوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معاذ ابن عفراء، ورافع بن مالك: أن ابعث إلينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله، فإنه قمن أن يتبع. قال: فبعث إليهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مصعب بن عمير، أخا بني عبد الدار بن قصي، فنزل في بني تيم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس سرا، ويفشوا الإسلام، ويكثر أهله، وهم مع ذلك شديد استخفاؤهم، ثم إن أسعد بن زرارة، وهو أبو أمامة أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا بئر بني مرق، فجلسا هنالك وبعثا إلى رهط مـن الأنـصار فأتوهمـا مـستخفين، فبينما مصعب بن عمير يحدثهم، ويقص عليهم القرآن أخبر بهم سعد بن معاذ ويقول بعـض النـاس: بـل أسيد بن حضير، فأتاهم في لأمته معه الرمح حتى وقف عليهم، فقال لأبي أمامة: علام تأتينا في دورنـا بهـذا الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل، ويدعوهم إليه، لا أراك بعدها تـسيء مـن جوارنـا، فقـاموا ورجعوا. ثم إنهم عادوا مرة أخرى لبئر بني مرق أو قريبا منها، فذكروا لسعد بـن معـاذ الثانيـة، فجـاءهم فتواعدهم وعيدا دون وعيده الأول، فلما رأى أسعد بن زرارة منه لينا قال له: يا ابن خالة، استمع مـن قولـه فإن سمعت منكرا فاردده بأهدى منه، وإن سمعته حقا فأجب إليه. فقال: ماذا تقول؟ فقرأ عليه مصعب بن عمير «حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (5)» فقال سعد بن معاذ: مـا أسـمع إلا مـا أعرف، فرجع سعد بن معاذ وقد هداه الله ولم يظهر لهما إسلامه حتى رجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام، وأظهر لهم إسلامه، وقال: من شك منكم فيه فليأت بأهدى منه، فوالله لقد جاء أمر لتحـزن فيـه الرقاب، فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد بن معاذ ودعائه - إلا من لا يذكر فكانت أول دار مـن دور الأنصار أسلمت بأسرها. ثم إن بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بـن زرارة، فانتقـل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ، فلم يزل عنده يدعو آمنا ويهدي الله على يديـه حتـى قـل دار مـن دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافها. وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهـل المدينـة، ورجع مصعب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكان يدعى المقرئ. وقال ابـن شـهاب: وكـان أول مـن جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله، صلى الله عليه وسلم]، ثم قـال الإمـام البيهقـي: (هكذا ذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قصة الأنصار في الخرجة الأولى وذكرها ابن إسحاق عـن شـيوخه أتم من ذكره، وزعم أنه لقي أولا نفرا منهم، فيهم أسعد بن زرارة، ثم انصرفوا حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم اثنا عشر رجلا من الأنصار فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوه، فيهم أسعد بـن زرارة وعبـادة بن الصامت، وبعث بعدهم أو معهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مصعب بن عمير رضي الله عنـه وعـن جماعتهم، ونحن نروي بإذن الله عز وجل القصة بتمامها).

* وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (ج2/ص302/ح698): [أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحـافظ رحمه الله قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: حـدثنا

يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق بن يسار قال: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه، صلى الله عليه وسلم، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا.

قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لما لقيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لهم: ممن أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. قال: فجلسوا معه، فدعاهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان مما صنع الله لهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانت الأوس والخزرج أهل شرك وأصحاب أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شيء، قالت اليهود: إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض: يا قوم اعلموا والله أن هذا النبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه لما دعاهم إلى الله عز وجل، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: **إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله عز وجل أن يجمعهم الله بك وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك**. ثم انصرفوا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما يزعمون ستة نفر من الخزرج منهم من بني النجار: أسعد بن زرارة، وهو أبو أمامة، وعوف بن مالك بن رفاعة، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن زياد، وجابر بن عبد الله، (وذكر أنسابهم إلا أني اختصرتها). قال: فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم اثنا عشر رجلا من الأنصار، فلقوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على بيعة النساء، قبل أن تفترض الحرب، منهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ أنبأنا الحارث، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، وعباس بن عبادة بن نضلة، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة حليفان لهم

- وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ الإسفراييني قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي قال: حدثنا نصر بن علي قال: حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال: حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: حدثني رجل من قومه أنه بينما نفر منهم قد رموا الجمرة، ثم انصرفوا عنها اعترضهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: ممن أنتم؟ قالوا: من الخزرج. فذكر الحديث بمعنى رواية يونس، إلا أنه عد في الستة عوف ابن عفراء، ومعاذ ابن عفراء بدلا من عوف بن مالك، وعقبة بن عامر]

* جاء في سيرة ابن هشام - (1/433 - 434): [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخير مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ الْيَزَنِيّ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عُسَيْلَةَ الصّنَابِحِيّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ، قَالَ كُنْت فِيمَنْ

حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَى: **أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ. فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ. وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزّ وَجَلّ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.** قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ، عَنْ عَائِذِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ الْخَوْلَانِيّ أَبِي إدْرِيسَ أَنّ عُبَادَةَ بْنَ الصّامِتِ حَدّثَهُ أَنّهُ قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاَللّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذْتُمْ بِحَدّهِ فِي الدّنْيَا، فَهُوَ كَفّارَةٌ لَهُ وَإِنْ سُتِرْتُمْ عَلَيْهِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ إنْ شَاءَ عَذّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَر.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ وَيُعَلّمَهُمْ الْإِسْلَامَ وَيُفَقّهَهُمْ فِي الدّينِ فَكَانَ يُسَمّى الْمُقْرِئَ بِالْمَدِينَةِ: مُصْعَبٌ. وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ بْنِ عُدَسَ أَبِي أُمَامَةَ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنّهُ كَانَ يُصَلّي بِهِمْ وَذَلِكَ أَنّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَؤُمّهُ بَعْضٌ]

❃ وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (ج2/ص303/ح699) بأسانيد أخرى: [أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: فحدثني يزيد بن أبي حبيب، فساقه إلى قوله: «وإن شاء عذب»

– وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثنا الحسن بن الربيع قال: حدثنا ابن إدريس، عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: حدثنا مرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة بن الصامت قال: كنا اثني عشر رجلا في العقبة الأولى، فذكر الحديث بنحوه، لم يقل: وذلك قبل أن تفرض الحرب،

– وذكره جرير بن حازم عن ابن إسحاق]

❃ وجاء في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ج1/ص264/ح221) خبر جامع لمعظم ما سبق: [حدثنا محمد بن جعفر بن الهيثم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام حدثني أبي حدثنا محمد بن إبراهيم بن يسار، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الشعبي وعبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن عمرو، عن عقيل بن أبي طالب؛ وعن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن الزهري قال: «لما اشتد المشركون على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لعمه العباس بن عبد المطلب: يا عم إن الله عز وجل ناصر دينه بقوم يهون عليهم رغم قريش عزا في ذات الله تعالى فامض بي إلى عكاظ فأرني منازل أحياء العرب حتى أدعوهم إلى الله عز وجل وإن يمنعوني ويؤووني حتى أبلغ عن الله عز وجل ما أرسلني به قال: فقال العباس: يا ابن أخي امض إلى عكاظ فأنا ماض معك حتى أدلك على منازل الأحياء فبدأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بثقيف ثم استقرأ القبائل في سنته فلما كان العام المقبل وذلك حين أمر الله تعالى أن يعلن الدعاء لقي الستة نفر الخزرجيين والأوسيين أسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان وعبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع والنعمان

بن حارثة وعبادة بن الصامت فلقيهم النبي، صلى الله عليه وسلم، في أيام منى عند جمرة العقبة ليلا فجلس إليهم فدعاهم إلى الله عز وجل وإلى عبادته والمؤازرة على دينه الذي بعث به أنبياءه ورسله فسألوه أن يعرض عليهم ما أوحي إليه فقرأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سورة إبراهيم: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هـذا البلد آمناً﴾، إلى آخر السورة فرق القوم وأخبتوا حين سمعوا وأجابوه؛ فمر العباس بـن عبـد المطلـب وهـو يكلمهم ويكلمونه فعرف صوت النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: ابن أخي من هؤلاء الذين عندك؟ قال: يـا عم سكان يثرب الأوس والخزرج فدعوتهم إلى ما دعوت إليه من قبلهم مـن الأحيـاء فأجـابوني وصـدقوني وذكروا أنهم يخرجونني إلى بلادهم فنزل العباس بن عبد المطلب وعقل راحلته ثم قال لهم: يا معـشر الأوس والخزرج هذا ابن أخي وهو أحب الناس إلي فإن كنتم صدقتموه وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم فإني أريـد أن آخذ عليكم موثقا تطمئن به نفسي ولا تخذلوه ولا تغروه فإن جيرانكم اليهود واليهـود لـه عـدو ولا آمـن مكرهم عليه فقال أسعد بن زرارة وشق عليه قول العباس حين اتهم عليه سعد وأصحابه قال: يا رسول الله ائذن لنا فلنجبه غير مخشنين بصدرك ولا متعرضين لشيء مما تكره إلا تصديقا لإجابتنا إيـاك وإيمانـا بـك فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أجيبوه غير متهمين فقال أسعد بن زرارة وأقبل على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بوجهه فقال: يا رسول الله إن لكل دعوة سبيلا إن لين وإن شدة وقد دعوت اليوم إلى دعـوة متجهمة للناس متوعرة عليهم دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك وتلك رتبة صـعبة فأجبنـاك إلى ذلـك ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام القريب والبعيد وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ودعوتنا ونحن جماعة في دار عز ومنعة لا يطمع فيها أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنـا قـد أفـرده قومـه وأسلمه أعمامه وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله عـلى رشده والتمس الخير في عواقبها وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا وأيدينا؛ إيمانا بما جئت به وتصديقا بمعرفة ثبتت في قلوبنا نبايعك على ذلك ونبايع ربنا وربك يد الله فوق أيدينا ودماؤنا دون دمك وأيـدينا دون يدك نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا فإن نفي بذلك فلله نفي وإن نغدر فبالله نغدر ونحن بـه أشقياء هذا الصدق منا يا رسول الله والله المستعان) ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه فقال: وأمـا أنت أيها المعترض لنا بالقول دون النبي، صلى الله عليه وسلم، والله أعلم ما أردت بذلك ذكرت أنه ابن أخيك وأحب الناس إليك فنحن قد قطعنا القريب والبعيد وذا الرحم ونشهد أنه رسول الله أرسله من عنـده لـيس بكذاب وأن ما جاء به لا يشبه كلام البشر وأما ما ذكرت أنك لا تطمئن إلينا في أمره حتى تأخذ مواثيقنا فهذه خصلة لا نردها على أحد أرادها لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، فخذ ما شئت ثم التفت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقـال النبـي، صـلى اللـه عليـه وسلم: أشترط لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منـه أنفـسكم وأبناءكم ونساءكم قالوا: فذلك لك يا رسول الله فقال العباس: عليكم بذلكم عهد الله مع عهودكم وذمة اللـه مع ذمتكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام تبايعونه وتبايعون الله الله ربكم يد الله فوق أيديكم لتجدن في نصره ولتشدن له من أزره ولتوفن له بعهده بدفع أيديكم وصرح ألسنتكم ونصح صدوركم لا يمـنعكم مـن ذلك رغبة أشرفتم عليها ولا رهبة أشرفت عليكم ولا يؤتى من قبلكم قالوا جميعا: نعم قال: الله عليكم بـذلك راع ووكيل قالوا: نعم قال: اللهم إنك سامع شاهد وإن هذا ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفـسه اللهم فكن لابن أخي عليهم شهيدا فرضي القوم بما أعطاهم رسول الله، صلى الله عليـه وسـلم، مـن نفـسه

ورضي النبي، صلى الله عليه وسلم، بما أعطوه من أنفسهم وقد كانوا قالوا له: يا رسول الله إذا أعطيناك ذلك فما لنا؟ قال: رضوان الله والجنة قالوا: رضينا وقبلنا فأقبل أبو الهيثم بن التيهان على أصحابه فقال: ألستم أنتم تعلمون أن هذا رسول الله إليكم وقد آمنتم به وصدقتموه؟ قالوا: بلى قال: أولستم تعلمون أنه في بلد الله الحرام ومسقط رأسه ومولده وعشيرته؟ قالوا: بلى قال: فإن كنتم خاذليه أو مسلميه يوما من الدهر لبلاء ينزل بكم فالآن؛ فإن العرب سترميكم فيه عن قوس واحدة فإن طابت أنفسكم عن الأنفس والأموال والأولاد في ذات الله عز وجل فما لكم عند الله عز وجل من الثواب خير من أنفسكم وأموالكم وأولادكم فأجاب القوم جميعا: لا بل نحن معه بالوفاء والصدق ثم أقبل على النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله لعلك إذا حاربنا الناس فيك وقطعنا ما بيننا وبينهم من الجوار والحلف والأرحام وحملتنا الحرب على سيسائها فكشفت لنا عن قناعها لحقت ببلدك وتركتنا وقد حاربنا الناس فيك؟ فتبسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم قال: الدم الدم والهدم الهدم قال عبد الله بن رواحة: خل بيننا يا أبا الهيثم حتى نبايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسبقهم أبو الهيثم إلى بيعته فقال: أبايعك يا رسول الله على ما بايع الاثنا عشر نقيبا من بني إسرائيل موسى بن عمران فقال عبد الله بن رواحة: أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى ابن مريم وقال أسعد بن زرارة: أبايع الله وأبايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على أن أتم عهدي بوفائي وأصدق قولي بفعلي ونصرتك وقال النعمان بن حارثة: أبايع الله يا رسول الله وأبايعك على الإقدام في أمر الله لا أراقب فيه القريب والبعيد فإن شئت والله يا رسول الله ملنا بأسيافنا هذه على أهل منى فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: لم أومر بذلك وقال عبادة بن الصامت: أبايعك يا رسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع: أبايع الله يا رسول الله وأبايعك على أن لا أعصيكما ولا أكذبكما حديثا فانصرف القوم إلى بلادهم راضين مسرورين فسروا بما أعطاهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الوحي وتحسن إجابة قومهم لهم حتى وافوه من قابل وهم سبعون رجلا»]

* وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص339/ح14694)، و(ج3/ص323/ح14498) بإسناد صحيح: [حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير أنه حدثه جابر بن عبد الله أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ وبمنازلهم بمنى: (**<u>من يؤويني، من ينصرني: حتى أبلغ رسالات ربي، عز وجل، وله الجنة</u>**)، فلا يجد أحد ينصره ويؤويه حتى أن الرجل يرحل من مضر أو من اليمن أو زور صمد فيأتيه قومه فيقولون: (إحذر غلام قريش لا يفتنك)، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب فيأتيه الرجل فيؤمن به فيقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لا يبقى دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم بعثنا الله عز وجل فائتمرنا واجتمعنا سبعون رجلا منا فقلنا: (**<u>حتى متى نذر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يطرد في جبال مكة ويخاف؟!</u>**)؛ فدخلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة فقال عمه العباس: (يا بن أخي إني لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤك إني ذو معرفة بأهل يثرب)، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس رضي الله عنه في وجوهنا قال: (هؤلاء قوم لا أعرفهم هؤلاء أحداث)، فقلنا: (يا رسول الله: علام نبايعك)، قال: (**<u>تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى</u>**

النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومه لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة)، فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين فقال رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف فأما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله عز وجل واما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر عند الله قالوا يا أسعد بن زرارة أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها فقمنا إليه رجلا رجلا يأخذ علينا بشرطة العباس ويعطينا على ذلك الجنة]؛ هذا إسناد صحيح فإن أبا محمد يحيى بن سليم الطائفي القرشي صدوق، صحيح الكتاب، وإن كان كثير الغلط إذا حدث من حفظه، إلا أنه كان متقنا لحديث عبد الله بن عثمان بن خثيم، وكان عنده في كتاب، وقد أخرج له الإمام مسلم لذلك، وقد توبع يحيى بن سليم في هذه الرواية؛ كما أن أبا الزبير قد صرَّح هنا بالتحديث. وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج15/ص477/ح7012) من هذه الطريق: [أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا يحيى بن سليم عن بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله بنحوه]؛ والحاكم في مستدركه (ج2/ص682/ح4251): [حدثني محمد بن إسماعيل المقري حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني حدثنا يحيى بن سليم عن بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري بنحوه؛ ثم عقَّب الإمام الحاكم قائلاً: (هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه)]

* وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص323/ح14496) من غير طريق يحيى بن سليم، بإسناد صحيح: [حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال مكث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: (**من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة**)، حتى أن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر كذا قال فيأتيه قومه فيقولون أحذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعا فقلنا: (**حتى متى نترك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يطرد في جبال مكة ويخاف؟!**)؛ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا: (يا رسول الله: نبايعك)، قال: (**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومه لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**)، قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم فقال رويدا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف فأما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة فبينوا ذلك فهو عذر لكم عند الله قالوا أمط عنا يا

أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة أبدا ولا نسلبها أبدا قال فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة]؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ج14/ص175/ح6274): [أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بنحوه]؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج8/ص146/ح16333): [أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو بكر محمد بن إبراهيم الفحام حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن بن خشيم يعني عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله مختصراً]

* وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص323/ح14497) من طريق ثالثة، بإسناد صحيح مجملاً: [حدثنا داود بن مهران حدثنا داود (يعني العطار) عن بن خثيم عن أبي الزبير محمد بن مسلم أنه حدثه جابر بن عبد الله أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لبث عشر سنين، فذكر الحديث، وقال حتى أن الرجل ليرحل ضاحية من مضر ومن اليمن وقال مفارقة العرب وقال تخافون من أنفسكم خيفة وقال في البيعة لا نستقيلها]؛

* وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص9/ح17513) من هذه الطريق الثالثة، بإسناد صحيح مفسراً: [أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أنبأ أحمد بن عبيد الصفار حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا داود بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبي الزبير محمد بن مسلم أنه حدثه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حدثه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في المواسم مجنة وعكاظ ومنازلهم بمنى من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة فلم يجد أحدا يؤويه وينصره حتى أن الرجل ليدخل صاحبه من مصر واليمن فيأتيه قومه أو ذوو رحمه فيقولون احذر فتى قريش لا يصيبك يمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله يشيرون إليه بأصابع حتى يبعث الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به يقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم يبعث الله فائتمرنا واجتمعنا سبعين رجلا منا فقلنا حتى متى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يطرد في جبال مكة ويخال أو قال ويخاف فرحلنا حتى قدمنا عليه الموسم فوعدنا شعب العقبة فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين حتى توافينا فيه عنده فقلنا يا رسول الله علام نبايعك قال: **تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا يأخذكم في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني إن قدمت عليكم يثرب وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم**؛ ولكم الجنة فقلنا نبايعك فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين رجلا إلا أنا فقال رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف وأما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف وقتل خياركم ومفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله فقالوا أخر عنا يدك يا أسعد بن زرارة فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها فقمنا إليه رجلا رجلا يأخذ علينا شرطه ويعطينا على ذلك الجنة]

❋ وقال الإمام أحمد في مسنده (ج4/ص119/ح17119): [حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثني أبي عن عامر قال: [انطلق النبي، صلى الله عليه وسلم، ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: «ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة! فإن عليكم من المشركين عينا، وإن يعلموا بكم يفضحوكم»، فقال قائلهم، وهو أبو أمامة: (سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك، ولأصحابك، ما شئت ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل، وعليكم إذا فعلنا ذلك؟!)؛ قال: فقال: «أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي، ولأصحابي، أن **تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم!**»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟! قال: لكم الجنة! قالوا: فلك ذلك!]، وقال أحمد في مسنده (ج4/ص120/ح17121): [حدثنا يحيى بن زكريا حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت الشعبي يقول: (ما سمع الشيب ولا الشبان خطبة مثلها!)]؛ وأخرجه الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (ج2/ص922/ح1764)، و(ج2/ص942/ح1816)؛ وهذا الإسناد مرسل ولكنه صحيح للغاية إلى الشعبي، ولعله سمعه من أبي مسعود الأنصاري، وكان من أصغر الحاضرين يوم العقبة، ومراسيل الشعبي جياد قوية في الجملة.

ـــ وقال أحمد في مسنده (ج4/ص120/ح17120): [حدثنا يحيى بن زكريا قال حدثنا مجالد عن عامر عن أبي مسعود الأنصاري نحو هذا. قال: وكان أبو مسعود أصغرهم سنا!]؛ وهذا الإسناد الثاني متصل، ولكن مجالد بن سعيد بن عمير ليس بالقوي، وليس بالساقط، فقد أكثر عنه الإمام أحمد، ولعل مجموع الإسنادين، مع الشواهد الكثيرة حول العقبة الكبرى، يقوي هذا الحديث، حديث أبي مسعود الأنصاري، فيصبح صحيحاً صالحا للاحتجاج!

❋ وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج3/ص460/ح15836) بإسناد صحيح: [حدثنا يعقوب قال حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين، أخو بني سلمة، أن أخاه عبيد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعب بن مالك، وكان كعب ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بها قال: [خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا هؤلاء: إني قد رأيت والله رأيا، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟! قال: قلنا له: وما ذاك؟! قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر (يعني الكعبة) وأن أصلي إليها! قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه! فقال: إني أصلي إليها! قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل! فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة قال: أخي وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فاسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه، والله، قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه! قال فخرجنا نسأل عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكنا لا نعرفه، لم نره قبل ذلك، فلقينا رجل من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟! قال: قلنا: لا! قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟! قلنا: نعم، قال: وكنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجرا، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس! قال: فدخلنا المسجد، فإذا العباس جالس ورسول الله، صلى الله عليه

وسلم، معه جالس، فسلمنا، ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟!»، قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك! قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «الشاعر؟!»، قال: نعم! قال: فقال البراء بن معرور: يا نبي الله! إني خرجت في سفري هذا، وهداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها! وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟! قال: لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها! قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم!

قال: وخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من سادتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر! إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه، أن تكون حطبا للنار غدا! ثم دعوته إلى الإسلام وأخبرته بميعاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأسلم، وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا. قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نتسلل، مستخفين، تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائهم: نسيبة بنت كعب أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع. قال: فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال: يا معشر الخزرج! (قال: وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها) إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز من قومه، ومنعة في بلده،! قال: فقلنا قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت! قال: فتكلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتلا، ودعا إلى الله، عز وجل، ورغب في الإسلام، قال: **«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»**، قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق، **لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا! فبايعنا!** يا رسول الله! **فنحن أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر!**

قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها (يعني العهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟! قال فتبسم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم،أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم!»، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، يكونون على قومهم!»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا: منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس] وأما معبد بن كعب فحدثني في حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك قال: [كان أول من ضرب على يد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، البراء بن معرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب (والجباجب: المنازل) هل لكم في مذمم، والصباة معه، قد أجمعوا على حربكم؟!

(قال علي يعني ابن إسحاق ما يقوله عدو الله محمد). فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع، أي عدو الله! أما والله لأفرغن لك»، ثم قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ارفعوا إلى رحالكم!»، قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا؟! قال: فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لم أومر بذلك»، قال: فرجعنا، فنمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج! إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحد أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم! قال: فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا، لم يعلموا ما كان منا! قال: فبعضنا ينظر إلى بعض، قال: وقام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان قال: فقلت كلمة، كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيد من سادتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟! فسمعها الحارث فخلعهما، ثم رمى بهما إلي، فقال: والله لتنتعلنهما! قال يقول أبو جابر: أحفظت، والله، الفتى، فاردد عليه نعليه! قال: فقلت: والله لا أردهما! قال: والله صلح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه! فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر منها]

هذا إسناد صحيح متصل، مسلسل بالثقات، وابن إسحاق إمام حجة في السيرة والمغازي وهذا الحديث منها، وقد صرح هنا بالتحديث، فالحديث قوي صحيح تقوم به الحجة بذاته، وهو حسن صحيح بشواهده الكثيرة من السيرة والسنن!

❋ وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (ج19/ص91/ح174) بإسناد قوي جيد: [حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني معبد بن كعب بن مالك بن القين أخو بني سلمة عن أخيه عبيد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال خرجنا في الحجة التي بايعنا بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العقبة مع مشركي قومنا؛ فساق الحديث بنحو رواية أحمد إلى قوله: [«بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم»، فقال البراء بن معرور أبسط يدك أبايعك فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا فأخرجوهم؛ وكان نقيب بني النجار: أسعد بن زرارة، وكان نقيب بني سلمة: البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام، وكان نقيب بني ساعدة: سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، وكان نقيب بني زريق: رافع بن مالك بن العجلان، وكان نقيب بني الحارث بن الخزرج:عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع، وكان نقيب بني عوف بن الخزرج:عبادة بن الصامت، ونقيب بني عبد الأشهل: أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان، وكان نقيب بني عمرو بن عوف: سعد بن خيثمة؛ وكانوا اثني عشر تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس؛ فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فضرب عليها فكان أول من بايع فتتابع الناس فبايعوا وصرخ الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمعته قط فقال يا أهل الجباجب هل لكم في محمد والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ارفضوا الى رحالكم فرجعنا الى رحالنا فاضطجعنا على فرشنا فلما أصبحنا أقبلت جلة من قريش فيهم الحارث بن هشام فتى شاب عليه نعلان له جديدان حتى جاؤونا في رحالنا فقالوا يا معشر الخزرج قد جئتم الى صاحبنا لتستخرجوه من بين أظهرنا وإنه والله ما من العرب أحد أبغض إلينا أن ينشب الحرب فيما بيننا وبينه

منكم فانبعث من هناك من قومنا من المشركين يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما فعلناه وأنا أنظر إلى أبي جابر بن عبد الله بن حرام وهو صامت وأنا صامت فلما تثور القوم لينطلقوا قلت كلمة كأني أشركهم في الكلام يا أبا جابر أنت من سادتنا وكهل من كهولنا لا تستطيع أن تتخذ مثل نعل هذا الفتى من قريش فسمعه الفتى فخلع نعليه فرمى بهما إليَّ فقال والله لتلبسنهما فقال أبو جابر مهلا أحفظت، لعمر الله، الرجل؛ (يقول: أخجلته) اردد عليه نعليه، قلت: والله لا أردهما إني لأرجو أن أستلبه]

❋ وأخرجه الحاكم في مستدركه (ج3/ص499/ح5863): [حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن بن إسحاق حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة أن أخاه عبيد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعبا حدثه وكان كعب بن مالك شهد العقبة وبايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بها قال خرجنا في حجاج من المدينة فقال لنا البراء بن معرور يا هؤلاء إني قد رأيت رؤيا والله ما أدري أتوافقوني عليها أم لا قال قلنا وما ذاك قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر وذكر الحديث بطوله وأظنني أني قد أخرجته في ذكر البراء بن معرور رضي الله عنه]

وحتى تفهم معنى النصرة من أهل المنعة، تأمَّلْ قوله، صلى الله عليه وسلم، مشترطاً في البيعة: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**»، وتأمَّلْ قول البراء بن معرور: (نعم، والذي بعثك بالحق، **لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا! فبايعنا!** يا رسول الله! **فنحن أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرا عن كابر**!). ثم تأمل أيضاً حديث جابر الذي سبق قبل هذا بقليل.

❄ تمام صيغة البيعة على النصرة، بيعة الحرب:

وجاءت صيغة هذه البيعة، بيعة النصرة، أو بيعة الحرب، التي سبقت في ثنايا الأحاديث السابقة، كما أخرجها – على سبيل المثال – الإمام البيهقي في سننه الكبرى (ج9/ص9/ح17513)): [**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا يأخذكم في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني إن قدمت عليكم يثرب وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم**]، من طرق أخرى عن عدد من الصحابة، فهي متواترة. وإليكها بتمام ألفاظها:

❋ كما قال الإمام أحمد في مسنده (ج5/ص316/ح22752): [حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال: [بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، **بيعة الحرب** (وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى على بيعة النساء) في السمع والطاعة، في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، ولا ننازع في الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم]، مسلسل بالثقات إلا أن ابن إسحاق ثقة مدلس، وقد صرح هنا بالتحديث، فالحديث حسن صحيح تقوم به الحجة، لا سيما مع كثرة الشواهد والمتابعات. قوله: (**بيعة الحرب**) إجمال يأتي تفصيل معناه، وهو: (**أن ننصر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا**

قدم علينا يثرب بما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا)، في الحديث التالي:

❋ كما جاء في دلائل النبوة للبيهقي (ج2/ص314/ح709): [أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الفقيه قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام، قال: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، قال: حدثنا عمرو بن عثمان الرقي قال: حدثنا زهير قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه عبيد بن رفاعة قال: قدمت روايا خمر فأتاها عبادة بن الصامت فحرقها وقال: (إنا بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، **وعلى أن ننصر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا قدم علينا يثرب بما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا**؛ ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، التى بايعناه عليها)]؛ وهو في السيرة النبوية لابن كثير (ج2/ص203)، ثم قال الإمام ابن كثير: (وهذا إسناد جيد قوى ولم يخرجوه).

❋ وأخرج الحاكم في مستدركه (ج2/ص681/ح4250): [حدثني أبو الفضل محمد بن إبراهيم المزكي حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن غسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال كنا أحد عشر في العقبة الأولى من العام المقبل فبايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بيعةالنساء، قبل أن يفرض علينا **الحرب**]؛ ثم قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)

❋ وقال الإمام أحمد في مسنده (ج5/ص325/ح22821): [حدثنا الحكم بن نافع أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، حدثني إسماعيل بن عبيد الأنصاري، **فذكر الحديث**؛ فقال عبادة لأبي هريرة يا أبا هريرة: إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم،! إنا بايعناه على السمع والطاعة، في النشاط والكسل، وعلى النفقة في اليسر والعسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله تبارك وتعالى ولا نخاف لومة لائم فيه، وعلى أن **ننصر النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا** ولنا الجنة! فهذه بيعة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، التي بايعنا عليها، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع رسول الله وفى الله تبارك وتعالى بما بايع عليه نبيه، صلى الله عليه وسلم،! فكتب معاوية إلى عثمان بن عفان أن عبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله فإما تكن إليك عبادة، وإما أخلي بينه وبين الشام! فكتب إليه أن رحل عبادة حتى ترجعه إلى داره من المدينة! فبعث بعبادة حتى قدم المدينة فدخل على عثمان في الدار، وليس في الدار غير رجل من السابقين، أو من التابعين، قد أدرك القوم فلم يفجأ عثمان إلا وهو قاعد في جنب الدار فالتفت إليه فقال: يا عبادة بن الصامت ما لنا ولك؟! فقام عبادة بين ظهري الناس فقال: سمعت رسول الله أبا القاسم محمداً، صلى الله عليه وسلم، يقول: «إنه سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى، فلا تعتلوا بربكم»]، اسماعيل

بن عياش صدوق، ولكنه مخلط في روايته عن غير أهل بلده، وهذه للأسف منها، ولكن له شواهد ومتابعات كثيرة (انظر الأحاديث السابقة، وكذلك كتابنا «**طاعة أولي الأمر**»)، ولا شك أن إسماعيل بن عياش لم يخلط ها هنا، فالحديث حسن، صحيح لغيره!

* وجاء في تاريخ دمشق (ج26/ص197) تفصيل القصة التي حذفت في الرواية السابقة: [أخبرنا أبو الفضل محمد وأبو عاصم الفضيل أنبأنا إسماعيل المعدلان بهراة قالا أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد الخليلي أخبرنا علي بن أحمد بن الحسن الخزاعي أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني حدثنا محمد بن عباد حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه أن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة وهو وبالشام تحمل الخمر فقال: (ما هذه، أزيت؟!)، قيل: (لا، بل خمر تباع **لفلان**!)، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها رواية إلا بقرها؛ وأبو هريرة إذ ذاك بالشام؛ فأرسل **فلان** إلى أبي هريرة فقال: (ألا تمسك عنا أخاك عبادة بن الصامت: أما بالغدوات فيغدوا إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقعد بالمسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا؛ فأمسك عنا أخاك!)، فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال: (يا عبادة: ما لك **ولمعاوية**! ذره وما حمل: فإن الله يقول: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾)، قال: (يا أبا هريرة: لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة ومن وفى وفى الله له الجنة مما بايع عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه)؛ فلم يكلمه أبو هريرة بشئ؛ فكتب **فلان** إلى عثمان بالمدينة إن عبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله فإما أن يكف عبادة وإما أن اخلي بينه وبين الشام؛ فكتب عثمان إلى **فلان** أن أرحله إلى داره من المدينة؛ فبعث به فلان حتى قدم المدينة؛ فدخل على عثمان الدار وليس فيها إلا رجل من السابقين بعينه ومن التابعين الذين أدركوا القوم متوافرين فلم يفجأ عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار؛ فالتفت إليه فقال: (ما لنا ولك يا عبادة؟!)، فقام عبادة قائما وانتصب لهم في الدار فقال: (إني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبا القاسم يقول سيلي أموركم بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى فلا تعتلوا بربكم؛ فو الذي نفس عبادة بيده إن **فلانا** لمن أولئك!)، فما راجعه عثمان بحرف]؛ قلت: هكذا يكون الورع البارد، والتدليس السخيف: استبدال (**معاوية**) بـ(**فلان**)، ولكن أبى الله إلا فضيحة (**فلان**)!

* وأخرجه مالك في الموطأ (ج2/ص446/ح960) بلفظ: [عن يحيى بن سعيد قال أخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده قال بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على السمع والطاعة، في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول (أو نقوم بالحق) حيث ما كنا لا نخاف في الله لومه لائم]؛ والبخاري في صحيحه (ج6/ص2633/ح6774)؛ والنسائي في سننه (ج7/ص138/ح4149)، و(ج7/ص138/ح4150)، و(ج7/ص139/ح4151)؛ وابن حبان في صحيحه (ج10/ص414/ح4547)؛ والنسائي في سننه الكبرى (ج4/ص421/ح7770 - 7772)،

و(ج5/ص212/ح8692)، و(ج5/ص212/ح8693)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج8/ص145/ح16328)؛ وغيرهم.

* وأخرجه البخاري في صحيحه (ج6/ص2589/ح6647) بلفظ (الكفر البواح) الشهير: [حدثنا إسماعيل حدثنا بن وهب عن عمرو عن بكير عن بسر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي قال دعانا النبي فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن ترو كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان]؛ وأخرجه مسلم في صحيحه (ج3/ص1471/ح1709)؛ والبيهقي في سننه الكبرى (ج8/ص145/ح16330)؛ وغيرهم.
* وأخرجه الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ص464/ح37258): [حدثنا عبد الله بن إدريس عن محمد بن عجلان عن بكير بن عبد الله بن الأشج قال قال عبادة بن الصامت لجنادة بن أبي أمية الأنصاري تعال حتى أخبرك ماذا لك وماذا عليك: إن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك والاثرة عليك وأن تقول بلسانك وان لا تنازع الأمر أهله إلا أن ترى كفرا براحا]

❄ <u>وجود المنعة الكافية من أهل النصرة شرط لقيام الدولة، وانعقاد البيعة:</u>

إن مجموع النصوص السابقة، لا سيما إذا ضُمَّت إلى الأخبار المشابهة في كتب السيرة والمغازي، وأهمها عدة روايات صحيحة تقوم بكل واحدة منها بمفردها الحجة، بحيث يجب التدين بها، وتحرم مخالفتها، فكيف بمجموعها الذي يوجب القطع واليقين، ويحدث علماً ضرورياً لا محيص من التسليم به، أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

(1) – كان مواظباً على طلب النصرة من أهل الشوكة والمنعة، وذلك على مدى الأعوام الأربعة الأخيرة من مقامه في مكة (وهي السنة العاشرة، والحادية عشرة، والثانية عشرة، والثالثة عشرة) في أقل تقدير، وربما لأعوام عديدة قبلها، بإصرار ومثابرة، لا تعرف الكلل ولا الملل؛

(2) – أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تعرض أثناء طلبه النصرة خاصة، وفي جميع أحواله وأوقاته عامة، لشتى صنوف الأذي والمطاردة، من الاتهام بالكذب والخداع، والجنون، والكهانة والسحر، والتعرض للسخرية والإهانة، والرجم بالحجارة، وحتى إلى التهديد بالقتل؛ وهو، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مع ذلك صابر مجاهد، لا يعرف الكلل ولا الملل، ولا يزيده الأذي إلا إصراراً ومثابرة. أما أصحابه، رضي الله عنهم، فحالهم اسوأ، ومعاناتهم أشد، فهم بين مقتول شهيد، أو مسجون معذب، أو مستخفي لا يجرؤ على الجهر بدينه، ورجل أو رجلان من أهل الشكيمة والقوة، مثل حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب: يضرب المشركين ويضربونه، ويخوفهم ويخوفونه، وأحسنهم حالاً من وجد بعض الأمن في بلاد الغربة كمهاجرة الحبشة، يعيش فيها غريباً، منطوياً على نفسه، منعزلاً عن محيطه؛

(3) – أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، رفض أو أعرض عن كل عرض للنصرة عند وجود أدنى شك في تحققها واستكمالها لشروطها: فأعرض عن الطفيل بن عمرو الدوسي عندما ظهر أنه لا يدري عن قومه: أهم وراءه صفاً داعماً، أو لا، بالرغم من حصانة قلعته التي يكاد أن يكون غزوها مستحيلاً؛ وأجَّل قبول عرض

الزعيم الهمداني ريثما يتأكد هذا ويتوثق من دعم قومه له؛

(4) – أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عرض فقط الإسلام على الأوس والخزج، فلم يكـن طلـب النـصرة مطروحاً أصلاً، كيف لا وهم في فتنة داخلية، وحرب أهلية. وحتى بعد أن دخل في الإسلام منهم أفواج، وجـاء وفدهم الأول فبايعوا بيعة العقبة الأولى كانت بيعتهم على الأسلام فقط، فيما سمي بعد ذلـك: بيعـة النـساء، ليس فيه ذكر لحرب أو نصرة، ولا لكَرٍّ أو فَر. وبعث معهم مصعب بن عمير العبدري، رضوان الله وسـلامه عليه، أو بعثه بعيد ذلك بقليل، بناءً على طلبهم. وبارك الله تعالى في جهود مصعب، وفتح عليه، فلم يبق بيت معتبر في المدينة إلا دخله الإسلام، بل أسلم بعض العشائر عن آخرهم، ودخل في الإسـلام عـدد مـن رؤسـاء القبائل، وأهل الوجاهة والمنعة؛

(5) – أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كان بدون أدنى شك متابعاً لأخبار الإسلام في المدينة بكل دقة، وقد علم مما يكتب له مصعب أن الإسلام فشا فيها بحيث أصبح المسلمون هم الأغلبية عدداً، أو أنهم أقليـة قويـة معتبرة، وهي أقلية متماسكة متآلفة متآخية، تشكل قوة ضاربة تـستطيع أن تفـرض الأمـن والاسـتقرار في مجتمع ممزق يعاني من التشرذم والإحباط بعد حرب أهلية طاحنة؛ وبالرغم من ذلك لـم يطلـب بعـد مـن الأوس والخزج النصرة، ولكنهم هم الذين أرادوها، ثم قاموا بعرضها، كمـا يظهـر مـن قـولهم في الحـديث الصحيح: (**حتى متى نترك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يطرد في جبال مكة ويخاف؟!**)؛

(6) – أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إنما قبل عرض الأوس والخزج النصرة بعد أن اسـتوثق لـه عمـه العباس بن عبد المطلب منهم، وبعد أن تيقن هو، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من صـدق إيمـانهم، وقـوة شكيمتهم، واستعدادهم للشهادة في سبيل الدعوة، وأن قلوبهم قد تطهرت من مطالب الدنيا: فهـم يريـدون فقط الله ورسوله والدار الآخرة. تأمل ما جاء في عقد البيعة: (السمع والطاعة: في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، **وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله**) ثم قارنه بمطالبة عامر بـن صعـصعة: (أَرَأَيْـتَ إنْ نَحْـنُ بَايَعْنَاك عَلَى أَمْرِك، ثُمّ أَظْهَرَك اللّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَك، **أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِك**؟) لتعرف الفرق بـين أنـصار الله، وطلاب الدنيا!

ولعلنا نتأمل مرة أخرى واقع النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وواقع أصحابه، وواقع الدعوة الإسـلامية في العهد المكي: النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، موجود، والمؤمنون موجودون، والـوحي يتنـزل، تمامـاً كما هو الحال في المدينة، ولا فرق جوهري إلا في قضية أساسية واحدة: أن للإسلام دولـة في المدينـة، رايتهـا خفاقة، وسيفها مسلول، ولكن لا دولة له في العهد المكي.

فطلب النصرة من أهل الشوكة والمنعة يراد به إقامة الدولة، أي إيجـاد الدولـة وإنـشائها، إذ كانـت آنـذاك معدومة. هذا واقع يختلف إختلافاً جذرياً وكلياً عن بيعة رئيس أو أمير أو إمام لدولة قائمة موجودة، رايتهـا خفاقة، وسلطانها مبسوط، وسيفها مسلول، ولكن فقط شغر منـصب الرئاسـة فيهـا: فهـذه قـضية لهـا أحكامها الشرعية، وتلك قضية مغايرة لها أحكام شرعية أخرى.

ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن محمداً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، رسول الله إلى النـاس كافـة،

وأنه خاتم النبيين، وأن وظيفته هي البلاغ المبين، حصراً أو في المقام الأول؛ ومن جانب آخر نعلم بضرورة الحس والعقل، ومن وقائع التاريخ المتواترة، أن الطواغيت والجبابرة، ورؤوس الضلالة، ودول الكفر، أو أغلبها، بدءً بقريش، ومن سار على منوالها إلى يوم القيامة الكبرى، سيقف في وجه الدعوة الإسلامية بالقوة المسلحة، وسيضعون في طريقها العقبات والعراقيل المادية. فوجب على النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو المكلف بالبلاغ، أن يعمل بلا هوادة على إنشاء كيان ذي قوة ومنعة يواجه قوى الكفر المسلحة، ويقوم بإزالة الحواجز المادية من وجه الدعوة لتتمكن من الوصول إلى كل مخاطب في أتم وأبين صورة، ثم بعد ذلك: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

ومعلوم كذلك بالاضطرار من دين الإسلام أن الإسلام دين منه الدولة، وأن نظام الإسلام شامل لكل جوانب الحياة، بما في ذلك أنظمة الحكم والسلطان والقضاء، وأنظمة العقوبات والجنايات، وأنظمة الأموال والضرائب والزكوات، وتنظيم العلاقات الدولية. ولا تمكن إقامة دين الإسلام كاملاً، كما أنزل، إلا بإنشاء دولته، وتطبيق شريعته.

فإن كان ما سبق حقاً، وهو الحق اليقيني بأدلته، فمن المحال الممتنع أن يعصي محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ربه بالتقصير في حمل الدعوة واستكمال متطلباتها، أو بخذلان أصحابه يتركهم يعذبون ويشردون، وذلك بإصراره على أن تكون المنعة كافية، والنصرة غير منقوصة. بل هو أطوع الخلق لربه، وأشفقهم وأحرصهم على أصحابه؛ فلزم ضرورة أن يكون ربه قد حرَّم عليه حرمة باتة أن يقبل أي نصرة منقوصة، أو منعة مشكوك في كفايتها، بالرغم من شدة المعاناة، وحالة الضيق والاضطرار التي عانى منها هو وأصحابه، رضوان الله وسلامه عليهم.

ولا نبالي أكانت تلك الحرمة:

(1) – لأن ربه حرّم عليه نصاً، بوحي صريح، أن يقبل أي نصرة منقوصة، أو منعة مشكوك في كفايتها، أو الكافية التامة إلا أنها مشروطة بشرط محرم، كأن يكون الملك أو الأمر لأهلها من بعده، ولم يأذن له بذلك حتى في حالة الاضطرار؛ أو

(2) – لأنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أدرك بضرورة الحس والعقل، أو أن ربه أعلمه بالوحي أن النصرة المنقوصة، أو المنعة المشكوك في كفايتها، ليست نصرة أصلاً: **فلا تقوم بها دولة، ولا تبرأ بها ذمة، ولا يحصل بها المقصود منها أصلاً**؛ فهي إذاً بمثابة المعدوم. ومن المحال الممتنع أن ينوب العدم عن الوجود. بل لعلها شر من المعدوم لأن بنية الكيان الهزيل الناشيء منها بنية آيلة إلى السقوط:

(أ) – فإما أن يسقط قريباً فيستحر القتل والاستئصال بالمؤمنين، وتنتكس الدعوة بل تضرب ضربة قاضية لا نهضة منها إلا بعد انقراض جيل أو أجيال؛

(ب) – أو أن تلجأ الدولة الناشئة إلى القوة البحتة، والقمع المجرد للمعارضين حفاظاً على كيانها الهزيل؛ ونهاية هذا معروفة: تنفير من الدعوة وصد للناس عن سبيل الله، ثم سقوط الكيان القمعي المصطنع، ولو بعد حين.

وقد يقول معترض: فإننا نرى عياناً أن مجموعة من رجالات الدولة قد تثب على السلطة، كما فعل أتاتورك عندما وثب على السلطة وألغى الخلافة، أو تقوم فرقة من الجيش بانقلاب عسكري كما فعل (الضباط الأحرار) في مصر، أو تنحاز مجموعة من الثائرين المتمردين إلى جهة نائية من البلاد ثم تقوم ببسط سيطرتها شيئاً فشيئاً حتى تستوعب كافة أراضي الدولة، كما هو بين من مثال الثورة العباسية، وزحف ماو تسي تونج الكبير في الصين؛ وفي كل هذه الأحوال لا نجد لهؤلاء منعة كالتي أسلفتم ذكرها!

فنقول: هذا، ونحوه، قد يتشكل في ذهن من اعتاد سطحية الفكر ورضي بتفاهة الرأي، وتنكست عنده الأمور فأصبح الشمال شرقاً، والمنكر معروفاً، والعياذ بالله؛ وكل مثال ذكره هؤلاء المعترضون حجة عليهم، لا لهم:

(1) – فما حدث في الصين إذ حولها ماو تسي تونج من الأسمالية إلى الشيوعية إنما هو تغيير لنظام الدولة؛ أما دولة الصين فهي هي موجودة سابقاً ولاحقاً. وحتى في هذه الحالة توفرت لماو تسي تونج قبل ذلك المنعة الكاملة، والنصرة غير المنقوصة في المنطقة التي أنشأ فيها **كيانه المؤقت**، الذي كان بمثابة دولة ثورية: كان سلطانه فيها ظاهراً، وسيفه مسلولاً، ورايته خفاقة، ثم ضم إليه كافة الصين وفق النظام الشيوعي، فانتهت الدولة الثورية المؤقتة، وأصبحت الصين الشيوعية دولته.

(2) – أما بالنسبة للثورة العباسية فقد كان الحال في حقيقته إنما هو تغيير للفئة الحاكمة أو لشخوص الحكام، أما النظام فهو نظام الإسلام قبل ذلك وبعد، على قصور وإساءة في التطبيق. وحتى في هذه الحالة توفرت للثورة العباسية قبل ذلك المنعة الكاملة، والنصرة غير المنقوصة في المنطقة التي أنشأت فيها **كيانها المؤقت** في المشرق الأقصى، الذي كان بمثابة **دولة ثورة وتمرد**: كان سلطانها فيها ظاهراً، وسيفها مسلولاً، ورايتها خفاقة، ثم ضمت إليها كافة العالم الإسلامي باستثناء الأندلس التي انشقت في كيان مستقل. ونحن هنا إنما نبحث في الواقع التاريخي، وسنن التغيير الاجتماعي، أما الحكم الشرعي فيما فعله العباسيون، وبصفة عامة: قضية الخروج على أئمة الجور، وكذلك انشقاق الأمويين بدولة مستقلة، فلها دراستها الشرعية في مواضعها المعتبرة.

(3) – وأما جريمة أتاتورك فإنما هي المشهد الأخير من مسرحية إسقاط آخر رموز الخلافة لأن الدولة العثمانية كانت في تدهور وانحطاط مستمر منذ عدة قرون. ثم استطاع القوميون العلمانيون الأتراك، من مثل: جماعة الاتحاد والترقي، وجمعية تركيا الفتاة، ودعاة القومية الطورانية، التغلغل في كيان الدولة العجوز، وإفساد العلاقة بين سلاطينها وجماهير الرعية، لا سيما غير الأتراك منهم: ففقدت الدولة نصرة جماهيرها وولائهم، وأصبحت من ثم آيلة للسقوط. ثم تبع ذلك توريط الدولة في الحرب العالمية الأولى، التي لم تكن للمسلمين فيها ناقة أو جمل، فخرجت منها الدولة مهزومة، فقدت معظم أراضيها، وتم احتلال جزء من أرضها المركزية، ثم صُنِع أتاتورك على عين بريطانيا – الدولة الأعظم آنذاك – ومُكِّن من إلحاق الهزائم بالمحتلين اليونان – في تمثيلية أحكمت بريطانيا إخراجها – حتى أصبح بطلاً قومياً: فهو المحرر المنقذ، وقائد الجيوش المظفر، والسياسي المحنك المدعوم من الجماهير، فهو صاحب الدولة والسلطة على الحقيقة، أما الخليفة فإنما هو شبح ورمز، لا غير، فلم يبق سوى تنفيذ الجريمة، وتغيير النظام: من نظام الإسلام، ولو إسمياً، إلى نظام علماني قومي كافر.

ولما كانت القاعدة الشعبية للنظام الأتاتوركي محدودة، بالرغم من نجاحه في تضليل قطاع واسع من

الجماهير التركية المسلمة بزعم عدم تناقض العلمانية مع الإسلام، فقد عجز النظام عن الاستمرار في البقاء في السلطة بدون القمع والاعتماد الدائم على قوة الجـيش المـسلحة: علمانيــة أصـولية متطرفــة، ودكتاتوريــة عسكرية بغيضة وراء قناع ديموقراطي ليبرالي زائف.

(4) – وأما انقلاب (الضباط الأحرار) في مصر فليس هو في جوهره إنـشاء دولــة، ولا حتــى تغيــير نظــام، فالنظام بقي نظاماً علمانياً وطنياً كافراً، وإنما هو صراع بين أجنحة في الدولة القائمة لها اجتهادات فرعيــة مختلفة: هذا يحبذ الملكية الدستورية ويرى تحمل مفاسدها لرجحان مـصالحها، وذاك يريــدها جمهوريــة؛ وهذا لا يرى بأساً بالحماية البريطانية، والآخر يريد (الاستقلال)؛ وهذا يريدها رأسمالية خالــصة، والثــاني يريدها رأسمالية وطنية مطعمة بالاشتراكية. والشعب مغيب عن هذا كله. ومع ذلك لم يكن الإنقلاب ليــنجح لولا مشاركة بعض جيش الدولة، وسكوت البعض على ذلك سكوت رضا وإقرار، ووقوف البعض على الحياد. **هذه منعة كافية لمثل هذا التغيير المحدود**. وبالرغم من ذلك لم يكن دعم كافة طوائف الشعب كافيا لبقاء العسكريين في الحكم، فلجأ رجالات الانقلاب سريعاً إلى الجبروت والطغيان والقمع المجرد. بل إن هذا النظــام ما زال يعيش في ظل قوانين الطوارىء حتى هذه الأيام بعد أكثر من نصف قرن من الزمان.

فأما أنموذج (التغلغل في دولة ما، ثم القفز على السلطة في الوقت المناسب لتغيير النظــام)، ســواء كــان هــذا التغلغل بطيئاً على مدى عقود من الزمن، كما فعل القوميون الطورانيــون الكفــرة بالخلافــة العثمانيــة، أو سريعاً خاطفاً، في بضعة أشهر، كما فعل فيروز الديلمي، رضي الله عنه، عندما قضى على نظام الأسود العنسي المتنبيء الكذاب الكافر في اليمن، فلا يتصور أن يقوم به نظام إسلامي معتبر، بصفته الشرعية المطلوبــة، إلا إذا كان أغلبية السكان من المسلمين الذين يعيشون قهر أقلية كافرة. فالمنعة والنصرة التي تمتلكهــا الأغلبيــة المسلمة **موجودة كامنة، إلا أنها معطلة بقهر المتسلط الكافر الداخلي، أو بقهر العدو الحربي المحتل الأجنبي**: هذه المنعة والنصرة تحتاج إلى أن تفعَّل وأن تطلق من إسارها، ولا يكون ذلك إلا باستئصال القهــر الداخلي وإزالته، وبمقاتلة الكافر المحتل وهزيمته وطرده، وإنقاذ العباد من عدوانه وظلمه، وتطهــير الــبلاد من رجسه وكفره، وإعادة سلطان الأمة إليها، أولاً وقبل كل شيء؛ فإذا تم ذلك فإن قيام الدولة حينئذ يكاد أن يكون تلقائياً بديهياً، ولعله يصبح حينئذ تحصيل حاصل. أمــا مــن ناحيــة الحكــم الــشرعي فقــد ناقــشنا مشروعية الإنقلاب العسكري، وضوابطه الشرعية، في غير موضع من كتبنا، مثل: (طاعة أولي الأمر: حــدودها وقيودها) و(الحاكمية وسيادة الشرع) فلتراجع!

وحتى في حالة تنصيب رئيس أو أمير أو إمام لدولة إسلامية قائمــة موجــودة، رايتهــا خفاقــة، وســلطانها مبسوط، وسيفها مسلول، ولكن فقط شغر منصب الرئاسة فيها لا بد من توفر نوع من المنعة والنصرة لهذا الذي تم تنصيبه ليتمكن من القيام بمهام منصبه، لأن قيادته ليست قيادة فكرية أو روحية يلتزم بها الأتباع والمريدون طوعاً، وإنما هي قيادة ملك وسلطان ونظام عام، يحتاج إلى إنفاذ على الكافة، ولو بالقوة والإرغام في بعض الأحيان. وهذه المنعة لا تتوفر حقاً وصدقاً إلا بمشورة المسلمين وموافقتهم: هذا هو الواقع الحــسي، وهو كذلك الحكم الشرعي.

والحكم الشرعي في هذا بيِّن واضح لمن أراد الحق بالرجوع إلى المحكمات، وعدم اتباع المتشابهات، التي ضــل

بها أهل الزيغ، وتخبط فيها الفقهاء، وأدعياء الفقه من فقهاء السلاطين الخونة، كما سنفصله، بإذن الله، أتم تفصيل في كتابنا: (الشورى، وسلطان الأمة)، ولكننا نكتفي ها هنا ببعض التلميح. هذا الحكم الشرعي تجده في مثل:

* قوله، جل جلاله، وسمى مقامه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، (الشورى؛ 42: 38): فكل شؤون أهل الإسلام وأمورهم شورى بينهم، لا يخرج من ذلك إلا ما خرج بنص، أو بضرورة حس أو عقل. هكذا أوجبها الله عليهم، ولو لم تكن واجبة لما ذكرها بعد الصلاة، وقبل الزكاة، فحري بـ(الشورى) أن تكون من أركان الدين؛

* وفي قوله، جل جلاله، وسمى مقامه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، (آل عمران؛ 3: 159)؛ وهذا دليل آخر على وجوبها، وإلا لما أمر بها نبيه المعصوم، المؤيد بالوحي، الذي لو شاء ربه لجعله في غنية عنها.

* وفي ما أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ج6/ص2503/ح6442) بإسناد غاية في الصحة: [حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِى إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِى مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهْوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِى آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَىَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَوْ رَأَيْتَ رَجُلاً أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: هَلْ لَكَ فِى فُلاَنٍ؛ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِى بَكْرٍ إِلاَّ فَلْتَةً، فَتَمَّتْ). فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: (إِنِّى إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِى النَّاسِ، **فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ**). قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِى النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِى أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِى عَقِبِ ذِى الْحَجَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ عَجَّلْنَا الرَّوَاحَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ الْمِنْبَرِ، فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِى رُكْبَتَهُ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلاً قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، لَيَقُولَنَّ الْعَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، فَأَنْكَرَ عَلَىَّ وَقَالَ مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ. قَبْلَهُ فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِى أَنْ أَقُولَهَا، لاَ أَدْرِى لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَىْ أَجَلِى، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِىَ أَنْ لاَ يَعْقِلَهَا فَلاَ أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَىَّ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صلى الله عليه وسلم، بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِى كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَالرَّجْمُ فِى كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الاِعْتِرَافُ، ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا

عَنْ آبَائِكُمْ، أَوْ إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، أَلاَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لاَ تُطْرُونِى كَمَا أُطْرِىَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ وَاللَّهِ لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا. فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِى بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِى بَكْرٍ، **مَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ**، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ، صلى الله عليه وسلم، إِلاَّ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِىٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقُلْتُ لأَبِى بَكْرٍ يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَى عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَقَالاَ أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَقُلْنَا نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَقَالاَ لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمُ اقْضُوا أَمْرَكُمْ. فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِى سَقِيفَةِ بَنِى سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ مَا لَهُ قَالُوا يُوعَكُ. فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلاً تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ. فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِى أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَىْ أَبِى بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِى مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ. فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّى وَأَوْقَرَ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِى فِى تَزْوِيرِى إِلاَّ قَالَ فِى بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ فَقَالَ مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلاَّ لِهَذَا الْحَىِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِى وَبِيَدِ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهْوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِى لاَ يُقَرِّبُنِى ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تُسَوِّلَ إِلَىَّ نَفْسِى عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: (أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ). فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الاِخْتِلاَفِ. فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. قَالَ عُمَرُ وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِى بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلاً مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، **فَمَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ**]

* وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل بطوله في مسنده (ج1/ص55/ح391) بإسناد صحيح من طريق مالك عن الزهري: [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى الطَّبَّاعُ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ حَدَّثَنِى ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ بنحوه؛ إلا أنه قال: (**فَمَنْ بَايَعَ أَمِيراً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ بَيْعَةَ لَهُ وَلاَ بَيْعَةَ لِلَّذِى بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ**]

* وأخرجه ابن حبان بطوله في صحيحه (ج2/ص158/ح414) بإسناد صحيح من طريق مالك عن الزهري: [أخبرنا الحسن بن سفيان بنسا وأحمد بن علي بن المثنى بالموصل والفضل بن الحباب الجمحي

بالبصرة واللفظ للحسن قالوا حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء بن أخي جويرية بن أسماء قال حدثنا عمي جويرية بن أسماء عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أخبره أن عبد الله بن عباس أخبره بنحوه، إلا أنه قال فقط: (**فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت فقد كانت فلتة ولكن الله وقى شرها ألا وإنه ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر**)]

* وهو في سيرة ابن هشام (2/656) بطوله بإسناد صحيح من طريق عَبْدَ اللّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ عَنْ الزّهْرِي: [قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ السّقِيفَةِ حِينَ اجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَنْصَارُ، أَنّ عَبْدَ اللّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، حَدّثَنِي عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزّهْرِيّ، عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَن عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ، بنحوه؛ إلا أنه قال: (**فَلَا يَغُرّنّ امْرَأً أَنْ يَقُولُ إنّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً فَتَمّتْ وَإِنّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ إلّا أَنّ اللّهَ قَدْ وَقَى شَرّهَا، وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تَنْقَطِعُ الْأَعْنَاقُ إلَيْهِ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَإِنّهُ لَا بَيْعَةَ لَهُ هُوَ وَلَا الّذِي بَايَعَهُ تَغِرّةً أَنْ يُقْتَلَا**)]

* وهو في مصنف الإمام عبد الرزاق (ج5/ص439/ح9758) بطوله بإسناد صحيح من طريق معمر عن الزهري: [عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن بن عباس بنحوه؛ إلا أنه قال: (**إني لقائم عشية في الناس فنحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا المسلمين أمرهم**)؛ وقال: (**فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فإنه لا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا**)]

* وأخرجه ابن حبان بطوله في صحيحه (ج2/ص145/ح413) بإسناد صحيح من طريق هشيم عَنْ الزّهْرِي: [أخبرنا أبو يعلى قال حدثنا سريج بن يونس قال حدثنا هشيم قال سمعت الزهري يحدث عن عبيد الله بن عبد الله قال حدثني بن عباس بنحوه؛ إلا أنه قال: (**فمن بايع امرأ من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ولا للذي بايعه فلا يغترن أحد فيقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة**،... إلخ)

* وأخرجه الإمام النسائي مختصراً في سننه الكبرى (ج4/ص272/ح7151) بإسناد صحيح من طريق سعد بن إبراهيم عن عبيد الله: [أخبرنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا أبو نوح عبد الرحمن بن غزوان قال حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن عبيد الله بن عبد الله عن بن عباس عن عبد الرحمن بن عوف قال خطبنا عمر فقال قد عرفت أن أناسا يقولون إن خلافة أبي بكر كانت فلتة ولكن وقى الله شرها وإنه لا خلافة إلا عن مشورة وأيما رجل بايع رجلا عن غير مشورة لا يؤمر واحد منهما تغرة أن يقتلا؛ [قال شعبة: قلت لسعد: (ما تغرة أن يقتلا؟!)، قال: (عقوبتهما أن لا يؤمر واحد منهما)] ويقولون والرجم وقد رجم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورجمنا وأنزل الله في كتابه ولولا أن الناس يقولون زاد في كتاب الله لكتبته بخطي حتى ألحقه بالكتاب]؛ وأيضاً في سننه الكبرى (ج4/ص273/ح7154): [أخبرني الحسين بن إسماعيل بن سليمان الجالدي قال حدثنا حجاج بن محمد عن شعبة بنحوه].

* وأخرجه الإمام أبو بكر بن أبي شيبة مختصراً في مصنفه (ج7/ص431/ح37042) بإسناد صحيح، في غاية الصحة، من طريق سعد بن إبراهيم عن عبيد الله: [حدثنا غندر عن شعبة عن سعد بن إبراهيم قال سمعت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة يحدث عن ابن عباس عن عبد الرحمن بن عوف قال حج عمر فأراد أن يخطب الناس خطبة فقال عبد الرحمن بن عوف إنه قد اجتمع عندك رعاع الناس وسفلتهم فأخر ذلك حتى

تأتي المدينة قال فلما قدمت المدينة دنوت قريبا من المنبر فسمعته يقول إني قد عرفت ان أناسا يقولون **(إن خلافة أبي بكر فلتة، وإنما كانت فلتة، ولكن الله وقى شرها؛ إنه لا خلافة إلا عن مشورة**]

❋ وجاء في مصنف الإمام عبد الرزاق (ج5/ص446/ح9760) أثر آخر بإسناد صحيح: [عبد الرزاق عن معمر عن بن طاووس عن أبيه عن بن عباس قال قال عمر: (اعقل عني ثلاثا: **الإمارة شورى**؛ وفي فداء العرب مكان كل عبد عبد، وفي بن الأمة عبدان؛ وكتم بن طاووس الثالثة]

❋ وجاء في مصنف الإمام عبد الرزاق (ج5/ص445/ح9759) أثر ثالث: [عبد الرزاق عن معمر عن ليث عن واصل الأحدب عن المعرور بن سويد عن عمر بن الخطاب قال: (**من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره، من غير مشورة من المسلمين، فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه**)]؛ قلت: الأرجح أن رواية معمر عن ليث بن أبي سليم قديمة جداً، قبل اختلاطه، فهذا إسناد جيد.

فإذا انعقدت البيعة عن رضا واختيار من المسلمين، بعد مشورة منهم، وليس بالاغتصاب، والافتئات على المسلمين وسلطانهم، كان للإمام أو الأمير كل المنعة والنصرة، حساً وشرعاً، التي تمكنه من تحمل مسؤولياته: من إحسان تطبيق الإسلام في الداخل، وحمل دعوته إلى العالم.

فهذا الإمام أو الأمير يكون فعلاً، وشرعاً، (**على الناس**)، أي ظاهراً آمراً ناهياً، معروفاً محترماً منصوراً، وليس مختبئاً في الأقبية أو الأدغال، أو هارباً إلى رؤوس الجبال، أو نزيلاً في سجون الأعداء، كما ألمحت الأحاديث الثابتة، التي جاءت بأصح أسانيد الدنيا، من مثل:

❋ ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ج6/ص2611/ح6719) من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر: [حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته **فالإمام الذي على الناس** راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته]؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ج1/ص82/ح206)، و(ج1/ص84/ح212)، و(ج1/ص84/ح214)؛ وأبو داود في سننه (ج3/ص130/ح2928)؛ وغيرهم.

❋ وما أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (ج10/ص344/ح4491) من طريق إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر: [أخبرنا محمد بن عبد الرحمن السامي قال حدثنا يحيى بن أيوب المقابري قال حدثنا إسماعيل بن جعفر قال وأخبرني عبد الله بن دينار أنه سمع بن عمر يقول قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: **فالأمير الذي على الناس** راع عليهم وهو مسؤول عنهم والرجل راعي أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه فكلكم راع كلكم مسؤول عن رعيته]

❋ وما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص5/ح4495) من طريق أيوب عن نافع عن بن عمر: [حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن نافع عن بن عمر أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته **فالأمير الذي على الناس** راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول]

❋ وما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ج2/ص901/ح2416) من طريق عبيد الله عن نافع عن بن عمر: [حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثني نافع عن عبد الله أن رسول الله قال كلكم راع فمسؤول عن رعيته **فالأمير الذي على الناس** راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته]؛ وابن حبان في صحيحه (ج10/ص342/ح4489)، (ج10/ص343/ح4490)؛ وابن حنبل في مسنده، (ج2/ص55/ح5167)؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج5/ص32/ح4506)؛ وابن الجارود في المنتقى (ج1/ص275/ح1094)؛ وعبد بن حميد في مسنده (ج1/ص242/ح745)؛ والطبراني في معجمه الأوسط (ج4/ص170/ح3890)؛ وغيرهم.

❋ وما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج3/ص1459/ح1829) من طريق الليث عن نافع عن بن عمر: [حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث (ح) وحدثنا محمد بن رمح حدثنا الليث عن نافع عن بن عمر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته **فالأمير الذي على الناس** راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته]؛ وأيضاً في صحيحه (ج3/ص1460/ح1829)؛ والبخاري في صحيحه (ج1/ص304/ح853)، و(ج2/ص849/ح2278)؛ والترمذي في سننه (ج4/ص209/ح1705)؛ وغيرهم.

❋ وما أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده (ج10/ص201/ح5831) من طريق جويرية عن نافع عن بن عمر: [حدثنا عبد الله حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ألا **فالأمير الذي على الناس** راع عليهم ومسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته ومسؤول عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت زوجها وولده ومسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده ومسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول]






الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي

وهي:

فصل مختار يهتم بالنقد الذاتي من كتاب

(دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)

لأبي مصعب السوري

توزيع تنظيم التجديد الإسلامي

عمر عبد الكريم، أبو مصعب السوري
فكَّ الله أسره
الأثنين: 27 جمادى الأول 1431 هـ؛ الموافق: 10 مايو 2010 م

Party for Islamic Renewal

BM Box: TAJDEED
LONDON; WC1N 3XX
United Kingdom

Tel: 00447799555552

Fax: 00447053628430

http://www.tajdeed.org.uk

جزى الله خير الجزاء كل من أعان على طبعها، وتوزيعها، وترجمتها إلى أكثر من لغة!

الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً

قد يسأل سائل؛ إذا كنتم تعتقدون بأن التيار الجهادي قد تمكن من كـل تلـك الإنجـازات التـي وردت في الفقرة السالفة؟ فلم ذكر الأخطاء إذن. وأقول: أن ذلك بقصد العافية. وكما قال المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً ** كنقص القادرين على التمام**

ولكي نقترب أكثر من تحقيق الهدف المنـشود الـذي انطلـق الجهـاديون مـن أجلـه. وهـذا لا يكـون إلا بالتصحيح والتطوير وتحسين المسار بعد توفيق الله.

وقد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف للأسرار والعورات مما قد يفيد العدو. وأقـول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو وللأسف أكثر مما هي معروفه لأبناء الصف ذاته، وهم المعنيين بالإصـلاح فيه. فليس فيها كشف سر. لاسيما وأن أكثرها دروس قد مضت ومضى أصحابها. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، ولم يترك علماء السلاطين وأجهزة إعلام الطواغيت والأجهزة العالمية نقيصة حقيقيـة أو مختلقة، إلا ونسبتها إلينا لتشويه سمعتنا.

ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها.. ونذكر الأسـاليب الباليـة المـستهلكة مـن أجـل تبديلها. كما نذكر تلك المفـاهيم الخاطئـة ومعظمهـا طـارئ عـلى التيـار الجهـادي كـي يـتم تصحيحها. وهي معرفةً واجبة حتى على قواعد التيار الجهـادي فـضلاً عـن كـوادرهم والكبـار منهم.. وهذا لا يكون همساً ولا سراً.

إن عمليه النقد الهادف يجب أن تمارس في جو من الحرية والصدق والمصداقية والمصارحة. بـين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة. لأنهم رجال.. رجال في قمة الرجولة، امتلكـوا القرار بالمواجهة في زمن نكصت فيه الهمم. فلا يجوز أن يزج بهم ويضحى بهـم، وفـق أسـاليب بالية جربت وثبت فشلها، أو مفاهيم خاطئة أدت إلى الفشل بل إلى الكوارث أحياناً..

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية، بعد التوكل على الله وطلب العافية والشفاء منه.

أولها: الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن. وكشف العيوب والعلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها. حتى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدواء ولو كان مرا، بهمة وصدق وعزيمة على بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاء العمل الجهادي من علله بهـا. وكـذلك عـلى مـستوى الصحوة كلها، مدرسة مدرسة، وجماعة جماعة، وعلى مستوى المسؤولية الكلية عن الصحوة. وبدون هـذه الموضوعية لا يتم – والله أعلم – شفاء،لأنها السنن التي لا تحابي أحداً.

فما الفائدة في أن يأخذ الأبوان ولدهما المريض للاستشفاء من مرض عضال يكاد يأتي على بدنـه. ثـم لمـا يسأل الطبيب عن بأسه، يبدؤون بتعداد خصاله الحميدة! ولما يسألهم عن علته، لا يـذكرونها أو يـذكرون بعضها ويخفون بعضها، حباً وحناناً ولدوافع كلها طيبة!

إن مثل هذا الولد مرشح للفناء إن لم تتداركه رحمة الله. لأن الحنان والحب الذي مـورس عليـه هـو مـن النوع القاتل. حنان جاهل ومتخلف..

وقد يكون لفت النظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجاً، بل قد يكون مرفوضاً إذا ولد شعوراً بنية غير صالحة. فلو قال لك الطبيب أن ولدك قد ألم به (الجرب).. ستتألم وتتقبلها بصدر رحب وتـسأله عن العلاج وتنفذه. ولو كان الطبيب صديق من الأسرة لكان أهون لأنك متأكد من العطف وحسن القـصد.. وهذا غير أن يقول لك جارك البعيد أن (ابنك جربان)! ستجد نفسك متحفزا لرفض الملاحظة.. وربما أعدت إليه صفة الجرب، وإلى نصيحته ولم تتقبلها منه..

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخلياً وعلى مستوى كل تجمع ومدرسة.

والفقير إليه تعالى ولله الحمد. واحد من أبناء هذا التيار الجهادي.. وهو من بقية من تبقى مـن جيـل قـد تحطم وقضى أكثره.. وأسأل الله أن يكون ذلك لخير أراده الله لمزيد من العطاء ولأداء الأمانـة ولـيس لأنـا سقطنا من عينه تبارك وتعالى فلم يختارنا فيمن اختار..

ولطالما كنت وما زلت محامياً ومدافعاً وبكل حماس بل وشراسة أحياناً عن هذا التيـار ورجالـه وأعمالـه. وذلك في مواجهات غارات الخصوم من أعداء هـذه المدرسـة المباركـة (التيـار الجهـادي). وفيمـا كتبـت وحاضرت أكبر برهان على ذلك ولله الحمد. ولكني هنا لست في ذاك المقـام، إنـي هنـا في مقـام النـصيحة الداخلية، والنقد البناء لمدرستنا وعملنا وطريقتنا، بنية استنباط طرق أقرب للصحة والصواب بحـسب مـا أعتقد. والله الموفق وهو يهدى السبيل.

وهو ما سأحاول استخراجه بحسب ما يوفق الله تعالى في الجزء الثاني من هذا الكتاب. إن شاء الله تعالى.

لقد انتقدنا نحن – معشر الجهاديين – مدارس العمل غير الإسلامي الأخرى، ورفـضنا هـا، ووقفنـا منهـا موقف الرفض والعداء. ثم انتقدنا كافةً مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية، من دعويـة وإصـلاحية، وإخوانية، وسلفية.. وغيرها. بدافع التناصح ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصحوة. لنثبت أن الجهـاد هو الحل. أو من باب دفع الغارة المغرضة.

الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام المرآة، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسـب أنفـسنا قبـل أن نحاسـب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا. قبل أن يحاسبنا الله تعالى على التقصير في المراجعة والعبرة من أنفـسنا وغيرنا. وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأمة. ولاسيما من يأتي بعدنا لأننا لم نبصرهم بأخطـاء مرحلـة مـرت. ولم نعطهم دروس تجارب دفعنا زكي الدماء ثمناً لها..

ويجب أن نزن أعمالنا بميزان الإخلاص والصواب.. فأما الإخلاص – اللهم عونك – فكل بحسب ضـميره ﴿ بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة:14 – 15).

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة. ثم منطق عقل ودروس تجارب.. لعل الله وعسى أن يوفقنا لمـا يحـب ويرضى ويتقبل منا. ثم يقربنا من النصر على أعدائه.

- **أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مسار وتجارب التيار الجهادي بحسب تصوري والله تعالى أعلم:**

لو تخيلنا رجلاً يسير في درب نحو هدف معين ووجدناه يسير ويترنح. ويسقط تارة ويقوم أخرى.. ويحيد عن هدفه حيناً ويسير في دربه الصحيح أحياناً. ويضعف تارة ويشتد أخرى. ثم نجده لا يصل إلى هدفه في النهاية. ستقودنا ملاحظته لمعرفة أسباب عجزه وسوء أدائه إلى أحد ثلاث أسباب عامة.

1 - خطأ في طريقة التفكير وتصوره للمسار (خلل التفكير).

2 - خطاء وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصحيح (خلل البنية).

3 - خطاء في أسلوب السير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطريق (خلل الأسلوب).

وهذا ما حصل غالباً لمعظم تجارب العمل الجهادي وتياره عبر نصف القرن المنصرم تقريباً.. وأشير هنا إلى أني بصدد التقييم العام. وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين.. ولكني أحاول التقييم، معتبراً التيار الجهادي، وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب. وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء التي حصلت في مسار التيار ككل وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيماً معيناً أو تجربة معينة قد تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها.. ولكن قد تكون بعض التجارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر.

وقد يتصور البعض من (الجهاديين) أنه كان على عافية تامة. ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر. أو كما يرددون كثيراً (قدر الله وما شاء فعل). فليحمدوا الله إذن على العافية التامة التي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا.

فأنا هنا بصدد عرض أخطاء وإشكالات تلبس بها معظم مدارس التيار الجهادي. ولو كنت بصدد ضرب الأمثلة لبدأت بنفسي والتجارب التي خضتها حتى لا يحزن أحد. ولكني بصدد التعميم للفائدة.

فإذا ما عدنا إلى حيث كنا أكرر أن الأخطاء والخلل في مسار التيار الجهادي كانت على ثلاثة أنواع:

(1) - أخطاء في المنهج والتفكير.

(2) - أخطاء في البنية والهياكل.

(3) - أخطاء في أسلوب المسير وطريقة العمل.

ولنتناول بالتعداد والتفصيل وشيء من الشرح ما يتيسر من البيان لتلك الأخطاء التي تلبسنا بها معشر العاملين في التيار الجهادي عبر مسير مبارك استمر زهاء أربعة عقود وأسأل الله أن يتقبل من كل منا ما أحسن ويتجاوز له عما أساء إن أهل التقوى وأهل المغفرة.

أولا - أخطاء المنهج والتفكير:

ولعل هذا أحد أهم المجالات التي قل فيها مجال الخلل بشكل عام، وذلك بفضل الله تعالى على المجاهدين وبركة قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:69).

وقد سبق أن عرضت لأهم الأساسيات الفكرية المنهجية لدى التيار الجهادي وجماعاته المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتنظيمات والتجارب الجهادية قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكري المنهجي، بحسب ما أعتقد والله أعلم. ومن أهم تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجية التي كانت من المعوقات الداخلية للعمل ما يلي:

1 - تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديين:

فكما سبق وعرضت فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام.

أ - المرحلة الفكرية الحركية.

ب - مرحلة الفكر الجهادي السلفي.

وقد ذكرت كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمة في الفكر الجهادي. وذكرت إيجابيات ذلك التكامل. ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التجارب. مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي. وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي. ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري، لا.. وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري)، يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم. مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و(الفكر التكفيري) رقيقاً. ومكن الخصوم من أجهزة الاستخبارات أو علماء السلطان أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديين بالتكفير. وهو كما بينت من أنجح الوسائل التي استخدمت لضرب الجهاديين. فكيف تم ذلك؟!

لقد تم ذلك عندما جرى الخلط (بين **العقيدة السلفية**) و**المنهج لسلفي** المعاصر وأساليبه، هذا المنهج الذي اختاره غالبية التيار الجهادي منذ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأول للأفغان العرب. وبين (**منهج التيار السلفي المعاصر**) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين). ولاسيما من علماء السعودية ومن تربى على مدرستهم. ثم ما تفرع عن هذه المدرسة التي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثاني والثالث من علماء الدعوة الوهابية.

والحقيقة أن دراسة (المدرسة السلفية التقليدية) وعقائدها وفقهها. ثم مقارنتها مع (السلفية المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكرية والعقدية. يجد فوارق هامة.

فقد تتابع تأثير السلفية المعاصرة وفروعها في العالم العربي والإسلامي. ثم تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب، تصل في تنوعها وتراثها الفقهي وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان. ضمن ما عرف (بالتيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة. ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه. وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التيار السلفي المعاصر على الفكر الجهادي ومسار التيار الجهادي سلباً وإيجاباً.

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السابقة. وذلك أن التيار الجهادي الحركي مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حل إشكالاته الفقهية الحركية كما قلت في الفقه السلفي والعقيدة السلفية.

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية. فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التيار السلفي من غير الجهاديين الحركيين بالتيار الجهادي الحركي الذي نشا على الفكر الإخواني والقطبي. كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطها الأول، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات. وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى والتصدي لعظائم المسائل.

ولأن أحد أكبر بلاء آت الأمة في هذا العصر هي إعراض العلماء الراسخين عن الجهاد وعن مواقف الحق. وعن التصدي لنوازل الأمة السياسية الشرعية الكبرى من مسائل الحاكمية والولاء والبراء وتطبيقها على واقع هذه الحكومات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال. مما انعكس على التيار والظاهرة الجهادية بأنه كان تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التيار الجهادي ظاهرة قاتلة، ولدت أصلاً في التيار السلفي المعاصر الذي قام على عقيدة صحيحة وفقه أصيل. بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث

انتقلت إلى التيار الجهادي. وزاد الطينة بلة أن الجهاديين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله. فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم، إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السلفية المعاصرة. ففتحت الباب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهية في بعض الأحيان. أدت إلى بروز ذلك على شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة صيغت بشكل معمم، فأمكن أن يستخدمها جهال التيار الجهادي أو التكفيريين ويجعلوها متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط. وساعد هذا على هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري.

وإن إعادة إبراز هذا الحاجز من أهم أولويات عمليات الترميم في التيار الجهادي في المرحلة المقبلة إن شاء الله.

2 - غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السلفية):

هذه المشكلة فرع من سابقتها. وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهاديين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة..

فالأصل الذي قام عليه التيار الجهادي هو حشد الأمة للجهاد في سبيل الله. ودفع مختلف أنواع الصائلين عنها، ومع أن الواجب على المجاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا على منهج الطائفة المنصورة علماً وعملاً. وبالتالي أن تكون عقائدهم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان. وهم سلفنا الصالح الذين يجب أن نقتدي بعقيدتهم ومنهجهم. وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم.

إلا أن هناك لفتة في غاية الأهمية، وقد أسقطها غالب الذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هـذا الزمـان مـن سلفيين جهاديين وغير جهاديين من الذين يحتكرون هذه الراية وهذا المسمى الشريف. هذه اللفتة هـي أن واقع الأمة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصحابة وما تلا ذلك من خير القرون، بل ولا يشبه واقع معظم التاريخ الإسلامي.فضلا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديين والسلفيين.

لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخلافة وما شهده الواقع العربـي والإسـلامي مـن التغريـب والأزمات الداخلية والخارجية.

والأصل أننا معنيون كجهاديين باستيعاب الأمة، وجمهور سواد الأمة، وتوجههم لأداء فريضة الجهاد ضـد مختلف أنواع الصائلين من الأعداء الخارجين وأذنابهم من الحكومـات الطاغوتيـة.. ومعلـوم أن الملتـزمين بدينهم من هذه الأمة وغالبية علماءها وأوساط الصحوة والمتدينين فيها على مستوى الأمة ليسوا بـأغلبيتهم على المنهج السلفي. رغم أنه منهجي ورغم اعتقادي أنه الأصح عقديا.

فمعظم الملتزمين وعلماء الأمة (بسعتها كأمة إسلامية)، وغالبيتهم الساحقة هم من أتبـاع الفقـه المـذهبي وليسوا من أتباع الفقه السلفي، كما أن كثيراً منهم هم على غير المنهج الـسلفي في الاعتقـاد وغـالبهم مـن الأشاعرة هذا في أوساط العلماء وطلبة العلم. وأما في أوساط العوام المتدينين فهم مقلدون لتلـك للأوسـاط. وهذا حال أهل السنة منذ أكثر من ألف سنة. ومن المعلوم أن التيار السلفي المعاصر غير الجهادي، قد دخل في مساجلات وإشكالات عقدية وفقهية كثيرة مع هذه الأوساط. وصلت إلى حد الجـدليات البيزنطيـة عـبر العقود بل والقرون..

ولا شك أن مشكلة نزول الصائلين بنا وفرضية دفعهم تقتضي منا السير مع عقيدة أهل السنة والجماعة في الجهاد مع أمراء المسلمين وعامتهم برهم وفاجرهم، عالمهم وجاهلهم. وأن مصلحة تأليف القلـوب وجميـع الصفوف على الجهاد مقدمة بلا شك ولا جدال على المـصلحة مـن إثـارة أكثـر تلـك الجـدليات الفقهيـة والعقدية، خاصة الآن ونحن في هد الحال. وهذا من صميم منهج السلف الذي يدعيه هؤلاء. وشـواهد ذلـك كثيرة جدا.

إلا أن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم، جروا الوسط الجهادي للدخول في حالة من الشجار مع تلك لأوساط الإسلامية والمتدينة، واشترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم؛ تعجيزيـة. وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجهاد. وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التيار الجهـادي شعبيته. وجعله نخبوياً. وأدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الـولاء والبراء على كثير من المسلمين، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التيار الجهادي في صف واحد، أو على الأقل في حلف واحد ضد أنواع الصائلين لدفعهم. أو على الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك. وأفسد الكثير مـنهم علاقـات ومصالح كان يمكن أن تدفع بالأمة قدماً بشكل أفـضل نحـو أداء فريـضة الجهـاد. وذلـك بـسبب عـدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الذي اتسم بكثـير مـن الجمـود مـع النصوص وتطبيقها في غير واقعها.

وأذكر أني دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديين من بعـض القيـادات والقواعـد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السلفية الجهادية، وعـلى مـنهج الـسلف الـصالح، وبـين كوننـا

محتاجين أن نترفق بالمسلمين ونجاهد معهم. وندعوهم للجهاد معنا على ما هم عليه من المذاهب الفقهية والعقدية التي هي فيها النهاية ضمن دائرة أهل السنة والجماعة. ولكن وللأسف، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أننا في واد وإخوتنا هؤلاء في واد آخر. بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً وأفكار عجباً..ولاقيت عنتا.

ومن يقرأ كتابات الشيخ عبد الله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزمات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتى مع عوام الناس.

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق، أن أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين جدا! قال لي يوما في سياق الحوار: (**إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية، وأن تكون قيادته سلفية التركيب، وأحكامه سلفية المنهج، وأن يكون كل شيء بالدليل.. ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!**)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدين والعقيدة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم على الجذب من هؤلاء والركل والنطح من الآخرين!!

ولكن هذه الظاهرة لم تكن ضمن دوائر ضيقة وللأسف. حتى أن بعض الجهاديين رفض العمل معنا ذات يوم في مشروع جهادي لأنني كنت مسؤولا عنه قائلاً..كيف نجاهد مع رجل لا يرفع يديه في الركوع.. ويصلي على البدعة! ولا أدري من قال لهم أن من لا يرفع لدليل عنده هو مبتدع! ناهيك عن أن كل ما في الأمر أني كنت آخذ بفتوى من قال من العلماء بمجاملة أهل المحلة في مذهبهم تأليفاً للقلوب كما قال الإمام ابن عبد البر وغيره.. وكنت لا أرفع في الركوع والرفع منه يدي عند ما نصلي مع الأفغان، ومعلوم أنهم من الأحناف وأكثرهم متعصب وجاهل. ونحن وإياهم في وئام كبير وجهاد دفع متعين. وكان كبار قادة المجاهدين العرب من أمثال الشهيد عبد الله عزام رحمه الله، والشيخ أسامة حفظه الله يطلبون ذلك ويحثون المجاهدين عليه وقد لاقوا في هذا المجال الكثير من العنت.. وهذه أمثلة لإيضاح الفقرة وإلا فالأمثلة كثيرة..

فكم كان يتعرض من الأئمة الإعلام، من تلبس بشيء من التأويل أو سوى ذلك من أئمة أهل السنة الكبار كابن حجر والنووي وسواه في تلك الأوساط. وكم انتهكت حرمة المذاهب الأربعة وبعض أئمتها ولاسيما الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله وغيره بدعوى الانتصار للمنهج السلفي والعقيدة السلفية.. ورغم أني في ذات اعتقادي على منهج السلف من دون تعصب وتضييق وكنت معروفا بهذا. إلا أن كثيراً من إخواننا هؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً حتى بذلك..

ومعلوم أن هذه المشاكل من مشاكل التيار السلفي وليست من مشاكل التيار الجهادي ولكنها تعدت إليه. حتى أن أحد كبار المجاهدين من الأفغان العرب وكان سلفيا جدا، وهو سروري سابق. نهرني لأني قلت بعد ذكر الإمام النووي رحمه الله.. وقال لا تقل رحمه الله. فقلت وماذا أقول؟ فقال: قل غفر الله له، فإنه لم يكن على السنة!

وذات مرة، عاتبني إثر بعض محاضراتي بعض هؤلاء المجاهدين وبعضهم قادة في جماعاتهم، لأني ذكرت في السياق الإمام حسن البنا، وكذلك الشيخ سعيد حوى، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة بقولي رحمه الله.. وهم يعرفون انتقاداتي لمنهج الإخوان. وقالوا لماذا تترحم على أهل البدع؟! فقلت إن مذهب أهل السنة الترحم على

من مات وظاهرة من المسلمين. فرد على أحد الإخوة الكبار حفظه الله قائلا: كان الإمام سفيان لا يرى الترحم على من مات على البدعة!! فقلت له رحمه الله وكان غيره من أئمة السلف يرى ذلك. ويجب أن ينظر للبدعة ونوعها ومستواها وقرائن إحسان المخطئ ومقام ذكر الرحمة.. ولكن لم يكن هناك أي فائدة من الحوار الذي لو طال فستسجل عندهم مع المبتدعة، بل مع المحامين عن البدع! ولله الأمر.

لقد كان من أبسط الأمور على أحدهم أن ينهي الحوار بقوله: لقد أبلغتك مقتضى دعوة التوحيد! وأنا أدين الله بكذا وكذا وأنكر كذا وكذا..وكم انقطعت من علاقات، وقامت من خصومات بين هؤلاء وبين كثير من المجاهدين فضلا عن المسلمين بسبب هذا النهج. وكان هذا من أكبر العلل التي طرأت على المنهج الجهادي بسبب التأثر بسلبيات التيار السلفي..

وأكرر قولي الآنف الذكر، بأن الفوائد العظيمة التي جناها التيار الجهادي فكريا من المنهج السلفي أكثر من أن تحصى. ولكن لم يخل ذلك من آثار جانبية سلبية كان هذا بعضها.. ولم أتخيل حقيقة كيف يمكن لهؤلاء الذين لم يستطيعوا التفاهم حتى مع الجهاديين، والإسلاميين. كيف يمكن أن يقودوا مقاومة يجب أن تكون شعبية، بكل ما ستحتويه كلمة شعبية من التعدد واختلاف والمشارب.

3 - أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء والبراء والحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي:

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة. نجد أن مكتبة التيار الجهادي،وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات. وحتى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصة بالجماعات والتنظيمات المختلفة والبيانات الدورية أو سواها.. نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كماً، وأحادية الطرح نوعاً.. فالكتب معدودة. والنشرات محدودة. ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء، وضخامة التضحيات وكثرة التجارب. وما كان يمكن أن يكتب فيها، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً، وقصص مشاهد، وسير رجال وشهداء... ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات. وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا على مسائل الحاكمية وأصول قواعد الولاء والبراء والعقائد. فالإبداع فيه قليل، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد على النقول والإعادة لفقه الإمام ابن تيميه وبعض أئمة المدرسة السلفية وتراث المدرسة علماء الدعوة الوهابية رحمهم الله تعالى..

ومع أن النوازل كثيرة. والمجالات السياسية الشرعية والسياسية الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة. وكذلك في مجالات الفقه وأحكام الجهاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السياسة والإدارة والتربية..والثقافة العامة التي تلزم المجاهد، ومناقشة مسائل الأمة الحاضرة والمستقبلة، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربي والإسلامي.. ولكن التيار الجهادي عموماً تميز بقلة كتابه. وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين على الكتابة بالعمل الميداني. وقد حالت المطاردات الأمنية، وظروف عدم الاستقرار، بينهم وبين العطاء في هذا المجال. ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديين إما على الكتب العسكرية ومناهج التدريب والعمل وإما على ما أشرت إليه من مسائل الحاكمية وقضايا الولاء والبراء.

4 – ضعف المادة التربوية في مناهج التيار الجهادي:

يعتبر مجال التربية لقواعد التيار الجهادي من أكبر المجالات التي اعتراها النقص وانخفاض المستوى. خصوصاً بعد التسعينات. ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنية شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع، ومستهم البأساء والضراء والنقص في الأموال والأنفس، وتقاذفتهم المهاجر والملاذات في أقطار الأرض الأربعة..

وعلى عكس الجيل الأول والثاني من الجهاديين الذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا باس به من التربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام 1965 – 1985 تقريباً. لم يسعف الظروف الجهاديين بعد ذلك من تطبيق برامج تربوية شاملة إلا في نطاق محدود. والملاحظ أيضاً أن اعتماد التيار الجهاد في التربية لم يكن على مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية. وإنما على كتب التراث، أو على بعض كتب مدارس الصحوة الأخرى، والتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهادي لكثير من المسائل.

وبعد 1985 غلب على الأوساط الجهادية من المعسكرات والتجمعات وأماكن النشاط مناهج تربوية ذات بعدين كما أسلفت. إما عسكري في حدود المواد العسكرية والدورات التدريبية القتالية. وإما بعض المواد في مسائل الحاكمية والولاء والبراء والعقيدة والمنهج السلفي.

وقد لاحظت خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان، أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه. وقد زهد بها كثير من الجهاديين في هذه المرحلة 1996 – 2001 رغم توفر الإمكانية والمعسكرات والملاذ الآمن، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة. إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكرية واقبلوا عليها، ولم يعطوا الجوانب التربوية الأخرى الأهمية التي تستأهلها. ولذلك انعكس هذا على تلك المرحلة بكثير من المشاكل والأزمات الداخلية التي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السلوك والأخلاق العامة.

وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات. وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات. وانعكست الضغوط النفسية، وآثار المطاردات الأمنية، ومشاكل الواقع العام للعرب والمسلمين عموماً، والمشاكل الداخلية في أوساط الصحوة الإسلامية، ومنابذة قياداتها للجهاديين، وانغماس أ كثرهم في ركاب علماء السلاطين وأجهزة الطواغيت..

أدى كل ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديين مع غياب منهج التربية **متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة**، وغياب النماذج التي طالما تحدثت عنها كتب الرقائق وقصص السلف والخلف من الصالحين في مجالات العبادة والنسك وحسن الخلق، ولين الجانب مع المسلمين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة. وتميز العديد من الجهاديين بسلوك أقرب إلى الحالة العصابية منه إلى السلوك المفترض بالمجاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً..

وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التربية مادةً وتطبيقاً. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديين قد اختصر الإسلام وعقائده وشعائره في فريضة الجهاد، وظنها كل الدين. واختصر الجهاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته التي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإسلام، اختصره بالقتال. واختصر القتال بما يقضيه من صبر ومصابرة وإعداد وأخلاقيات. بشهود المعارك ذاتها. وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصبر والمصابرة، وتحمل الرباط الطويل. فقد اختصروا مفهوم القتال على إطلاق النار..

وكنت وكثير من قدماء الأخوة.. نلاحظ الأجواء في الأوساط الجهادية قد بدأت في أواخر القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين تشير إلى قرب امتحان وبلاء سينزل ليعيد تلك النفوس الطيبة المخلصة إلى صفائها وحاجتها إلى ربها وإلى أخلاقيات دينها ومكوناته التربوية. وهذا ما جاء مع أحداث سبتمبر وتداعياتها من بعد.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 216).

5 – غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها. وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا. والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين.. وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي، بل وفي العالم أجمع. وشهدت عموم مجالات النشاط البشري في كل تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً..

وتعتبر المجتمعات في العالم العربي والإسلامي وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحضارية، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصحوة الإسلامية عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام،وعدم إدراك العصر التي هي فيه. وفي الوقت الذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإسلامية من مدرسة الصحوة السياسية وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السياسية. تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع. فإن باقي مدارس الصحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسلفية، وكذلك المدرسة الجهادية، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع. فأما المدارس اللاسياسية فلانعزالها عن عيش الواقع، وأما التيار الجهادي، فلأن غالبيته من قطاع الشباب الذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظروف الأمنية الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحضارية وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات..

وعلى اعتبار أن المعركة اليوم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكري والأمني حيث يمكن للجهاديين والإسلاميين عموماً أن يبلوا بلاءً حسناً. وإنما في مجالات السياسة والإعلام والاقتصاد. وحتى في عالم المواجهة العسكرية والأمنية أصبح للمستوى المعرفي والعلمي في المواجهة دور كبير. ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس على مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله. ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم

معطيات الواقع، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النصوص العامة. وما يضطر إليه الواقع. وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح الناس، من معنا ومن علينا. واضطراب في تحديد أولويات المعركة.
ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عموماً، وضيق مجالات الشورى والإستفاده من الكوادر..وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي. وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية والمصيرية. ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد على مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشرع وفهم الواقع. وعلى افتراض وجود الفهم الشرعي الصحيح في كثير من الحالات. فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للعرج من وصفها باستقامة المسار.

6 – عدم تبني مفهوم جهاد الصائل الخارجي والدخول في دوامة مواجهة الأنظمة:

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة. ثم حمل على تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (التوبة: 123). وحمله على الأنظمة المرتدية الحاكمة. مما أدى للدخول في صراعات حدد العدو طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأمة دون طائل ولا نتيجة مرجوة.

فقد انطلق التيار الجهادي أصلاً بسبب أزمة المواجهة مع الجاهلية الجاثمة على صدور المسلمين والمتمثلة بأنظمة الحكم المرتدة. وتطور الأمر كما بنيا من الفكر الجهادي المجرد إلى التطبيق العملي.

وقامت التنظيمات الجهادية واشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم تلك. وقد أيد هذا الإتجاه حكم شرعي وواقع قائم. فأما الواقع القائم فهو أن البأس والنكال الواقع على المسلمين عامة والإسلاميين خاصة والجهاديين على وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنية. وهو يقتضي ويوجب المواجهة عقلاً ومنطقاً. وكذلك فإن الحكم الشرعي والأمر بالجهاد هو من مقتضى نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾. ومن خلال هذا الفقه وهذا الواقع عملت منظمات الجهاد. قرابة ثلاثين سنة 1960 – 1990.

ولكن ومع قيام العولمة في كل شيء مع انطلاق النظام العالمي الجديد.. وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين قوى الكفر العالمية والمحلية المرتدة الحاكمة والدولية، وقوى النفاق المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المواجهة، وتطور أساليب مطاردة الجهاديين من المحلية إلى الإقليمية إلى العالمية. كان على الجهاديين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدولية اليهودية الصليبية العالمية وحلفاؤها. بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها. ولكن جمود المناهج والفهم،في معظم التيار الجهادي، لم يسمح بتلك النقلة التي توجب إعطاء فقه مواجهة الصائل حقه المتوجب. وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الذين يلونكم من الكفار. وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديين. وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءً في فهم تفسير النص، أو في فهم السنة الحركية التي تبينه، من مقتضى حروب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوجهه لحرب الروم وحوله من الكفار من هو أقرب منهم. وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي. وانعكس هذا الجمود المنهجي على ممانعة أكثر الجهاديين

في الاتجاه نحو الجهاد الأممي وعولمة المواجهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديين أواخر القرن العشرين.

7 - عدم القدرة على تحديد المضمون الشرعي والحركي لعدد من المفاهيم الأساسية:

طرح المشروع الجهادي المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسية التي أعتمد عليها في البناء التنظيمي والسلوك الحركي للجماعات الجهادية. ولكن هذه أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها، ومن ذلك:

**** الجماعة المجاهدة:** ما هي؟ وما هو تعريفها؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المجاهدة وغير المجاهدة؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات وشرعية وجودها؟

**** الإمارة والشورى والقرارات:** ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة؟ والشورى وطبيعتها وإلزاميتها؟ وهل هي إمارة خاصة أم عامة؟.

**** البيعة والسمع والطاعة:** ما هي طبيعة هذه البيعة؟ وما فحوى عقدها؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل؟ وبناءً على ماذا؟

وما ذا يترتب على نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم؟ إلى آخر تلك المسائل.. التي لم يتم تحديدها في التيار الجهادي بدقة واختلفت من تنظيم لآخر. وفي حين اعتبر أكثير الجهاديين في مناهجهم أن جماعتهم هي جماعة من جماعات المسلمين، وأنها إمارة جهاد. وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات. إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المسلمين في قطرها. وصرح بعض أكابر التيار الجهادي بأن جماعتهم هي الجماعة الشرعية الوحيدة في البلد الفلاني، وبالتالي قاوموا بشتى السبل ميلاد جماعات أخرى، أو استمرار وجود سابقات عليها. بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة المجاهدة توحيد صف الجهاد بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أخرى! ووجد بعض الشواذ الذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتيار الجهادي من بعض طلاب العلم ممن تصدروا للفتوى في التيار الجهادي نتيجة غيبة العلماء عنه. كما اتخذت بعض الجماعات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديد لتلك الحدود والصلاحيات. فقد ولدت إشكالات واقعية في التنظيمات. وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنية وضعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصلا التيار الجهادي حفظه الله، عن مشروعية ترك الفرد لجماعة ما إذا لم يناسبه المسار أو رأى عقمه بعد أن دخل فيها. فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان!! وبالتالي سحب على أمير الجماعة حقوق الإمام الأعظم! فلما سألته ماذا لو رأى عقماً بواحاً. أو فوضى بواحة. أو إفلاساً بواحاً. وتيقن أن ما توخاه من الالتحاق بالجماعة الفلانية لن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا! ولا يحل له أن يتحول الجماعة أخرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة.

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة. فلم لا يحق له فصل نفسه والانسحاب؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشكلة الأسرار التي عنده؟. إلى آخر ذلك من المسائل..

لقد كان هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلك والإفتاء فيه؟ وفي العمل على أسس لم تتحدد..
وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المسلمين العامة بشكلها الطبيعي. فأمير المؤمنين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المسلمين حتى ولو لم يبايعه ما لم يخـرج عليـه. ولا يـستطيع العنـصر في الأمـة أن ينسحب منها. ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامة لأمير المؤمنين من الحقوق والواجبات ما يترتـب على العنصر في جماعة ما جهادية أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل الـسياسي للأمـة إشـكاليات كثـيرة. ولمـا قامـت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل بطش الأنظمة، انفتحت إشكالات أخرى لا حـل لهـا. وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأمة بسب غياب دار الإسلام والإمامة والشريعة وتوابع ذلك. وكانـت هـذه الإشكاليات بعض مظاهر خلل المناهج التي طرحت وعجزها، ليس في التيار الجهادي وحسب. وإنمـا عـلى مستوى تنظيمات الصحوة كلها.

(ثانيا) – أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي:

النوع الثاني من الأخطاء والعلل التي ظهرت في أساليب عمل التيار الجهادي هي الخلل والقصور في البني التنظيمية وطبيعة الهياكل. وما أفرز من إشكاليات وعلى رأس ذلك.. الإشكالية الكبرى التي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العالمية على مكافحة الإرهاب. وأثبت الواقـع اسـتحالة استمرار العمل الجهادي مع وجود تلك المشكلة البنيويـة وهـي مـشكلة أن كـل التنظيمـات والجماعـات الجهادية بنت بناءها على أساس أنها تنظيمات (**سرية – هرمية – قطرية**).

1: المشاكل التي تأتت عن السرية:

كان اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً لمواجهة قوى طاغية باغية ظالمة لم يرقب فراعنتها وأعوانهم في مؤمن إلا ولا ذمة. ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ الـسرية في العمـل الإسـلامي. فهـو مبـدأ شرعي له أدلته وسابقاته التاريخية بدءاً من السيرة النبوية ومروراً بتجارب كثيرة عبر التـاريخ الإسـلامي. كما في لست معترضا عليه حركياً، لأنه كان أسلوباً إجبارياً مارسناه خلال حقبة اضطرارية كما لا يخفـى. ولكنني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى التي تأتت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقـال مـستويات المواجهة الأمنية إلى مستوى توحشت فيه الأنظمة المرتدة ومن ورائها مـن قـوى الكفـر العالميـة، بطريقـة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضرباً من الإصرار عـلى الفـشل العبثـي في نهايـة المطاف. فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعـات المجاهـدة في الـسرية. فقـد ولـد هـذا لهـا إشكاليات في التربية والإعداد، وفي التجنيـد التمـدد، وفي ضـعف الدعايـة العامـة واتـساع الجمهـور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء.

فمعلوم من تاريخ دعوة الإسلام منذ ظهورها وعبر تاريخ المسلمين، أن منهج التربية قام أساساً على علاقـة المربي بالأتباع. والتي تقوم على التماس المباشر. وهو الوسيلة الأساسـية لنقـل العلـوم والمعـارف. وشرح المنهج وتقديم القدوة والسمت والسلوك. ونقل مختلف مجالات التأثير. وهكذا كان الرسول صلى الله عليـه وسلم للصحابة. والصحابة للتابعين. وهؤلاء لتابعيهم من العلماء وورثة الأنبيـاء. ثـم لهـؤلاء بتلاميـذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهذا. فكيف تتم التربية؟! وإذا استحالت التربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربي على المنهج ولا على برامج الإعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التربية على لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشرعية والفكرية والمنهجية والسياسية والإعداد العسكري والأمني..الخ. وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنية إلى أن ينقطع أحياناً. وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجهاد على مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية. فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات الإسلامية العلنية أو شبه العلنية. فكان أداءها الجهادي عالياً يتناسب مع مستويات التربية التي تلقاها أولئك الكوادر. ولكن مع انقراض الطبقة الأولى والتالية تم التالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجهاد يستهلك كوادره بالاستشهاد والاعتقال والهجرة من الساحة، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة. وغالباً ما كانت من عوام الناس ومن جيل الشباب الذي غالباً لم يسبق له أن تربي في حركة إسلامية. خاصة وأن الحركات الإسلامية من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضد اللحاق بالعمل الجهاد! لأن قياداتها لم تدخله!!

وقد تكررت هذه المأساة في كل التجارب الجهادية. إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التنظيمات إلى الاعتماد على الكوادر الجديدة غير المؤهلة تربوياً. وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتالية ميدانياً. وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثم هويتها، لعدم استمرار مشروع التربية. ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطريقة بكاملها. ولكن للأسف لم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة!

كما تفرض الأجواء الأمنية والسرية الإجبارية أجواءً لا تسمح باتساع التجنيد.. فمعظم الجماعات الجهادية بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المعركة. فكونت هياكلها وجندت معظم أفرادها. ثم ابتدأ الصدام غالباً قبل اكتمال الإعداد له، نتيجة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإعداد لأولى، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجة تفاقم الأزمات. حيث يجد التنظيم الجهادي نفسه مجبراً إما على دخول المعركة والاستمرار في الإعداد والبناء من خلالها. وإما على أن تصفيه الحملات الأمنية دون مقابل. فيدخلون المعركة. ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء. ويحتاج التنظيم للتجنيد. ويحتاج التجنيد للدعاية والحشد والجمهور، كما يحتاج حتى يكون محكما لرصد العناصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها. ولكن السرية والمشاكل الأمنية لا تسمح بهذا فيضعف التجنيد وتقل الأعداد. ويتحول التنظيم بعد تقطيع أوصاله إلى خلايا عصابات متفككة تستهلكها المعركة شيئاً فشيئاً، إذا لم ينجح التنظيم في تطور حرب عصابات ينقلها من مرحلة إلى أخرى حتى يتسع التجنيد. ولكن الذي حصل في كل التجارب السابقة بلا استثناء، أن إعداد الكوادر الجهادية والأعضاء كان قليلاً. ولم يتمدد نتيجة أسباب كثيرة، أهمها الإشكال الأمني وأسلوب السرية. وعلى سبيل المثال لم يتجاوز عدد المجاهدين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن 1500 مجاهد عامل، هذا غير الأنصار. في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء 12 مليون نسوة. وفي مصر لم يزد تنظيم الجهاد عن 2000 عنصر. والجماعة الإسلامية ربما عن ضعف ذلك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد. هذا من أمة كانت تعد أكثر من 60 مليون نسمة. وفي ليبيا، لم يزد عدد المجاهدين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاته محدود لم يبلغ الـ 4 مليون نسمة. وفي بعض البلدان كتونس. لم يجاوز العدد خانة العشرات وهكذا..

وإما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور. وانعكاس ذلك على ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهـذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الذي يقوم أساسا على الإتصال بالجمـاهير بالوسائل العلنية.

2: المشاكل التي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنية:

بنيت جميع التنظيمات الإسلامية السياسية والجهادية وما شابها بأسلوب هرمي. فغالباً مـا تبـدأ الـدعوة بأفراد قلائل. يحددون أسس منهجهم وأهدافهم، وبرنامج عملهم. ويبايعون واحـداً مـنهم أمـيراً علـيهم. فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه. وهكذا يبدأ رأس الهرم. تستمر عمليـات التجنيـد والحـشد. ويكون كل واحد من هؤلاء مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة.. ويتتابع النظام. وهكـذا يتـشكل مـن المجموع ما يعرف بالهرم التنظيمي.

إن هذا الأسلوب في البناء الحركي يتمتع بصفة القوة من حيـث الإحكـام والـسيطرة. لأن الأوامـر تـصدر والبرامج تقرر. وتتنزل من الأعلى للأسـفل. ثـم تتـابع بعـض الطريقـة. وترجـع التقـارير أو النـصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضعف الأمني، وبعدم صموده للمواجهات الأمنية الاسـتخباراتية خـصوصاً بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحكومات الطاغوتية، ثم قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهاديـة اسـتعدادها لكل أشكال البطش والتعـذيب الجـسدي والنفـسي. وحتـى لاسـتخدام المخـدرات والعقـاقير لاسـتخراج المعلومات.! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر مـا لـديهم مـن معلومـات أو بكلهـا، أو بالإضافة عليها لإرضاء الذئاب الضارية من الجلاديين المتحفزين لانتزاع ذرات المعلومات مـن قعـر ذاكـرة المعتقل، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك.

وهكذا كانت في كل التجارب، عدة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعـان مـا تعمـم عـلى أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال. وتعاد الكرة ثم تعاد. لتشتمل الحملة الأمنية الجسد الأعظم من التنظيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التنظيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ، الذي يحتوي سائلاً سيؤدي ثقبه مـن أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر. ولقد حاولت التنظيمات الجهادية التـي خاضـت مواجهـات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية، حيث يستقل العناصر العـاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عـبر وسائل الاتصالات معالم الهرم الرئيس مرة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد. وأدى هذا لاسيما حيث لم توفر معظـم البلـدان طبيعـة جغرافيـة وعرة تمكن من تحصن القيادات التنظيمية فيها لإدارة أعمالهم. وحتى مـع توفرهـا اضـطروا للاتـصال بالخلايا العاملة التي عملت أيضاً بنفس الأسلوب.. ثم اضـطرت التنظيمـات الجهاديـة مثلهـا مثـل كـل العصابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجـاورة. حيـث وفـرت لهـا بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها. ولكن التعاون الأمني كما سبق وبينا، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدولي، ضيق ثم الغى تلك الملاذات. ولم تحل المـشكلة الهرميـة

مع عمليات البطش والتعذيب والخطف والتسليم. وأدت إلى تآكل التنظيمات للأسباب المجتمعة مما وفر في النهاية كل عوامل الاضمحلال والتفكك..

3: مشكلة القطرية:

معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية والجماعات المكونة للتيار الجهادي التي عملت خلال الصنف الثاني من القرن الماضي قطرية في ميدان عملها وأهداف حركتها. وذلك نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والواقعية التي كانت سائدة قبل تفشي العولمة في كل مناحي النشاط البشري ومنها الجماعات الجهادية ذاتها.

وقد كانت قليلة تلك البلدان التي تتوفر على مساحة واسعة تساعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السكان واتساع الحدود والمنافذ بحيث تتوفر لها العوامل المختلفة لإيجاد معطيات حرب عصابات جهادية يمكن أن تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح. فقد فتت مخططات التجزئة التي قام بها الإستعمار الغربي خلال الحملات الصليبية الثانية العالم الإسلامي والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصادية.

ولكن التنظيمات الجهادية رسمت عملها في حدود مواجهة الطاغوت الخاص بها ضمن السياح الذي نصبه سيكس وبيكو مطلع القرن العشرين. وهكذا وجدت معظم التنظيمات الجهادية نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عصابات متكاملة في غالب البلدان. فماذا يعمل تنظيم جهادي على مستوى البحرين أو قطر أو تونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا، ضمن المعطيات القطرية؟! وحتى تلك الدول الكبيرة كمصر والسعودية، لم توفر لها المعطيات القطرية العوامل الكافية لنجاح مواجهات سرية منظمات هرمية في حدود القطر. وكانت النتيجة النهائية نتيجة تضافر الأسباب متناسبة مع هذه المعطيات. وصفيت كل تلك المحاولات بلا استثناء عبر 40 سنه ومن خلال عشرات التجارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسية من مشاكل البنية والهياكل. كان هناك إشكالات بنيوية أخرى من أهمها.

4 – مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا، اضطرت القيادات الرئيسية للتنظيمات، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهجرة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنية. واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عن مواقع قضيتهم، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتصالات الخارجية، المراسلين..الهاتف.. الفاكس! وأوجدت هذه الطريقة مقاتل للتنظيمات. ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها.

كما أوجد هذا تلقائياً قيادات ميدانية عاملة عسكرية. وتحولت القيادات الخارجية إلى قيادات سياسية وإعلامية وسرعان ما خلق هذا الواقع مشاكل لا تعد ولا تحصى.. ولقد شهدت بنفسي عدداً من التجارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهادية وكانت (الثورة الجهادية في سوريا) التي عايشتها من الداخل نموذجاً على هذه المشكلة. فقد استقرت القيادة السياسية للإخوان المسلمين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا. وراحت تضع الخطط والبرامج لواقع سياسي وعسكري وأمني داخل سوريا، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير. وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ. ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف.ولكنها

كانت مقيدة برباطين غليظين؛ البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج. والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

كما شهدت عدداً من القضايا الجهادية من خلال احتكاكي بأصحابها وقياداتها في عدد من الدول العربية. وقد وجدت لديهم نفس المشكلة. لقد كان على تلك القيادات أن تتحول إلى رموز شعبية تحرك الجماهير وقيادات سياسية إعلامية، تاركة المجال للعمل العسكري والقرارات الميدانية للقيادات الميدانية. ولكنها تشبثت بتفاصيل القرارات. ولم تثق بقيادات ميدانية شابة. وكان لديها الحق في بعض الحالات. ولكن هذا لم يلغ مشاكل لم تجد حلاً. وكانت بسبب طبائع الأشياء لتنظيمات تعمل بتلك الأساليب في تلك الظروف

5 – مشكلة التمويل:

كانت التنظيمات الجهادية محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات.. وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية. فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية. وولد هذا إشكاليات كبيرة. ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد الاحتياجات التي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكرية والأمنية، واحتياجات أسر الشهداء والمطاردين والأسرى...إلخ.

فقد اعتمدت التنظيمات الجهادية إما على دعم جماعات وتنظيمات سياسية دخلت المواجهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحرب نتيجة غبائها وطغيانها (كما حصل في سوريا)، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشباب ويستشهد المجاهدون. وستحتاج لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة التي لم تنهار في نهاية المطاف!

وإما اعتمدت التنظيمات الجهادية على دعم بعض الجماعات الإسلامية من أقطار أخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجهاد في غير بلادهم غالباً كما كان حال معظم المحسنين للجماعات الجهادية من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التعاون الخليجي ولاسيما السعودية والكويت!

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحكومات والأنظمة ذات الأغراض الخاصة في ذلك الدعم.

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهادية للعمل تحت شعار لله يا محسنين. ولكن المحصلة أن برامج تجفيف المنابع. وعدم انتظام تلك المنابع حتى قبل قيام هذه البرامج. سار بالتنظيمات التي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا. وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للفشل.

6 – مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات التي رافقت العمل في معظم التنظيمات الجهادية. وأدت في كثير من الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التنظيمات وتفشي الظاهرة التي أسميتها (التنظيمات الأميبية) التي تنقسم وتنقسم وما تلبث أن تنقسم..

فقد اعتمدت أكثر التنظيمات الجهادية مبدأ الشورى غير الملزمة. حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع على آراء قياداته ومعاونيه. واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم

الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما.. وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كل طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط. وقد تلاقت بعض التنظيمات الجهادية هذه الإشكاليات بجعل الشورى على نوعين؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجية العامة والهامة. وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات. ولكن كل هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنية وتشرد قيادات التنظيمات الجهادية إما في مخابئ داخل بلادها، وإما في مختلف الملاذات في دول مجاورة علناً أو سراً. حيث آل الجميع للاختفاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى. وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة، متوكلين على الله في ظروف بالغة المأسوية. وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات الضرورات الأمر الواقع. وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجباري على كافة الأصعدة.

7 - مشكلة ضعف لأمن الداخلي في التيار الجهادي:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شكل عصابات تعمل بأسلوب أمني. هو مبدأ ونموذج عمل وافد على المجتمعات العربية والإسلامية التي عملت بسبب مكوناتها التاريخية والاجتماعية بطرق تقوم كلها على أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الذي اضطررنا إليه اضطراراً نتيجة القمع. فالمجمعات العربية والإسلامية مجمعات مفتوحة. تعتمد التربية فيها على التماس مع الجمهور، ويعتمد الحشد فيها على الخطابة والجهر بالدعوة والتأثير في الناس. وتتناقل الأخبار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة. وجب إشاعة الأخبار موروث اجتماعي قديم، والمواجهات العلنية والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تاريخي وحضاري. وهدر الوقت، وحرية الحركة، وحضارة البداوة والعفوية، ما تزال تطبع مجمعاتنا رغم التحولات الصناعية والمدنية.

فأسلوب التخفي والعصابات والسرية، وطريقة عمل المافيات، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة والأوامر الصارمة الموجزة، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات. وعقوبة المخطئ، بل وتصفية المفسد في نظام عمل العصابات... كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجمعاتنا. ولم تستطع التنظيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جداً ضمن تنظيمها. وطبعت الصفات الاجتماعية العامة والعلل الموروثة عمل تلك التنظيمات وأدت إلى كوارث نتيجة عدم الانسجام مع هذا الأسلوب.

وكان على رأس تلك الإشكالات انعدام الحسن الأمني. وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب. وقد لاحظت أن معظم المجاهدين الأبطال الذين عرفت الكثيرين منهم، ورأيت أداءهم الرائع في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان. كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكل إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنية بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة، وعدم دقة الحركة، وعدم احترام أمن الاتصالات المختلفة، من الحركة والهواتف والفاكسات، والإنترنيت من بعد، وسوى ذلك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها ودمرت كثير من الخلايا على مر مختلف التجارب. حتى كدت أجزم بأن هذا الأسلوب لا يناسب قومنا، وأن علينا أن نجد لهم أسلوباً يفجر طاقاتهم بحسب إمكاناتهم وطباعهم ولا يحتاج أساليب لم أر كثيرين استطاعوا أن يعملوا بها ويأخذوا بأسبابها.

(ثالثا) – أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء على التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تعالى أعلم فمن ذلك:

1 – العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخلية وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحياناً.

2 – فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصحوة الإسلامية أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوناتها السياسية أو الاجتماعية دون ضرورة لذلك، معارك جانبية من قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسياسية وعدم التحكم في وحدة اتجاه المعركة تجاه العدو الأساسي المتمثل في الحكومات الطاغوتية والصائل الخارجي المتحالف معها.

3 – التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحكومات الأمنية تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل، والعدل والظالم، هو من مخزون الأمة. ولم تعجز الحكومات عن الزج بأبناء الشعب من قوات الأمن والجيش ومعظمهم إما من الجهلة أو المكرهين، في هذه المعركة اللامتناهية. فيما بقيت قوى ومصالح الصائل الخارجي سليمة لا يهم فيها أن تستهلك تلك المعارك أبنائنا السنين الطوال. فضار اللعب في ملاعب حددها العدو الأكبر وبطرق رسمها هو وحقق فيها أهدافه. واستنزف الجهاديون قواهم فيها دون جدوى.

4 – الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمواجهة، يمكن حشد الناس عليها ضد الحكومات التي يواجهها الجهاديون. واقتصر الموضوع على تفاصيل الحاكمية وشعاراتها. وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح، وتصدي علماء السلطان له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم. حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم. وأننا مجموعة خوارج، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون. ولم يتمكن الجهاديون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صراع شعبية سهلة الفهم تثير تأييد العامة. فقد كان هناك مواضيع هامة جداً من الممكن تعبئة الشعوب بها حول الجهاديين، من قبيل مشاكل الجوع والظلم، وهدر الكرامات واحتلال المقدسات، والنهب الاستعماري، والاحتلال السياسي والاقتصادي. إلى آخر ذلك من الشعارات التي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصحوة السياسية استغلالها وتحولوا لتيارات شعبية. وكلها مسائل شرعية في أساسها ويمكن طرحها بأسلوب إسلامي وجهادي. ولكن الجهاديين وخاصة بعد تداخل المعطيات الفكرية للتيار المسمى (سلفي!) في منهجهم اختاروا الطرح الأحادي لمشاكل الحاكمية والولاء والبراء. وهي مواضيع كما أسلفت تحتاج لفهم النخبة ويصعب على العوام هضمها.

5 – أسلوب خطاب أكثر الجهاديين لم يكن شعبياً. فقد كانت وسائل الاتصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً، فقد اعتمد الجهاديون على المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات محدودة جداً. ولم يكن لكثير من الجماعات الجهادية رسالة إعلامية أصلاً. بل إن كثيراً من شعوب بعض الدول لم تكن تعرف عن الجهاديين فيها شيئاً ولا لما ذا يقاتلون ويستشهدون وما هي أهدافهم.

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع الفكـر الـسلفي غـير الجهـادي، بالاسـتعلاء والقـسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية، وما يثير الرحمـة والـشفقة والتعـاطف. واعتمـدوا نبـذ النـاس م ومفارقتهم في كل شيء مما عزل الجهاديين وساعد الحملات الإعلامية على رسم صورة كاريكاتورية منفـرة للشخصية الجهادية أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً..

رابعا - أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أخرى في أسلوب عمل التيار الجهادي:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة على غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

1 - افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فيسدون ثغرة التربيـة والفتـوى والكتابـة والتوجيـه. ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الـشاب ممـا اصـطلحوا عليـه بالإسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاها أو علم.. فمـا مـن مـسلم إلا وعنده علم.

2 - انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات. حتى ولدت تجمعـات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كـوادر شـبابية تتـصف بمـستويات بالغـة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

3 - انخفاض مستويات التربية العبا دية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجهـاد من الشباب. وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسـفة في بعـض التجمعـات الجهاديـة. وكان يمكن أن يلاحظ الفارق الهائل من عاش جيل الجهاد الأول وكتب الله أن يـرى تلـك النوعيـات مـن متأخري الجهاديين.

4 - تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية. فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع الـسياسي والأمني والعلمي... ومعظم مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتـى الـسيئة التـي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعـض مـن تـصدى للقيـادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين.!

5 - اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على بـرامج التدريب العسكري شبه المحض. حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيـه الـسياسي والتأهيـل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج. رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات الماديـة. فقـد اعتمد الغالبية (التربية الإنكشارية) وثقافة المدافع على الطريقة العثمانية. وساهمت تلـك الطريقـة ومـن أشرف عليها بزراعة الجهل وتخريج عينات لا تنتمي إلى التيار الجهادي الـذي عرفنـاه قبـل عقـدين مـن الزمن، إلا بالعاطفة والحماس والإخلاص الذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج فضائله هذه.

6 - بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتـصف التـسعينات، فقـد أدت الظروف العامة، من المطاردات والقهر والكبـت والظلـم.. وعلـل الـصحوة الإسـلامية وبـلاء علمـاء السلطان، وطغيان الحكومات، وغزوات الأعداء الخارجين، وما يجري في الأمـة مـن نكبـات. مـع إعـراض

أكثرها عن دينهم. أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعـصابية، وحـب التـشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنـت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، أن الفجـوة بـين هذه النماذج ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها. ولا يمكـن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة.

7 – تفشى روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع. وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كل تجمـع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيات والتأهيل عـن النخبـة المحـدودة بالـدائرة الأولى في بعض التجمعات الجهادية.

8 – تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف، وتـدني القـدرة عـلى إصلاح الخلل داخل التجمعات الجهادية إلا في دائرة محدودة جداً. وانعـدام تحقـق الـشورى في الأوسـاط العامة، وانحصارها بالنخبة في معظم التجمعات، على عكس ما كانت عليه في السنة النبوية ومنهج الـسلف الصالح.

9 – تفشي ظاهرة (المجاهد على كيفه) في المتأخرين من الجهاديين. وهذا من آثار منهج (هم رجـال ونحـن رجال). خاصة في أفغانستان في شوطيها.. لا مذهب.. لا جماعة.. لا أمير، لا منهج،لا ضوابط، حر مطلقـاً،لا منتمي، متمرد لا يمكن ضبطه، ولا مرجع لديه.

10 – تفشى ظاهرة جهاديين لم يجاهدوا!! ومع ذلك تـصدروا كرمـوز ومـوجهين ومفتـين للجهـاديين..! وظهور ذلك في أوساط اتباع وأنصار للتيار الجهادي متعصبين جداً لمنهجـه ورمـوزه بـالكلام، ولكـن لا يجاهدون بالفعل، وخاصة في أوساط الصحوة في بلاد الغرب، وأوساط أخرى.

11 – تفشي ظاهرة من أرادوا الإعداد ولم يريدوا الخروج! على عكس من لو أرادوا الخروج لأعدوا له.. ولكن هؤلاء أعدوا ولم يخرجوا.! آلاف المتدربين بلا فائدة،لا يمكن معرفة مصيرهم بعد أن تلقوا ارفـع التـدريب. وسبب ذلك أنهم تدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يزرع فيهم أي عقيدة قتالية.

12 – العمل لحساب الآخرين في قضايا تقاطع المصالح الدولية والإقليمية وعدم قدرة القيادات المرحلية على صناعة مشروع ذاتي. كما حصل في تجربة أفغانستان الأولى. وتجربة البوسنة.

13 – نسيان الأسرى: وهذه من كوارث التيار الجهادي. فقد تراكم الأسرى بالآلاف في سـجون الطواغيـت. وفيهم العلماء والدعاة وكبار الإسلاميين وقادة المجاهدين وخـيرة كـوادرهم. ثـم تـراكم مئـات الأسرى في سجون أمريكا والدول الغربية كذلك..ولم يبد التيار الجهادي أي حراك في اتجاه القيام بعمليات تهدف إلى سراحهم!! وكأنهم نسيا منسيا.

14 – فقدان القدرة على (الردع).ردع مختلف صنوف الأعداء حتى آل أمرنا لأن نكون مرهوبين رغم أنهـم يسموننا إرهابيين!

وهكذا..

طويت مرحلة تاريخية هامة من مراحل أهم مدارس الصحوة الإسلامية وأكثرها أثـرا في واقـع المـسلمين. وهي مدرسة التيار الجهادي، التي استغرقت تجاربها وعطاءاتها زهاء أربعة عقود من الزمن. وقد حاولت

في هذين الفصلين السادس والسابع. أن أسجل خلاصة مسارها وخصائصها، ودروس تجاربها. وعرضت لخلاصة حصادها الإيجابي وإنجازاتها العظيمة. وكذلك عرضت للأسباب الداخلية والخارجية التي أدت لفشل تلك المحاولات في الوصول لأهدافها في النهاية بقدر الله.

وباختتام هذا الفصل ينتهي الجزء الأول من هذا الكتاب الذي تعرض لجذور ما نعيشه من أحداث، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأمة من تجارب الصراع مع الروم، بلاء هذه الأمة ومحنتها الأزلية.

وخلاصة مسار صحوتها الإسلامية والجهادية وما حفلت به من تجارب وعبر. تجب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحادي والعشرين، ونلج عالم ما بعد سبتمبر.. عالم الحملات الصليبية الصهيونية الكبرى على عالمنا الإسلامي الكبير..

هذا القرن الذي يريدونه أمريكيا صهيونيا..حيث تداعت علينا الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق..

هذا القرن الذي علينا أن نفتتحه بإطلاق المقاومة الإسلامية العالمية لهذا الصائل على الدين والمقدسات والأنفس والأعراض والأموال..وكل مقومات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه المقاومة التي لا تنطلق على هدى وبصيرة، بغير معرفة جذور هذا الصراع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته..

هذه المقاومة التي يجب أن تنطلق على أسس من الهدى والبصيرة والأسس المتكاملة، التي تبني على ما مضى من عبر ودروس. وتنطلق وفق ما يناسب المرحلة من منهج وأساليب. في ضوء ثوابت هذا الدين والعقيدة الجهادية القتالية لهذه الأمة. وأسس منهج حركي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف. وهو ما سأحاول أن أضع على طريقه بعض المعالم في الجزء الثاني من هذا الكتاب والله الموفق وهو الهدي إلى سواء السبيل.

جماعة أنصار الإسلام
Ansar Al-Islam





العدد : ٣٣٧
التاريخ : ١/ محرم/ ١٤٣٠
٢٩ / كانون الأول/ ٢٠٠٨

من أبي عبد الله الشافعي إلى السادات علماء الأمة الأفاضل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك اللهم على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

أما بعد :

من أبي عبد الله الشافعي أمير جماعة أنصار الإسلام .

إلى السادات علماء الأمة الأفاضل نفع الله بهم وغفر لهم

قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [الزخرف:٤٤].

و روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته).

الحمد لله الذي جعلنا من أمة المسؤولية، وأتباع فريضة إمامة الرعية، ومن منطلق الوجوب لامتثال الشرع على الأئمة والأمة، لابد من العلم بأن الأمة اليوم تعاني اضمحلالاً في عوامل إحياء الدين و التمكين، وقد تراكم عليها غبار سنين التيه والضياع، بين نظريات التشتيت، ومؤامرات التفريق، وجدل البدع السياسية المستوردة، واستبداد حكام الكفر، وتسلط أنذال الطواغيت وبطاناتهم، وغياب الوعي العام عند المسلمين، وتقاعس أئمة العلم عن تدارك مصير أمة المسلمين الذي أمكن الأمر لتسلط رؤوس الضلالة، واليأس من جدوى إحيائها أدى بمادة الحياة فيها (رجالها) أن تهاجر عن الرسالة الربانية الموسومة (إعادة بناء الأمة ليعتنقوا الذلة والعبودية والاستسلام والرضوخ للجاهلية المعاصرة، والسير رعايا مطيعين ومواطنين "صالحين" في إمبراطورية الصليب الأمريكية الجديدة دون اكتراث لمصير أمة الإسلام أو تطلعاتها أو تأريخها فضلاً عن مطالب الشرع ومقاصد الإسلام بحقهم .

إن انحراف مناهج ومواقف الأحزاب السياسية والدعوية المنتشرة في مجتمع أهل السنة عن منهج الحق، وقصور إدراك قياداتهم، وقلة تجربتهم، وضعف الوعي الإستراتيجي عندهم، وغيابهم عن ساحة تصور مستقبل الأحداث، أدى إلى سقوط تلك القيادات أدوات في دوائر صناعة القرار السياسي للطواغيت وبسط السيطرة عليهم منهجياً، وعقدياً، وحشدهم مرتزقة لتقوية واقع ضياع أمة الإسلام، وتغييب هدف إعادة إحيائها، وتجذير حال التقسيم والتجزئة الذي تعاني منه الأمة اليوم .

مما صعب على المسلمين تنفيذ مشروع الراية الموحدة للعقيدة الصحيحة والمنهج المستقيم، إذ أوصلوا المسلمين لحالٍ فيه أنهم لا يمكنهم اليوم الوثوق بمعطيات الحاضر أن تكون أسباباً دافعةً موضوعيةً لجموع المسلمين في السعي لتحقيق الوحدة بين المسلمين وإعادة التمكين لدولة الإسلام، لغلبة التبعية لأمريكا وأذيالها عليهم، وظهور الصراع بين الذين آثروا المصالح الذاتية على التضحية لتحقيق تطلعات الأمة وبين أهل المبادئ الحقة الذين يحملون هموم الدين و المسلمين، و تفشي ظاهرة الإتكالية

بين المسلمين وهيمنتها عليهم و غياب التمسك بالأسباب المشروعة و تفويض النتائج إلى الله جل و علا حتى ضعفت المبدئية اجتماعياً، وشاعت ظاهرة الإمعية على تصرفات المسلمين، فالتكافل و التعاون الإسلامي إما ضعيف لا يقوى على معالجة التفكك، أو غير فاعلٍ لا يؤثر في الواقع .

فالاعتماد على الواقعية، والتمسك بالأسباب العملية، والعمل بالمقطوع به بجدية وإخلاص، وتنظيم الطاقات بعلم وموضوعية هي أولى خطوات التنفيذ نحو تحقيق مطالب الشرع .

لهذا ومن موقع المسؤولية، أُذكِّر الأئمة المبجلين بعهد الأمة الذي قطعه الله عليهم، وميثاقه الذي واثقهم به، والمتضمن وحدة الأمة الإسلامية أرضاً وحاكمية، وقد جعل الله جل وعلا العمل على أداء فريضة الوحدة والوفاء به من صفات المتقين وشرائط العبادة الربانية ، فقد قال جل وعلا : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [المؤمنون:٥٢]

و قال عز من قائل: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء:٩٢] .

أيها السادات الأفاضل، أدعوكم اليوم لتبني العمل بفريضة (الدعوة إلى فقه الجهاد العالمي)، فإن أمة الإسلام اليوم مستباحة لجميع أمم الكفر، ومرهون مصيرها بيد أزلام الكفر وطواغيت الاستبداد، لغياب العمل بمصادر الشريعة الربانية عنها، واعتزال علماء المسؤولية عن أمرها، فغرقت في حضيض العبودية والذلة، وإن استحضار مقاصد وعبر تأريخها لكفيل وحده لتوحيد حراكها.

لّما تمكنت أمريكا من إنزال ضربة إستباقية مفاجئة على علماء الثغور في السنوات التي سبقت والتي نفذتها بيد طواغيت العرب احترازاً عن تنشئة جيل جهادي إسلامي سني منظم كفيل بإعادة الحياة في صفوف الأمة و رفع راية التوحيد و الوحدة لذا كان الواجب تبني الخلف العدول لهم و الإمضاء السابق لعهدهم و السير على ما رسموا من نهج قويم.

وإن المراحل القادمة للتدافع الإسلامي الأمريكي هي أشد خطرا من المراحل السابقة، فلابد من إعادة النظر في مساحة القتال مع أمريكا ، وتبديل جغرافية الجهاد من قتال إقليمي معها إلى قتال الجغرافيا العالمية ،وقد آن الأوان لاعتماد هذه الفريضة " الجهاد الإسلامي العالمي" .

فيجب على العلماء التهيئة لنشر هذه الفريضة بالتصدر لإظهار مفاهيم بناء الأمة الإسلامية، ونشر مبدأ التمايز بين المسلمين تجاه القاسم المشترك الشرعي الوحيد بينهم الذي هو عقيدة الإسلام و بين نظرية الأوطان القومية و الدول القطرية و التصدر لنشر فريضة الكفر بالحدود الجغرافية و الوطن القومي ،و إمعان التأصيل الشرعي لإزالة كل علائق نظرية المواطنة الوثنية و التراب الصنمي والتزايل بين دار الكفر ودار الإسلام، وترسيخ مبدأ جهاد إزالة الطواغيت ومكافحة شرك الحاكمية السياسي.

وإن الشرع ليوجب اليوم عليكم أيها السادات :

- تحرير الخطاب الشرعي من نزعته التقليدية الإنتقادية للحكومات الكافرة ، وتحريك الأسباب المناسبة لتفعيل مبدأ تعزيز الأصالة في نفوس المسلمين ونشر مبدأ الاستقلال للهوية الإسلامية من منطلق تأريخ الأمة وعقيدتها مجانب للتداخل و التراكب بين الإسلام و الوطنية و القومية في تكوين شخصية المسلم، والانتقال للعمل على بناء هيكل تنظيمي يهدف لتنمية الفقه الجهادي يتكفل بتنظيم وتحريك الأجيال القادمة .
- توسيع دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى محيط استعمال القوة القتالية المنظمة القادرة على استبدال أنظمة الحكم الكافرة بنظام إسلامي شامل .
- توظيف كل القدرات العلمية الإسلامية لتمكين الطاقات والأجيال القادمة من القدرة للقضاء على الاستبداد الطاغوتية والجاهلية المعاصرة.

وإن اعتناق هذه المبادئ الشريفة لهو أكثر فروض الشرع طاعة وهو الامتثال الحي لتطلعات الأمة النابعة عن معاناتها، وأعلى متطلبات العصر وألح ضرورات المرحلة.

ولابد من إحياء وتنشئة جيل يحمل راية التجديد والجهاد، ثائراً على الواقع الجاهلي، رافضاً للطاعة للسلطتين الدينية التبريرية وسلطة الحكم الطاغوتية بمؤسساتها التشريعية والتنفيذية.

قال تعالى : (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [الكهف:٢٨].

و قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) [الأحزاب:١].

و إن الفرض المعاصر لهذه المرحلة شرعيا الآن هو :

- اعتقاد إقامة حاكمية الله وتوسيد السيادة لسلطان شريعة الله وتوحيد المسلمين أمةً وأرضاً وعنواناً على هذه العقيدة.
- إعتماد منهج الجهاد القتالي لتحرير المسلمين من طاغوتية سلاطين الاستبداد والجاهلية .
- اعتناق الرسالة الجهادية العالمية ونشرها، وتربية الأجيال على مضامينها، وتوسعة مجال ومساحة الجهاد عالمياً وعلى الأصعدة كافة .
- التأكيد على تنشئة جيل جهادي يمكن الاعتماد عليه في تغيير جذري ينقل الأمة من حال الاستضعاف إلى حال التمكين .
- إعتماد خطاب مفاهيم الولاء و البراء للعقيدة الجهادية بصورة فاعلة حية كفيلة بإظهار مكامن القوة القادرة على التفاعل مع جيل الشباب المسلم لتغيير الواقع الجاهلي .

وإن كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و مقاصد الشرع تشير إلى أن وظيفة العلماء لهذه المرحلة هي :

- بناء وصناعة المجاهدين، و دعم فريضة جهاد إزالة الطواغيت وإعداد المرابطين لها.
- رفد المسيرة الجهادية وتقويمها، وتوجيهها نحو الهدف المصيري، والوصول بالأجيال لوعي الرسالة، والعمل بها، وزرع الثقة في نفوس المسلمين، والاستمرار بتعبئتهم، ودوام تحريضهم، لزعزعة معاقل الشرك والطغيان الجاثم على صدور المسلمين بالإرث اللامشروع أو الاحتكار الغصبي، والثأر والاقتصاص للأمة من جبابيت الكفر، ونزع الثقة المزيفة عن سلطانهم، وتجريدهم من مستندات المشروعية التي لفقت لهم، وكشف كفرهم وخيانتهم، وبيان حكم الشرع فيهم، وإلزام المسلمين بالتبرؤ منهم، وإصدار الفتاوى القطعية لمنع الطاعة لهم، والصدع بإيجاب الشرع إعلان الجهاد عليهم، لإزالة شركهم، ودساتيرهم، وتحرير أعناق المسلمين من ربقتهم، وحمل الناس على عبادة الله وحده كما أمر، وتحكيم شريعته كما فرض، وهذه أعلى مراتب فرائض العصر التي أوجبها الله للأمة في ذمة العلماء ونظنهم أهلاً لها والله حسيبهم .

وانصر اللهم العلماء العاملين، والدعاة المخلصين، وفك الأسر عن إخواننا المعتقلين، وألحقنا وإياهم بالسلف الأولين، عقيدةً ومنهاجاً وعملاً يا رب العالمين، و نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم والمجاهدين من تباشير بشائر النبوة وبقية السلف.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أبو عبدالله الشـافعي

أمير جماعـة أنصار الإسـلام

الأول من محرم الحرام لسنة ١٤٣٠